

فرانتس كافكا

رسائل إلى ميلينا

الأعمال الكاملة 2



36

ترجمة: الدسوقي فهمي



الهيئة العامة لقصور الثقافة



أفاق الترجمة

ماهر عبد الرحمن



اتفاق الترجمة
ديسمبر ١٩٩٧

٣٦



الهيئة العامة
للقصص والثقافة

رسائل إلى ميلينا

(كافكا، الأعمال الكاملة - 2)

رسائل فرانتس كافكا

ترجمة : الدسوقي فهمي

لوحدة الغلاف
للغنان الدسوقي فهمى

النصير الأساسى للغلاف
عمر جهان



رئيس مجلس الإدارة

د. مصطفى الرزاز

المشرف العام

علي أبو شادي

رئيس التحرير

د. منى أبو سنة

مدير التحرير

محمد عبد إبراهيم

استشاريو التحرير

د. مبراه وهبة

د. إبراهيم البحراوي

د. أحمد مستجير

المراسلون: باسم مدير التحرير على
المنوان التالي : ١٦ ش أمين سامي - القصر
العيني - القاهرة - رقم بريد ١١٥٦١

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب

Letters to Milena

A Corgi Book

والمنشور ضمن كتاب

Martin Secker & Warburg Edition published 1953

Corgi Modern Reading Edition published 1967

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

تقديم

في رسائل كافكا إلى ميلينا، كان كافكا مشغولاً انشغالاً بالغاً بنقل أعمق مشاعره إلى إنسان آخر؛ وكانت ميلينا، التي كانت قد قامت بترجمة بعض قصصه من اللغة الألمانية التي كان يكتب بها إلى اللغة التشيكية؛ امرأة مرموقة لتمييزها بميزات عدة ليس من بينها أنها المرأة التي أحبها كافكا؛ وكان الوسط الذي تتحرك في إطاره ككاتبة صحفية تحرر أبواب «الموضة»، إلى جانب كتاباتها الإبداعية القصصية، وترجماتها، وهو الوسط الأدبي في فيينا في السنوات التالية مباشرة لعام ١٩١٨؛ ليس هو الجو الذي يمكنها أن تتألف معه بطبعها القلق، ذلك الذي أشبه ما يكون بقلق دستويفسكي؛ وإن يكن عندها قلق يتجاوز في حدته قلق دستويفسكي نفسه إلى أبعد مدى، وعلى أوسع نطاق، وكانت ميلينا عندما التقت بكافكا امرأة متزوجة؛ أما كافكا فكانت قد استفرقت بال فعل علاقته بـ (بورا ديمانت). لهذا لم يكن لتعلقهما المشبوب أن يبلغ أى غاية سعيدة، بل لقد بدأ هذا الافتتان العاشق يتحطم بالفعل بعد فترة لم تكد تبلغ العام.

أما الرسائل التي نتجت عن هذا التعلق فهي رسائله إليها؛ فقد فقدت رسائلها هي إليه وهذه خسارة بالغة نتج عنها بتر هذه النجوى الغرامية النادرة. ليست رسائل كافكا هذه إلى حبيبته ميلينا، رسائل مؤثرة غاية التأثير في ذاتها فحسب؛ بل هي فوق هذا رسائل تتجاوز المتوقع بين كاتب فنان كبير، ومعشوقة فنانة مثقفة

قوية الشخصية، متمردة ، مضطربة، بالغة الجاذبية؛ ذلك أننا يسعنا من قراءة رسائله هذه بالذات أن نلتقط لمحة من امتداد شخصية كافكا، لا يتاح لنا أن نحصل عليها من قراءتنا لكتابات الإبداعية التي تخلط الواقع بالحلم، لتنتهي بهذا الامتزاج إلى إنجاز أمثولات أسطورية معلقة في عالم الحياض المتأمل؛ ومقيدة، مكتوفة في قالب الشكل الحديث المتفرد الذي انفرد به؛ كما لا يمكن أيضاً الخروج بمثل هذه اللمحة لإمكانات روحه للمعيشة في «الواقع»، والافتتان به إلى هذا الحد، رغم أن هذه الرسائل، مع هذا، على امتدادها كلها من كل أشكال الحلم، وكل الصيغ الأسطورية. وتثقلها المفارقات التي تفاجئنا بالدهشة البالغة، لغربة وواقعية تشكيلها الفني الذي ينصهر فيه الحلم مع الواقع، يستغرق كل الاستغراق في معاشية عشقه لميلينا، ويتجاوزها وهو يخاطبها هي نفسها في وقت معا. فهو (يستخدم) تشبيه (الحفرة) في الغابة كـ (مكان) في إحدى الرسائل؛ ثم يعود ليستخدمه كـ (حدث) في رسالة أخرى، أو كـ (موقف درامي)؛ ولا يمكننا أن نحصل على هذه اللمحة من قراءة (يومياته) التي كتبها بكل كثافة رؤيته على مدى السنوات من (١٩١٠ إلى ١٩٢٣)؛ ولا من رسالته الشهيرة (إلى الأب) ؛ أو رسائل رحلاته، ورسائله إلى الأسرة والأصدقاء؛ ذلك أن كافكا يتبدى لنا في رسائله هذه إلى «ميلينا» إنساناً عذبا، قد زايه توتره مؤقتاً؛ يتبدى عاشقاً قد استرخى، في غير انتباه، إلى حين، لآلهات النعمة اللاتي يطاردنه كما يقول أحد نقاده، وهو (تشارلز أو سبورن) في كتابه (كافكا) في

سلسلة «كتاب ونقاد» حيث يقول:

من المسلم به أننا نستقبل هذه الصورة فقط عند بداية المراسلة بينهما؛ عندما يقول كافكا فى رسالته إليها من (ميران):
إننى أعيش هنا فى خير حال، ولايطبق الجسد الفانى مزيداً من العناية، وتطل شرفة غرفتى على حديقة يحيطها سور، تزدهر فيها الشجيرات المزهرة. إن النباتات هنا غريبة؛ فالزهور تتفتح فى بطن أمام شرفتى، فى جو مثل جو براغ تتجمد فيه بالفعل برك المياه، وتتعرض شرفة الغرفة كذلك لأشعة الشمس، أو تتعرض للسماء التى تثقلها السحب إلى ما لا نهاية؛ كما هو حالها منذ ما يقرب من الأسبوع؛ وتزورنى فى الغرفة السحالى، والطيور؛ وأنواع متباينة من الكائنات؛ تزورنى أزواجاً أزواجاً؛ إننى أتوق فى لهفة بالغة إلى أن تكونى هنا فى ميران،...»

ويقف (أوسبورن) فى اقتباسه من هذه الرسالة عند (وتزورنى فى الغرفة السحالى، والطيور، وأنواع متنافرة من الكائنات)؛ وكان ينبغى له أن يضيف الجملة التالية الدالة، والتى تمثل نتيجة محتومة للمقدمة التى تهيم المسرح؛ وتمهد للتشوف: «... تزورنى أزواجاً أزواجاً؛ إننى أتوق فى لهفة بالغة إلى أن تكونى هنا فى ميران؛ لقد كتبت لى أخيراً عن عدم قدرتك على التنفس؛ وفيما كُتِبَتْ تتجاوز الصورة مع المعنى إلى حد بعيد، وفى ميران قد تخف وطأتها بعض الشيء.»

... مع أرق تحياتى.

ثم يواصل (أوسبورن) فيقول:

وبينما تتطور علاقتهما، تبدأ مواقع كافكا المهدمة للذات؛ تبدأ دوافعه هذه في نوبة جلد للذات، فتؤكد وجودها بهذا، لتصبح رسائله الغرامية هذه عندئذ أشبه ما تكون بفقرات (يومياته) المحمومة:

«السبب الذي يجعلني أفسد عما إذا كنت لن تخافى هو أن الشخص الذي تكتبين عنه ليس له وجود، وإن كان الأخير يزيد عن الأول في انعدام وجوده، ولم يحدث أن كان له وجود؛ فذلك الذي في قيينا لم يكن له وجود، ولا كان لذلك الذي في جموند وجود؛ وإن كان الأخير يزيد عن الأول في انعدام وجوده، وستحل عليه اللعنة علاوة على ذلك. وأن تعلمى بهذا لهو أمر هام؛ لأنه لو كان علينا أن نصل إلى اتفاق فيما بيننا فسوف يعود ذلك الشخص الذي في قيينا، أو حتى ذلك الذي من جموند إلى التواجد بكل البراعة، وكأن شيئاً لم يحدث؛ على حين أن الشخص الحقيقى فى أسفل، ذلك المجهول للكل ولنفسه، والذي يقل وجوده حتى عن وجود الآخرين فلماذا لا يأتى ويظهر نفسه؟» - سوف يرفع يده فى تهديد، ويحطم مرة أخرى كل شىء.

وعندما تذكر ميلينا (يواصل أسبورن التعليق) إنها كانت قد أصيبت بالأنفلونزا، فإن طريقة كافكا النموذجية فى الربط ذهنيا بين هذه المعلومة وبين حالته هو الشخصية تؤدي به إلى أن يكتب لها:

«... وعلى هذا فقد أصيبت بالأنفلونزا، حسناً، فليس لى على الأقل أن ألوم نفسى على تمضية وقت مرح هنا بصفة خاصة، أحياناً لا أفهم كيف اكتشف البشر فكرة «البهجة»، ربما كان قد تم تقديرها

على أساس أنها نقيض للحنن».

- والحياة (يواصل أوسبورن) التي كانا قد ظلنا في وقت ما أن بإمكانهما أن يعيشاهما معاً، اتضح لهما أنها كانت وهماً لا يمكن تحقيقه؛ وأخذت الرسائل تقل، ويتباعد تتابعها؛ أصبحت أيضاً أكثر تحفظاً؛ ويكتب لها كافكا قائلاً عند بداية هذه الرحلة الأخيرة المؤسسية:

«لا يا ميلينا، إن إمكانية الحياة المشتركة التي ظننا أننا قد عشناها في ثيينا، ليست في الإمكان، تحت أي شرط، ولا هي حتى كان قد أمكن وجودها وقتذاك. لقد تطلعت من فوق حافة سياجى الذى يفصلنى، تشبثت بقمة ذلك السياج بيدى، ثم... سقطت متراجعاً بأيدي جريحة متسلخة».

وتكشف الرسائل الأخيرة عن إلحاح متزايد لفقرات الوعي بالذات، والشعور الذاتى، وتحليل الذات، التى يتتابع ورودها بصورة متصلة؛ ولعلمه بأن (وقته) كان محدوداً، فقد كان مهتماً بتقرير طبيعته بأقصى ما يمكن من الوضوح. تتدافع هذه الفقرات خلال معاناته من الإنهاك العصبى (النوراستينيا) «ولا ثانية هدوء واحدة قد ظفرت بها، لم أنل شيئاً... لا يمكننى أن أحمل العالم على كتفى، فأنا لا أكاد أحتمل عبء معطفى الشتوى فوقهما»، وتنتهى هذه الفقرات إلى قبول أو تقبل صافٍ، حزين، لحالته المعذبة، ليقول فى رسالته التى يشير فيها مرة أخرى إلى (الحقرة) «جراين» التى كان يتكرم فى جوفها (كحيوان فى ظلام الغاية) عندما مرت به ميلينا فى إشراقها، فيقول:

قبل أن يخرج للنزهة، لم يكن عليه فحسب أن يغتسل، وأن يمشط شعره، وما إلى ذلك - وهذا وحده أمر مرهق بما فيه الكفاية - بل عليه أيضاً (بما أنه يفتقر في كل مرة إلى ما هو ضروري لنزهته)، أن يخطط ملابسه كذلك، وأن يصنع حذاءه، وأن يقوم بتصنيع قبعته، وأن ينحت عصاه التي يتوكأ عليها في سيره، وهكذا. وبالطبع لا يكون قادراً على أن يفعل كل هذه الأشياء على نحو جيد جداً فلعلها لهذا أن تتماسك كلها إلى بعضها البعض على امتداد بضعة شوارع قليلة؛ لكنه عندما يبلغ - الحفرة - (جراين) مثلاً، فإنها تتساقط عنه جميعاً كل منها في ناحية، ليقف هو عارياً هناك وسط الخرق والأسمال (إشارة إلى حالته في الحفرة - في الغابة - فهو يختار شارعاً موجوداً بالفعل له اسمه الدال على حاله وسط خرقة وأسماله في ظلمة الغابة؛ على نقيض إشراق ميلينا وتالفها عندما مرت به في حالته هذه (أو بهذه المرحلة من حياته) و... «يجيء الآن نور العذاب في جريه راجعاً إلى (ساحة ألت شتيتتر)، وربما يندفع في نهاية الشوط وسط غوغاء التأموا في حلقة شرك نصبوه لليهود في حارة «أيزن».)

- لا تسيئني فهمي يا ميلينا ، فأنا لا أقول بهذا أن هذا الرجل قد ضاع؛ لا، أبداً؛ لكنه يكون قد ضاع إن هو ذهب إلى (جراين) - الحفرة-، حيث يجلب الخزى على نفسه، والعار على العالم.

أما «إيريش هيلر» فيؤكد في كتابه (فرانتس كافكا) في سلسلة (أساتذة الأدب الحديث)، على نفس المعنى الذي أشار إليه (أسبورن) حيث يقول في سياق دراسته بعنوان (الزواج أم الأدب) التي تناول

فيها رسائل كافكا إلى خطيبته (فيليسه باور)، في إشارة إلى رسائله أيضاً إلى ميلينا بقوله:

في نهاية يناير ١٩٢٢ تساءل كافكا، وكان قد لجأ إلى منتجع «شبنده» في بوهيميا، كيف يمكن أن يبدو له الحال لو أن ميلينا، تلك المرأة التي كان عشقها قد سيطر على حياته عندئذ، قد صحبته إلى هناك»

كان من الممكن بالطبع أن يمنحه ذلك قدراً من البهجة، لكنه كان قد رآه أمراً مزعجاً: «فسوف أكون قد ألقيت بنفسي في خضم عالم لا أحتمل العيش فيه» ثم ينتهي إلى أنه «لا يبقى أمامه - فقط سوى - حل اللغز الذي يتمثل في السبب في سعادتي لأربعة عشر يوماً في مارينباد». وأيا كان حل اللغز، فإن إجابة ما، طبقاً لإحدى فقرات (يومياته) في مارينباد؛ هو - أنه لم يكن سعيداً كل تلك السعادة؛ أو أن سعادته على الأقل لم تستمر أسبوعين. وأيا كان ما أحسه بهذا الخصوص قبل سنوات، فهو يقول في هذا التوقيت (من عام ١٩٢٢)، إن «الوقت» كان قد فاته طويلاً؛ فلندع الآخرين يحبون أو يمارسون الحب، أما بالنسبة له ، فقد أصبح هذا أمراً غير وارد (الآن) بالمرّة. «إنني أبعد عن هذا غاية البعد، إنني منفي طريد بعيداً عن هذا».

ولهذا كان قد كتب إلى ميلينا يقول:

«لا أحد يتغنى بمثل تلك الأصوات الصافية، كما يتغنى هؤلاء الذين يعيشون في عمق أغوار الجحيم، وإن ما نحسبه غناء الملائكة أنفسهم إنما هو غناؤهم».

ويضيف «إيريش هيلر» قوله:

«وكما أن تمثيل (هاملت) لم يكن سوى شفرة تقدم تأثيراً مسرحياً لموقف يضطر فيه (الشخص الذى فى الداخل) إلى أن يتحول إلى شخص آخر بمجرد أن يصبح فعالاً فى المحيط الخارجى؛ فكذا كان أسلوب كافكا فى (الخداع بلا مخادعة) وهى صيغة أكثر رقة لترجمة العبارة التى شخص بها كافكا نفسه، عندما وصف خطوبته الأولى فى يومياته (٢٣ يوليو ١٩١٤) بأن «فعله كان فعلاً شيطانياً فى براعى».

... كما يتهم (الأب) ابنه فى قصة (الحكم) «طفل برى»، هذا ما كنته أنت حقاً، لكن ما هو حق أكثر منه هو أنك كنت كائنأ بشرياً شيطانياً».

- فهذا هو السؤال الذى توجهه رسائل كافكا الغرامية - وهى رسائل تختلف كل الاختلاف فى (شكلها) عن أية رسائل غرامية فى الأدب كله، - وتوجه رسائل إلى ميلينا هذا السؤال فى إلحاح مزعج؛ فما هى طبيعة العلاقة بينه وبين الأشياء التى كان قد قبلها عرفياً بشكل ما، بتعذيبه لذاته، وبميل شبه دينى، تلك (الأشياء) التى تؤلف فى رؤيته، واقع العالم الخارجى.

وهل كانت حياته الداخلية تنتمى إلى ذلك العالم الخارجى على نحو (طبيعى)؟ أى على نحو قابل للوضوح؛ أو على نحو يسمح بإمكانية للتعبير عنه فى وضوح، لو كان التعبير عنه ممكناً أصلاً.

لم يكن ذلك التعبير الواضح ممكناً من خلال (فنه) وحده، ولا كان حتى ممكناً عن طريق فنه أن يتواجد ولو فى صيغة يكتنفها شكل ما من أشكال الإبهام على نحو ما؛ ذلك أن فنه هو فن بالغ الحدة، بالغ

الإزعاج في إيهامه، يتباين عن كل أشكال الكتابة الأدبية المعروفة.
وحتى (ميلينا)، موضع (عشقه) على امتداد تلك الفترة المحدودة،
مع كونها أكثر وعياً، وأكثر ثقافة، وأكثر وضوحاً وتحدداً من خطيته
(فيليسه)؛ وأكثر منها عمقاً في عنف عاطفتها المشبوبة الملتهبة، وفي
نجاحتها في إثارة عواطفه الكامنة، مع أنها لم تكن تنتظر، فوق هذا
كله، أن يتزوجها؛ كانت متألّفة غاية الألفة مع هذه الأسئلة، ومتوافقة
مع إجاباتها النافية السلبية؛ ذلك أنها كانت تعرف أن (جوهر
وجوده) هو (الخوف)؛ وهو أيضاً ذلك القلق الذي يثور كائنه استنشاق
لسموم متصاعدة من تلك (الفجوة) بين «ذات» وبين «عالم».

... فهل لنا أن نتساءل: مثل من من أسلافه العشاق، وعلى درب
من كهنة ذلك المعبد المسمى بـ «المرأة» تراه قد سار؛ ومن هو سلفه
الأقرب في نوبة العشق اللامعقولة هذه التي انتابته (روحياً) وهو على
حافة الموت، والتي استبدل بها ، وهو «يحتضر» بالفعل «نوبة عشق»
من نوع آخر مع (دورا) في أيامه الأخيرة، في المصححة التي قضى
نحبه بها؛ وإن كان قد حول هذه «النوبة» الروحية مثل فعل عاشق
لامعقول آخر سبقه، إلى صفحات فن أو عشق، مكتوبة نابضة!

فلنعد إلى رسالة دالة من بين رسائله هذه، لنستدل بها، و كنت قد
قمت بترجمة شذرة أيضاً من بين ما ترجمت من كتاباته القصيرة
بعنوان «إبراهيم»، تقدم هي أيضاً قصة (الفداء) اللامعقول في قصة
«إبراهيم» الخليل، ومفارقات الأمر الموجه إليه بتقريب (ابنه) (قرباناً)
ذبيحاً) بالسكين؛ ثم افتدائه بالكبش أو ... بالكتابة في حالة كافكا؛ و
سلفه العاشق الفيلسوف (سورين كيركجارد) الدانمركي...

ففى (رسالة) أحد أيام الخميس يتحدث كافكا عن (خوف ورعدة) الأنبياء عند سماعهم لنداءات وتتر؛ ويتحدث إلى ميلينا عن جدارتهم بسماع تلك الأصوات؛ هذه الجدارة التى قد يكتنفها الشك فى أحيان...

ويبدو تأثره (وإن لم يكن تأثراً مباشراً) بمدخل رسالة (الخوف والرعدة) «الفلسفية» هذه المرة والتى كان قد كتبها (سورين كيركجارد) بديلاً عن الكبش الذى افتدى به معشوقته (ريچينا) (حتى الاسم وموسيقاه هى أيضاً)، ورأى فيها وحيدته التى افتداها برسالة فلسفية (كانت تستمع بقراءتها مع زوجها بصوت عال لئلا تدرى مدى المفارقة) عن «العيب» واللامعقول فى قصة (إبراهيم واسحق) «فى الكتاب المقدس» و (إبراهيم واسماعيل) فى القرآن...

و... «لكى يلزم المرء جانب الأمان من الأفضل له أن ينكر مقدما، وبشدة تلك الأصوات...»

تختلف كل رسالة عن الرسالة التى تليها وترتعد أكثر من الرد...

كان كافكا قد قرأ كتابات (كيركجارد) فى عام ١٩١٨، أى أن قراءته له كانت ما تزال حية فى (وعيه) أو فى (لاوعيه)، فى زمن نوبات عشق حياته الأخيرة تلك...

وقرأت، وأعود مراراً إلى قراءة (الخوف والرعدة) التى ارتاد فيها «كيركجارد» مواجهة قضية اللامعقول أو (العيب)، مع رسالته الفلسفية المكمل لها (الموت مرضاً) والتى واجه فيها قضية (اليأس) فى طبعة «أنكور» ١٩٥٤، فى ترجمة (وولتر لورى)؛ وكنت قد علمت

أن مترجم الفلسفة والصديق الذى عرفته فى أواخر أيامه، فاشتدت فجيعتنا بفقده، المثقف الكبير «فؤاد كامل» المدير العام الأسبق لإذاعة البرنامج الثانى كان قد ترجم هذه الرسالة الفلسفية بعنوان (الخوف والرعدة) فى طبعة يبدو أنها كانت (محدودة) لأننى لم أعرّ عليها، سمعت فقط بعنوانها فاستخدمته هنا اعتزازاً (الخوف والرعدة)، وكان (فؤاد كامل) دقيقاً فى تعبيره، وموهوباً وقديراً فى ترجماته الفلسفية والأدبية، فطالما عرف قراء العربية أو «سمعوا» عن هذا العمل (لكيركي جارد) باسم (الخوف والرعدة).

و... كنت أعمال كافكا فى الحقيقة تضيف إلى الثقافة اليهودية لأوروبا الوسطى أو تشكلها فى قلبه المتحور المظلم والمستحيل؛ ليصبح بذلك (رائياً) للأعماق القديمة يكتشفها، ويحاكيها بقوة تتجاوز المعقول، كما يفعل كل مبدع خلاق وهو يعيد صياغة الأشكال الأصلية للأشعور.

وكان كافكا قد تعلق فى إصرار ومثابرة بمسرح (اليدىش) وهى لغة يهود أوروبا الوسطى والاتحاد السوفيتى السابق؛ وكان قد (حلم) أيضاً فيما حلم بفلسطين، كى يستعيد نقاء حياة نباتية منعزلة؛ وحلم (بقصر فى إسبانيا) حيث كان يعيش أحد أعمامه حياة باذخة، وإذا كان قد رأى أن «الصهيونية» هى «تجديد» معنوى، فليس ثمة ما يثبت أنه قد شارك فيها بالفعل بنفسه، وربما كان (المرض) هو ما أسرع بمنعه من الانخراط فيها ببوره.

لقد عاش كافكا سجيناً لجنوره اليهودية؛ مرتبطاً بالخطيئة والفشل و الألم والموت؛ حالماً معذباً فى (هبوطه إلى القوى المظلمة)؛

كان كاتباً يحترف تعذيب نفسه (قرباناً) للإبداع.

وكانت تتملكه (الرغبة فى الموت) كما كتبت عنه ميلينا نفسها؛ وقد أوضحت «يانا تشيرنا» (ابنة ميلينا) أخيراً فى كتابها عن أمها بعنوان (حياة ميلينا من براغ إلى فيينا) (طبعة مارتن سل ١٩٨٨)، تفكك أوروبا الوسطى فعلياً، وأشارت إلى عدوى الماركسية التى كانت قد أصابت أمها (ميلينا)، الذكية المستقلة، بتأثير «كوخ»، الذى أعقب كافكا فى تأثيره عليها؛ قبل أن تتكفل النازية بأمر الماركسية فى تلك البلاد.

وكان كافكا قد رأى بنفسه (فى يومياته) على أنه («صيد» يُشوى على السبخ فوق النار؛ مهياً للطهى والتقطيع... كان قد رأى نفسه «وسط هذه النيران» قطعة غريبة من اللحم).

ومع ذلك، لم يكن (التمساح الصغير) كما أطلق عليه أحد مدرسيه، يفتقر إلى الأسنان والأنياب، وإن كان يدخر أقوى قدراته على (النهش) لإنجازات أخرى...

كان يعمل «بضراوة ساحرة، تدعو للغيظ، وتثير الشفقة» مستهدفاً أن يجثو الآخرون عند قدميه. وكان يحتفى خلف درع من السخرية؛ محرّكاً من عمق (جحره) «قرون استشعاره» تحت أنف «والده» (الذى كان يمثل له تجسيداً لكل أشكال السيطرة والتسلط)...

... وانتهى الحب المستحيل، ولم يتبق منه سوى آثار (نبش) أضافه المتشجعة) فى (هكذا تحدث إلى «جوستاف يانوش»؛) ولنا أن نتساءل: مع تسليمنا بغرابة أطواره، هل كان حقاً قد طلب جاداً من (ماكس برود) أن يحرق مخطوطات كل أعماله؛ إشعالاً لنيران الندم

تحت قدميه؛ بما أنه لم يكن له سوى أن يهدم أو يخون.

... أليست هذه (قضية) أخرى؛ ... بلا قضية؟

... ولما لم يكن هناك (ضحية) أخرى غيرنا نحن قراءه؛ فلنتأمل

هذا الجزاء الهاديء البديع... فنمتع أنفسنا بمتعته في... الكتابة.

و... قد سبق أن نشرت ترجمتي لرسائل كافكا هذه إلى ميلينا

في جريدة (المساء) بعنوان (رسائل إلى ميلينا - فرانتس كافكا -

ترجمة ورسوم...) في حلقات يومية متصلة بلغت (١١٥) حلقة، بدءاً

من ١٩٧٨/٧/١٤ وحتى ١٩٧٨/١١/٨، ومصحوبة برسومي في كل

حلقة من حلقاتها، لأهم الشخصيات الأدبية الواردة بها (بالإضافة

إلى رسوم لأفراد أسرة كافكا)؛ وكنت قد أنجزت في نهاية عام ١٩٧٣

(بعد أن فرغت من إتمام هذه الترجمة كاملة (فيما عدا مسودات

لعدد من الرسائل، راجعت ترجمتها أخيراً)، لوحتين بألوان الجواش

مع الفحم (بورتريه لكل من ميلينا ييزينسكا - بولاك، و«دورا

ديمانت») عن صور تضمنها (مع الكثير غيرها) كتاب (كافكا، بقلمه)

لـ (كلوس فاجنباخ)...

الدسوقي فهمي

«كتابة الرسائل... معناها أن يتجرد المرء أمام الاشباح.
وهو ما تنتظره تلك الاشباح في شراة، ولاتبغ القبلة
المكتوبة غايتها. ذلك أن الاشباح تشربها في الطريق،

(كافكا إلى ميلينا)

عرف فرانتس كافكا، (ميلينا بيزينسكا Milena Jesenska)، في بداية الأمر باعتبارها مترجمة بواكير أعماله القصيرة إلى اللغة التشيكية، ولعل مآل هذا التعرف إلى علاقة عاطفية، قد تلا ذلك في رسائله من (ميران) في عام ١٩٢٠ فلم تكن بالفعل سوى لحظة - هي تلك اللحظة التي تحقق فيها (كافكا) من أنه ليس حرا في اتخاذ قراراته، فلم يكن له أن يعود من (ميران) إلى (براغ) عن طريق (ميونيخ)، أو عن أي طريق آخر، كما لم يسعه أن يزور أحد يناعيع المياه المعدنية في (بوهيميا)، بل كان عليه بدلا من ذلك أن يرحل عن طريق (فيينا) - لأن (ميلينا) التي كانت تعيش في تلك المدينة كزوجة تنهار حياتها الزوجية شيئا فشيئا، كانت قد طلبت منه ذلك - ، ولم يكن وضع (كافكا) بالفعل مختلفا عن وضعها، فلم يكن حرا هو أيضا، ذلك أن خطيبته كانت تنتظره في براغ، وكانت تلك الخطيبة تتطلع إلى إتمام القران بأسرع ما يمكن، رغم أن أمها في تحقق ذلك لم يكن يعبو أمل خطيبته السابقة، تلك التي نعرفها فقط باسم (فتاة برلين). وفي كلتا المرتين - وربما في المرات الثلاث - فقد اتضح أنه كان قد خطب فتاة منهما مرتين - يبدو أن فسخ الخطبة قد سبب أزمة خطيرة في حياة كل من الفتاتين.

وبدا من ناحية أخرى أن انفصال (ميلينا) البطيء عن زوجها، كان مقدرا له أن يتم دون أي أزمات، كما حدث بالفعل بعد بضعة سنوات.

وتكشف (يوميات كافكا) عمق هذه العلاقة، فاسمها، أو الإشارات التي لاشك في أنها تشير إلى (ميلينا)، تتكرر المرة بعد المرة خلال عامي ١٩٢١، ١٩٢٢. وقد بدأت الإشارة إليها لأول مرة في أكتوبر

١٩٢١، عندما أشار (كافكا) إلى أنه قد أعطى (م) يومياته كلها لكي تقرأها، وأنه بهذا يكشف أمامها في الحقيقة، قلبه وضميره. وفي أول ديسمبر يشير إلى أنها قد اتصلت به ليقونها أربع مرات (في منزل والديه فيما يبدو)، وإنها على وشك الرحيل (أهدأ أربعة أيام حافلة بالعذاب)، ويضيف: (... إنه طريق طويل يبدأ من حالة اللامبالاة هذه، لينتهي إلى النقطة التي عندها سيسبب لي رحيلها أسفا لا حد له، الأسف، وأعترف بهذا، ليس هو أقمى الشر)، وفي اليوم التالي: (دائما «م»، أو ليست «م» - لكن مجرد مبدأ، ضوء في الظلام!)، وفي ١٨ يناير ١٩٢٢: (ما الذي فعلته بهبة الجنس التي وهبت لك؟ لقد كانت فشلا، أو أن هذا هو كل ما سينلونه في النهاية. لكن ربما نجحت في يسر... «م» على حق، إن الخوف معناه التعاسة).. وفي اليوم التالي يظهر في اليوميات بوضوح مسودة رسالة لعله لم يرسلها إلى «ميلينا» أو لعل «ميلينا» لم تحتفظ بها: «بسبب عديد من الإشارات العارضة التي أخجل من تكرها، كان انطباعي بأن زيارتك الحالية كانت رقيقة حقا، ونبيلة، لكنها ترهقك إلى حد ما على الرغم من ذلك، وهي على نحو ما مفروضة أيضا، كالزيارات التي يقوم بها المرء لمرضى، هل انطباعي صحيح؟، هل وقعت في اليوميات على دليل من الأدلة الدامغة ضدى؟).

وفي ٢٢ يناير، كان (ربما في رسالة) قد أخبر ميلينا عن (الليل)، وفي مناسبة أخرى قام بتحليل إحدى ملاحظاتها عنه، ذات مرة في آخر يناير في (شبنلولة)، كتب (لوان «م» مثلا، تأتي إلى هنا فجأة، لبدا هذا مرعبا)، ذلك أن زيارتها، بعبارة أخرى (وكافكا صادق هنا مع نفسه، فعبارته هذه لا تتطوى بالمرّة على أى معنى من

معانى المرح) سوف ترفع إلى أقصى حد، قدره كيجورجوازي في تلك القرية الجبلية البهيجة. ولقد أشار كذلك إلى أنه كان قد نعم بالسعادة من قبل مع «م» في (مارينباد)، وعلى هذا فسوف يتذوق هذه السعادة مرة أخرى - (وإن كان ذلك، لن يتم بالطبع، إلا بعد انهيار الحواجز، المؤلم!).

هنا تبدأ العلاقة بالفعل في التحلل: (فما تعودنا على أن نعتبره خيطا فاصلا أصبح الآن حدا، أو سلسلة من الجبال، أو على نحو أكثر دقة، قبرا).

وفي ٦ أبريل، نجد ملاحظة غريبة: (رسالة مفصلة إلى ميلينا، الطيور الثلاث، الطيران إلى الغابة، ميلينا)، وربما كان ثمة ما يتعلق بميلينا أيضا في (إيماءة الرقص) - اليوميات، فقرة ١٢ فبراير ١٩٢٢- التي تنتهي بكافكا إلى (لايسك أن تحبينني كما تودين لو تفعل، إنك تعسة في حب «حبك لي»، إلا أن «حبك لي» ليس في حالة حبي لك).

قد يكون ما تقدم بضع فقرات مميزة من الرسائل، على الرغم من قصرها، على أننا لا نملك في تلك الرسائل قصة الحب العنيفة بأكملها - عريضة اليأس - الهناء - تمزق النفس، وإذلالها، ذلك أنه على الرغم من أنهما قد التقيا مرارا، إلا أن غرامها لم يكن في جوهره سوى (رسالة غرام)، كما كان غرام (فيرتر)، أو (كيركجارد).

انحدرت ميلينا من واحدة من الأسر التشيكية العريقة، في مدينة (براغ)، تلك الأسر التي يمكن أن يطلق عليها لقب أشرف تشيكوسلوفاكيا الحقيقيين. وقد نقش اسم أسرتها بالحروف الكبيرة

فوق اللوحة الرخامية الهائلة التي أقيمت في صدر ميدان مدينة (براغ) القديمة تخليدا لذكرى أحد أسلافها، وهو الأبطال البارزين في تاريخ تشيكوسلوفاكيا، وقد أعدمته أسرة الهابسبورج الحاكمة في أعقاب المعركة التي دارت فوق (الجبل الأبيض). وأحيانا ما تفاجئ المرء في نفسها، بطلعتها الشبيهة بطلعة نبيلة من نبيلات القرن السادس عشر، أو السابع عشر، وشخصيتها الشبيهة بتلك الشخصيات النسائية التي التقطها (ستندال) من تاريخ إيطاليا القديم، ونقلها إلى رواياته، من مثيلات بوقه (دى سانسيفيرينا)، أو (ماتيلدا ديلامول): فلقد كانت على غرارهن عاطفية، باردة وذكية في قراراتها، لكنها طائشة في اختيار الوسائل عندما تضطرم عواطفها، ويبدو أن عواطفها في فترة شبابها، كانت متأججة على الدوام، وكانت فياضة في مشاعرها كصديقة، لا يقف حنانها عند حد، كما لم تكن تنضب لها موارد وإن ظل مصدر مواردها تلك غامضا في أغلب الأحيان، ولم تكن مطالبها أيضا تقف عند حد، تلك المطالب التي كانت تطالب بها أصدقاءها، وكانت مطالبها تلك تبدو لها طبيعية، وكذلك كانت تبدو أيضا في نظر أصدقائها.

ولقد قاست، وتآلت في بؤس تحت وطأة الاضطراب الوجداني الثقافي الذي كان يطبع الأوساط الأدبية في مقامى (فينا) خلال السنوات الصالحة التي أعقبت عام ١٩١٨، وكانت أجمل سنوات حياتها قد انقضت بلا شك قبل هذه الفترة، في (براغ) عندما كانت لا تزال صبية صغيرة جدا.

بددت (ميلينا) خلال تلك الفترة كل شيء، إلى حد بالغ التهور. بددت حياتها، ومالها، وانفعالاتها، وأحاسيسها الخاصة، علاوة على

تلك المشاعر التي عرضت عليها، والتي كانت تعتبرها ممتلكاتها غير المشروعة، وكان يسرها أن تتخلص منها.

وعلى الرغم من ذلك فقد كان (كافكا) يدعوها (الأم ميلينا)، ولم يكن هذا بلا مبرر. ففي هذه الرسائل ذكر (كافكا) ما تتمتع به (ميلينا) من (عدم القدرة على أن تتسبب فيما يدفع غيرها إلى المعاناة) - ولقد كانت هذه حقيقة طالما أعلنها (كافكا)، على الرغم من معرفته بثورات غضبها التي كان يتغاضى عنها، والتي كانت انعكاساتها المؤسسية، المضحكة، تملأ الرسائل.

ولم تكن (ميلينا) بالطبع، فاتنة بالمعنى الفج - بمعنى أنها حاولت إغراء الرجال، أو حاولت حتى إغراء ذلك الرجل ذاته، الذي كانت تعتبره (شاعرا)، ذلك الرجل الذي اكتشفت عبقريته، وأدركتها قبل أن يدركها أغلبية من كانوا يحيطون به، أو يحيطون بها من الناس بوقت طويل. لقد صدمت لأنها كانت تحب، ولأن عليها لذلك أن تسلك سلوك العاشقة حتى ولو لم يكن من تحبه سوى مجرد شخص غبي لا قيمة له.

لاشك في أنها قد عانت، ولقد نالت منها المعاناة - أولا: لأنه كان قد عانى، وأيضا لأنها كانت قد أحست أن المعاناة كانت هي السبيل الوحيد الذي قد يتيح لها أن تحقق نوعا من الحوار الجذري معه. فعلى الرغم من أن المرء قد يتاح له أن يلتقي بروح كروحه في شوارع الضواحي الهادئة، وفي فنادق (هليينا)، وفوق المروج الصيفية المعشبة، وفي الغابات التي تحيط (بقيينا) و(ماند) إلا أنه لم يكن في وسع المرء حقا أن يندمج بروحه، على الرغم من ذلك، سوى في الجحيم. ولم يكن مما يبعث على الدهشة أنها كانت معرضة بدورها

للإصابة بمرض فى الرئة، ولو لم يكن هذا سوى مجرد أنه كان قد أصيب بذلك المرض -، أو أن هذا ما توهمته على الأقل. ولقد بلغ بها الوهم، حتى أن الدم قد انبثق بالفعل من فمها.

(أنت يا من تعيشين حياتك بمثل ذلك العنف، ومن عمق تلك الأعماق)، هكذا خاطبها (كافكا) ذات مرة، فى إحدى هذه الرسائل، ولا يوجد من هو أجدر منها بهذا الوصف، إلا أنها لم تكن رغم ذلك (مهيئة للمعاناة). كما لاشك يمكن أن يزعم كاتب تلك الرسائل التى بين أيدينا، فإن كانت قد عانت فى تلك الحالة، وكانت قد عانت من خلاله، فقد كانت معاناتها تلك جزءا من شهيتها للحياة، بل لقد كانت معاناتها تلك جزءا من استمتاعها بالحياة. وسوف لا نتعقب، فوق ذلك، تلك النزعة السلافية التقليدية إلى التألم، لن نتفحص تلك النزعة، على الأقل، خلال تلك الفترة التاريخية بالذات، كما أنه لم يكن مصادفة أن كان (دستوفسكى) مو كاتب (ميلينا) المفضل.

فلو كنا أحيانا - أو حتى غالبا - قد تلقينا انطبعا بأن (ميلينا) فى صورتها هذه، تقدم لنا نموذجا أفضل، وأكثر صراحة، وأوفر صحة، وأبلغ إنسانية منه (وسيكون هو بلا شك أول من يوافقنا على ذلك)، فليس لنا أن ننسى أنها بكل رغبتها فى الحياة، لم تكن على الرغم من ذلك، لتتمكن من أن تتنفس هواء المثقف ذا التوتر الكهربى العالى، وأنها على الرغم من أنها قد حركت أعماق أعماقه - فلقد منحت، لو كان لنا أن نصدق رسائله، حقا، حياة جديدة - ومع ذلك، فغالبا ما كانت تثير أعصابه بسهولة، حتى كانت النتيجة التى انتهى إليها الأمر فى النهاية، أن أصبح استغراقه قليلا فى النوم، أهم كثيرا عنده من رسائل (ميلينا) اللتبية.

ولقد قال لى كافكا فى أواخر أيامه: (لا بد لى من أن أعترف بأننى قد حسدت شخصا ما، ذات مرة، حسدا بالغاء، لأنه كان محبوبا، ومتمتعا برعاية فائقة، ومزودا بالعقل، والقوة، ولأنه كان يستلقى تحت الأزهار، إننى دائما سريع الحسد).

ولقد وجد (كافكا) تلك السعادة التى تثير الحسد، فى أواخر أيامه، قبل أن يستلقى تحت الزهور، فقد كانت الشهور الأخيرة من حياته، أسعد الفترات التى عاشها، كان يشيع فيها سلام لم تعده عاطفته المتأججة الصاخبة، الذابلة، المتلاشية نحو (ميلينا).

أما عن نهاية (ميلينا)، فتقول لنا (فراو مارجريت بوير - نويمان) فى كتابها القيم «فى ظل دكتاتورين»^(١)، أنها كانت زميلة «ميلينا» فى معسكر التجميع فى رافينسبروك، حيث زج بهما وسط المومسات، وعتاة مجرمى «هامبورج»، وحيث شهدتا لرعبها، ذلك الاستمتاع السادى الذى كان أطباء النازى يمارسونه، بإجراء التجارب العلمية على أجساد الأحياء من النساء.

وقعت «مارجريت بوير - نويمان»، كما وقع غيرها تحت تأثير سحر «ميلينا» الإنسانى، ذلك التأثير الساحر، الذى ظل مفعوله قويا، حتى تلك السنوات المتأخرة التى تخطت «ميلينا» عندها سن الشباب، وازدادت سمعة على نحو ما، تقول «مارجريت بوير - نويمان» (كنا صديقتين، ميلينا وأنا، منذ الساعة الأولى التى أمضيناها معا، ولقد دامت صداقتنا طوال سنوات أربعة مريرة، انقضت فى صراع الحياة والموت بداخل المعسكر)، وتضيف قائلة: (إننى أشكر حظى

(١) عنوان الطبعة الألمانية الأصلية للكتاب (حين كنا أسرى سنالين وهنر)، ومنه «نتمسنا العقرات لتالية - Als Gefangene bei Stalin und Hitler

الذى جاء بى إلى راڤينسبروك، وأتاح لى فرصة الالتقاء بميلينا. كان يملكنى خوف شديد منذ اليوم الأول للقائنا، كلما تطلعت إلى وجهها الذى كان يرتسم عليه الألم. كانت قد جاءت مريضة إلى المعسكر من سجن الأبحاث فى دريسدن، وكانت تظن أنها تعاني من الروماتيزم، كانت يداها متورمتين، وكانت تتألم باستمرار، كما كانت عند تلاوة الأسماء فى ساعة التمام ترتعد من البرد فى أسعال السجن، ولم تكن تجد تحت البطاطين الرقيقة شيئا من الدفء، لكنها كانت إنسانة قوية، ولقد نجحت دائما فى تبديد مخاوى. وفى عام ١٩٤٠، كانت ميلينا لاتزال على شجاعتها، كانت أبعد ما تكون عن الانهيار، وكانت تحتفظ بقدرتها على المبادرة. كانت أبعد ما تكون عن اكتساب شخصية السجينة المستكنة وتعقلها، ولم تتحول ميلينا مطلقا إلى «نزيلة»، فحواسها لم تكن لتخمد، ولم تتمكن منها اللامبالاة والتبلى، كما تمكنت من غالبية الآخرين.)

ولقد نجت ميلينا لهذا بالفعل من «عزل» المرضى، الذى كان يؤدى مباشرة إلى غرف الغاز والأفران.

وتقول مارجريت بوبر - نويمان، فى مناسبة أخرى:

(لقد تملكنى إحساس هائل بالفزع من توقع موتها، فلقد سمعت أناتها فى الليل، وهى تستلقى فوق الحشية المصنوعة من القش).

- «أه، لو قدر لى أن أموت نون أن أعانى سكرات الموت، لا تركبني أهلك وحيدة، كما يهلك الكلب»

.. «ولقد اعتقدت طوال الوقت الذى أمضيته إلى جوارها أحاول أن أهدئها، اعتقدت أنها ستشفى، ويتمتع ثانية بحريتها. لكننى فجأة فى ظلام الزنزانة، رأيت المستقبل فى جلاء» وتبينت أنها كانت قد

ضاعت سدى»

ولقد تمكنت من مواصلة الحياة لفترة قصيرة، لخوفها الشديد من عمليات عزل المرضى، ومن (الحقن) التي كانوا يرسلون بها المرضى من النزلاء إلى الراحة الأبدية.

وماتت ميلينا في ١٧ مايو ١٩٤٤، من جراء عملية في الكلى، يبدو أنها كانت قد أجريت بعد قوات الأوان.

تقول مارجریت بوبر - نويمان: (وفي تلك اللحظة، فقدت الحياة معناها بالنسبة لى)

وفي ١٠ يونيو، بلغت المعسكر أنباء الهجوم الناجح.

(فلماذا أواصل الحياة إذا كانت ميلينا قد قضت؟) بهذه الكلمات تختتم مارجریت بوبر - نويمان مذكراتها عن السنوات الأخيرة في حياة (ميلينا) ... (فطالما كانت ميلينا على قيد الحياة، كانت الحرية عندي أن أرى معها ثانية أول مدينة، أن أدخل معها أول غابة...)

لقد تأخرت الحرية على ميلينا...

و... أيضا تتجدد الذكرى... «ثيلى هاس».

من مصنف الرسائل

أتوجه بتحياتى الصادقة أولا إلى الشاعر (ماكس برود) صديق (كافكا) ومحرر كتاباته بعد وفاته، لإسناده تحرير هذه الرسائل إلى. وكنت قد تسلمت هذه الرسائل من صديقتى المبجلة (ميلينا) في ربيع عام ١٩٣٩ في براغ- بعد دخول القوات الألمانية بفترة قصيرة، ولما لم أتمكن من أخذ هذه الرسائل معى عند هربى، فقد بقيت محفوظة فى أمان لدى أقاربى فى (براغ) خلال تلك السنوات المشؤومة حتى عام ١٩٥٤. ولدى كل ما يدعونى إلى أن أقرر مطعمنا أن (ميلينا) لم

تكن لتعترض على نشر هذه الرسائل بعد وفاتها، كما حصلت أيضا على مرافقة زوجها، الذي توفي عندئذ، في وصيته الأخيرة، وقد كان له في هذه المراسلات دور لا يمكن حذفه.

ولما لم تكن هذه الرسائل تحمل تواريخ على الإطلاق، فقد تجسمت عناء بالغاً في ترتيبها زمنياً، إن قيامي بترتيبها المرة بعد المرة بناء على مئات الإشارات، والإيماعات غير المباشرة، واستناداً إلى بعض المعلومات التي اعتمدت عليها كدليل أهتدى به (كاحتفال الـ HUS في براغ، والاحتفال بالعيد السنوي للجمهورية الفرنسية، وعيد ميلاد ميلينا، وترقيم عدد من الرسائل بأرقام سلسلة إلخ...)، كل هذا اقتضاني جهداً استغرق شهوراً عدة. لم أضطلع بإنجاز هذا العمل وحدي، كما أنني أبعد ما أكون عن الإصرار على نجاح هذا العمل الذي قمت بأدائه، نجاحاً لايقبل المراجعة في تفاصيله كلها. فليس من الصعب أن يصدر أحد معاهد اللغة، بمساعدة فهرس خاص من بضعة آلاف من الكلمات، طبعة خاصة تشتمل على تحقيق كامل للنص متضمناً التواريخ المضبوطة.

ومع ذلك فليس هذا هو هدف نشر هذه الرسائل، التي يهدف نشرها ببساطة إلى تقديم هذا السجل النادر في كتاب مقروء، منقح، ومفسر بأقصى عناية ممكنة. وعلى القراء أو النقاد الذين يظنون أنهم قد وقعوا في أثناء قرائتهم لهذه الرسائل على أخطاء في الترتيب الزمني من واقع ما تتضمنه من أحداث، على هؤلاء أن يتفحصوا ما يرونه فحصاً دقيقاً، فسوف يكتشفون - في أغلب الحالات - عندئذ أن إشارة من الإشارات القاطعة، لا تلبث أن تواجهها اثنتان من الإشارات الأخرى التي تناقضها.

إن محرر هذه الرسائل سيكون ممثنا غاية الامتتان، على الرغم من ذلك، للاقتراحات التي تقوم على أساس صحيح لإعادة ترتيب هذه الرسائل، حيث يمكن الانتفاع بهذه الاقتراحات في طبعة ثانية. وفي هذا الخصوص لا يفوتني أيضا أن أوجه شكرى إلى ناشر أعمال كافكا «مستر سالمان شوكين»، لاقتراحاته وإشاراتة التي تستحق التسجيل.

أما فيما يختص بنص الرسائل، فقد شطب (كافكا) بنفسه فقرات عديدة، وردت بها، وربما تكون «ميلينا» قبل أن تسلمنى حافظة الأوراق التي احتوت على هذه الرسائل، قد كتبت بضع فقرات، غير واضحة، بالحرر.

وفى حالة نشر طبعة تتضمن تحقيقا شاملا لنص هذه الرسائل، يبدو لى أنه لن يكون من الصعب أن يتم نقل هذه الفقرات حتى تتضح قراءتها ببعض الوسائل الكيميائية، أو معالجة قراءتها بأشعة (إكس). ولا حاجة بنا إلى القول بأن هذه الفكرة لايمكن الالتجاء إليها، فمن عديد من الفقرات القصيرة والتلميحات التي تبدو معلقة فى الفراغ، يمكن أن يستنتج المرء أن عددا قليلا من الصفحات، أو عددا من الرسائل قد فقدت.

أما فيما يتعلق بمن لايزالون على قيد الحياة ممن تناولتهم هذه الرسائل ، فقد كان لابد من حذف بضع فقرات معينة من الرسائل، ويأسف المحرر لاضطراره إلى هذا الإجراء الضرورى، فقد ورد اسم «المحرر شخصيا فى تلك الفقرات المحذوفة عديدا من المرات. ومحرر هذه الرسائل - وهذا موجه مقدما إلى أى ناشر لهذه الرسائل فى المستقبل - ليس لديه شخصيا أى اعتراض على نشر تلك الفقرات

المحذوفة التي تتضمن اسمه، على الرغم من بمرض الاستنتاجات الوهمية، والخاطئة التي ربما كان (كافكا) قد استنتجها من إحدى الحوادث المؤسفة إلا أن ما يفاجئنا بغرابته في هذه الرسائل الغرامية، هو أن (كافكا) لم يكن (بالمعنى المتفق عليه بصفة عامة) يغار من أصدقاء (ميلينا) من الرجال، بل كان يغار من صديقات شبابها المبكر من الفتيات. ومن الأمور الغريبة أيضا أنه لم يتبين فيما يبدو بوضوح سبب كراهيته لأناس معينين، ونتيجة هذا هو ما نجده في هذه الرسائل، صور شخصية لبعض الكتاب، أو صور كاريكاتيرية لاعلاقة لها بالواقع.

وهي أجزاء لا يمكن نشرها الآن!، إن الخطأ العميق الذي قد يترتب على نشر هذه الصور الشخصية هنا، والآن، قد يتأكد مستقبلا، عند صدور الطبعة الكاملة - ونأمل أن يتم ذلك يوما ما - لهذه الرسائل، ولأسباب أخرى مماثلة وواضحة، حذفنا كذلك أغلب ما يتعلق بأسرة ميلينا.

وعلى الرغم مما قد يثور من الريبة الشديدة، بالإضافة إلى ذلك، فقد رأيت الإبقاء على أغلب الفقرات التي تشير إلى اليهودية، ذلك أن غرام كافكا اليهودي بامرأة غير يهودية، كان مشكلة خطيرة مؤسسية (مثقلة للغاية بالتعقيدات النفسية، ومركبات النكوص)، وقد تبدت أزمته تلك في صورة ثورات بالغة من إذلاله لنفسه، كيهودي.

وحذف هذه الفقرات لم يكن ممكنا دون الإخلال بروح هذه الرسائل كلها، على الرغم من أن تلك الفقرات بالذات، تستقطب كل أشكال سوء الفهم، واقد واجهت هذه الفقرات لحسن الحظ، فقرات أخرى عكست زهو وثقته بالمستقبل إلى حد بعيد، لكي نؤكد، بعد

هذا، صبغة هذا الكتاب غير العلمية، ونبين أن هدفنا هو فقط تيسير قراءته، لم نعين مكان الفقرات المحذوفة.

إن العذر الوحيد الذي يبرر به محرر هذه السطور، عدم اضطلاع (ماكس برود)، بتحرير هذا الكتاب الذي بين أيدينا، كما فعل بباقي أعمال (كافكا) الأخرى، هو معرفة (المحرر) بميلينا وحلقة أصدقائها التشيكيين معرفة وثيقة دامت أعواما عدة، وكان على علاقة شخصية بهم، وإلا ما كان له أن يتورط في مثل هذه المنافسة الياشنة مع محرر (كماكس برود) - الذي ربطته بكافكا صداقة دامت العمر كله، تلك الصداقة التي تمخضت عن اكتشاف عبقرية كافكا، ودفعها، بإخلاص لا يفوقه إخلاص، وأمانة في عمله كمحرر لكتابات صديقه بعد وفاته -، إلا لجرد وضع الخطوط الخارجية لصورة صديقة كافكا النبيلة (ميلينا)، ذلك أن صورتها الشخصية جديرة حقا بالظهور إلى حيز الضوء، وإن كان فقدان رسائلها إلى كافكا، خسارة لا سبيل إلى تعويضها.

لا بد لي من أن أذكر أنني قد استخدمت أعمال ماكس برود عن سيرة حياة كافكا ودراسة أعماله، استخداما أساسيا - ولا أكاد أذكر لأخرين جهدا ذا بال استندت عليه في هذا الشأن -، ولدى أخيرا، كل ما يدفعني إلى التعبير عن عميق امتناني لفرأو (شتاتزا) التي ورد ذكرها كثيرا في الرسائل.

فيلي هاس

ثرويز دورف - مايو ١٩٥٢

الرسائل

سيدتى العزيزة ميلينا

ميران- أونتريميه

بنسيون أوتوبورج

كتبت لك رسالة من براغ، ثم أخرى من ميران، ولم أتلق ردا عليهما. إن الرسالتين لانتطلبان بالفعل ردا سريعا، على غير العادة، فإذا لم يكن صمعتك سوى دليل على السعادة، التى تعكس نفسها غالبا فى صورة رغبة عن الكتابة، فسوف أطمئن عندئذ. لكن من الممكن أيضا - وهذا هو ما يدفعنى إلى أن أكتب إليك - أن أكون قد أسأت إليك فى رسالتى بصورة ما (فيا لليد الخرقاء، التى تأبى أن تنسجم مع كل ما أضمره!، هل يمكن أن تكون هذه هى القضية؟)، أو ماذا فى الحقيقة يمكن أن يكون أكثر سوءا من هذا؟ لقد اختفت مرة أخرى تلك اللحظة التى أننسم فيها نسمة هادئة مما تحطه يدك، ويشى هذا بأن وقتا عصيبا قد مر بك. ليس لدى ما أقوله عن الاحتمال الأول، إنه أبعد مما يمكننى أن أبلغه، أما ما عدا ذلك ففى متناول يدي. أما عن الاحتمال الثانى، فلن أنصح - كيف يتسنى لى أن أنصح؟ -، لكننى فقط أتساءل: لماذا لا تغادرين فيينا لفترة من الوقت؟ ثم، إنك لست بلا وطن، كالأخرين، ألا تمدك رحلة إلى بوهيميا بنشاط، وطاقمة متجددة؟، وإذا كان ثمة سبب من الأسباب قد حال دون أن أعلم برغبتك عن الذهاب إلى بوهيميا، فلماذا إذن لا تذهبين إلى أى مكان آخر، ربما، إلى «ميران» مثلا، هل تعرفينها؟.

أنا إذن فى انتظار أحد أمرين، إما أن تواصلى الصمت، الذى سيكون معناه: «لاتخش شيئا، إننى فى خير حال»، أو بالأحرى بضع سطور قلائل.

أرق تحيات

كافكا

لم أتمكن من أن أتذكر وجهك، ولا تذكرت شيئا من ملامحه بصورة واضحة، أذكرك فقط بينما كنت تتعدين وسط مقاعد المقهى، هيئتك بصفة عامة، ثوبك... ما زلت أذكرهما.

سيدتى العزيزة ميلينا

إنك تثقلين على نفسك بالترجمة وسط جو ثينا الكئيب. إنه جو مقبض على نحو ما، ويثير الحيرة فى نفسى. لعلك قد تسلمت أخيرا رسالة من فولف^(١)، فقد كتب إلى رسالة وصلتني منذ فترة قصيرة أشار فيها إلى رسالته إليك؛ قال فيها أيضا أن قصة قصيرة بعنوان (القاتل) ستنشر فى كتيب، إننى لم أكتبها بعد، ولعل الأمر قد اختلط عليه، لكن ما دام يفترض أنها ستكون أفضل قصصى، فلعل هذه أن تكون هى الحقيقة فى نهاية الأمر.

يبدو أن القلق والهموم قد زایلتك تماما، استنتجت هذا من رسالتك الأخيرتين، أتمنى لك الخير، ولزوجك أيضا، هذا ما أتمناه لكليكما، أذكر عصر يوم من أيام الأحد منذ بضع سنوات مضت، كنت أخرج ساقى على امتداد (فرانتسزكه)، ملتصقا بجدران المنازل، أتقدم نحو زوجك، الذى كان مندفعاً نحوى، فى حال ليست خيرا من حالى. خبيرين فى الصداغ، رغم اختلاف سبيليهما اختلافا تاما. لست أذكر بعد ذلك إن كنا قد سرنا معا، أو تجنب أحدا الآخر. ليس الفارق بين الاحتمالين بالفارق الهائل لكن، ذلك ماض، ويجب أن يبقى مدفونا فى أعماق الماضى. هل تشعرين بالسعادة فى موطنك؟

أرق تحياتى

كانكا المخلص لك

(١) كورت لوف، ناشر كانكا.

ميران أوتنترمييه
بنسيون أوتويورج

سيدتي العزيزة ميلينا

لأن فقط انقطع المطر الذي دام سقوطه يومين وليلة، مع أن انقطاعه قد لا يستمر سوى لحظة، لكنه مع ذلك حدث يستحق أن يحتفل به المرء، وهذا هو ما أفعله بالكتابة إليك، وحتى المطر كان محتملا في الحقيقة، فالمرء غريب هنا في نهاية الأمر، وإن يكن فحسب مجرد غريب على نحو ما، إلا أن ذلك يثلج القلب... أنت أيضا، لو صبح تعبيرى (لقاء قصير، منعزل، شبه صامت، ربما لا يكون تسريه من خيال المرء محض صدفة)، أنت أيضا تمارسين الاستمتاع بغربتك في قبينا، مع أنك قد تفقدين استمتاعك ذاك فيما بعد تحت ضغط الحالات السائدة، لكن ، هل تمارسين أنت أيضا متعة شعورك بالغربة إلى هذا الحد؟ (تلك المتعة، التي قد تكون مصادفة، مجرد دلالة سيئة، وقد لا تحدث).

إننى أعيش هنا في خير حال، ولا يطبق الجسد الفانى مزيدا من العناية. وتطل شرفة غرفتي على حديقة محاطة بسور، تزدهر فيها الشجيرات المزهرة (إن النباتات هنا غريبة، فالزهور تتفتح في بلاء أمام شرفتي، في جو مثل جو براغ، تتجمد فيه بالفعل برك المياه)، وتعرض شرفة الغرفة كذلك لأشعة الشمس، أو بالأحرى للسماء التي تحجبها السحب إلى ما لا نهاية، كما هو الحال منذ ما يقرب من الأسبوع، تزورنى فى الغرفة السحالي، والطيور، وأنواع مختلفة من الكائنات تزورنى أزواجا أزواجا: إننى أرغب رغبة شديدة فى أن تكونى هنا فى ميران، لقد كتبت لى أخيرا عن عدم قدرتك على

التنفس، في هذه الكلمة تتجاوز الصورة والمعنى إلى حد بعيد، وفي
ميران قد تخف وطلتأهما بعض الشيء.

مخ أرق تحياتي المخلص ف . كافكا

إذن فهي الرئة. ظلمت طوال النهار أدير هذه الجملة في رأسي،
ولم أتمكن من التفكير في أي شيء، آخر، لم أستطع أن أفكر حتى
في أن ثمة نذير كان قد أُنذرنى بالفعل بهذا المرض، ولعل المرض،
وهذا ما نأمله - وتشير تليمحائك إلى هذا - يبدو في حالتك في
صورة اشتباه عديم الأثر، على أن مرض الرئة الفعلى (ونصف
سكان أوروبا الغربية، يعانون كثيرا أو قليلا من الأمراض الصدرية)،
هذا المرض الذي عرفته من خلال خبرتي الخاصة التي دامت ثلاث
سنوات، لعله أن يكون قد أفاننى بقدر ما ضررنى. بدأ الأمر بالنسبة
لى منذ حوالى ثلاث سنوات، فى منتصف إحدى الليالى بنزيف،
نهضت مرتاعا بسببه، كما يحدث للمرء عندما يواجه شيئا للمرة
الأولى، نهضت (بدلا من أن أستلقى متمددا كما تعلمت أن أفعل فيما
بعد حسب أوامرا الأطباء)، وكنت أيضا مضطربا بالطبع، على نحو
ما، سرت نحو النافذة، وانحنيت متطلعا خارجها، وقصدت حوض
الغسيل، ورحت أتجول فى أنحاء الحجرة، وجلست فوق الفراش -
وكان الدم ينزف بلا توقف. ومع ذلك فلم تنل منى التعاسة من جراء
ذلك، لأننى شيئا فشيئا، علمت بصورة قاطعة أننى سوف أنام، بعد
أن انقضت ثلاث سنوات أو أربع هجرنى فيها النوم، سوف أنام لأول
مرة، بعد أن يتوقف ذلك النزيف، ولقد توقف النزيف بالفعل (كما أنه
لم يعاودنى منذ ذلك الحين)، واستغرقت فى النوم بقية الليلة. وعندما

دخلت الخادمة (كان لى فى ذلك الحين شقة بالقرب من قصر شوينبورن) فى الصباح، وهى فتاة طيبة تكاد تنكر ذاتها، فى علاقتها بالآخرين، إلا أنها فتاة واقعية للغاية، قالت عندما رأت الدم: «سيدى الدكتور، إنك لن تعيش طويلا». لكننى أحسست بالتحسن ، على غير العادة، وذهبت إلى عملى، وتوجهت قرب الظهر إلى الطبيب، وليس لبقية القصة بعد ذلك كثير أهمية . لقد قصدت فقط أن أقول إن مرضك ليس هو الذى أفزعنى (خاصة أننى أقاطع نفسى باستمرار، لكى أعالج ذاكرتى، مكتشفا الانتعاش الذى يكاد يشبه انتعاش المرء وسط الحقول، تحت الرقة كلها، لأقرر بينى وبين نفسى قائلا: لا، إنك لست مريضا، إنه نذير بالمرض، ولكنه ليس مرضا بالرئة)، وهكذا فلم يكن ذلك هو ما يرعبنى، لكن ما يرعبنى هو التفكير فيما لابد قد سبق ذلك الاضطراب. فى تلك اللحظة كنت على وشك أن أتجاهل كل شيء آخر فى رسالتك، من قبيل لا يوجد جحيم أظلم - شأى وتفاح - يوميا من الثانية حتى الثامنة-، هذه كلها أمور لم أتمكن من فهمها، ويبدو أنها لا يمكن أن تفسر لى إلا شفويا. وعلى هذا فسوف أتجاهل هذه الأمور (مع أننى سأتجاهلها فقط فى رسالتى هذه، ذلك أن المرء لا يمكنه أن ينساها)، وسوف أفكر فقط فى التفسير الذى اهتمت إليه لتوى، فى حالة مرضى، والذى ينطبق على كثير من الحالات. إن ما حدث هو أن العقل لم يكن ليحتمل مزيدا من الهموم والمعاناة المكومة فوق عاتقه، إنه يقول: «لقد عجزت عن تحمل ذلك، لكن لابد من وجود شمة من يواصل الاهتمام بسلامة كل شيء، ويجب عليه أن يخلصنى من بعض عبئى، وستظل الأمور سائرة فى طريقها بعضا من الوقت» ثم تتحدث الرئة، مع أنه قد لا يكون لديها الكثير مما يمكنها أن تفقده، مهما كانت

الحال. لعلها أن تكون مناقشات تثير الرعب، تلك المناشات التي تدور بين العقل والردة دون أن أعلم عنها شيئاً.

وما الذى تنوون عمله الآن؟ قد يتضح أنه لم يكن سوى أمر عارض، لو أنك أحطت بنفسك بشيء من الرعاية. وحاجتك إلى شيء من الرعاية، أمر لا بد أن يدركه أى شخص مغرم بك، وكل شيء آخر، يجب لهذا، أن يوضع فى المحل الثانى. وهل يمكن أيضاً ألا يكون ثمة شيء من العزاء لك فى أى شيء آخر؟ كما قلت مر قبل - لا، لست فى حالة من حالات المزاج، كما أننى لا أحس مطلقاً بالمرح، ولن أكون كذلك حتى تكتبى إلى وتخبرينى كيف ستحاولين إعادة تنظيم حياتك على نحو جديد، يوفر لك مزيداً من الصحة. لماذا لا تغادرين فيينا لفترة قصيرة، هذا ما لم ألح فى سؤالك عنه، بعد رسالتك الأخيرة، فأنا أفهم الآن لماذا لا يمكنك مغادرة فيينا، إلا أن هناك مع ذلك أماكن أخرى رائعة بالقرب من فيينا، وكثير من الفرص لتوفير الرعاية لك. لن أكتب عن أى شيء آخر اليوم، فثشيء ذو أهمية كبيرة، يمكننى أن أتحدث عنه. سأكتب عن كل شيء آخر غداً، ومن بين هذه الأشياء الأخرى، شكرى على المخطوط الذى هزنى، وأشعرنى بالخجل، وبالحنن، وبالفرح. لا، ثمة شيء آخر قد تبقى لأقوله لك اليوم: لو أضاعك عليك الترجمة لحظة واحدة من لحظات نومك، فسوف تتحول هذه اللحظة إلى لعنة تحقيق بى. فى (يوم الحساب)، لن يكون ثمة مجال لبحث التفاصيل، لأنه سيكون ببساطة يوم إقرار الصيغيات: لقد حرمتها من النوم. عن هذا سوف تثبت إدانتى، وسيكون هذا هو الجزاء العادل. وعلى هذا فإننى أحسى نفسى، عندما ما أطلب إليك ألا تفعل شيئاً من هذا بعد الآن.

المخلص لك

فرنسيس ك

سيدتى العزيزة ميلينا

أريد اليوم أن أكتب لك عن أشياء أخرى، إلا أنني لا أستطيع، وليس ذلك لأننى أنظر بالفعل إلى تلك الأشياء نظرة جادة، فلو أنني كنت أنظر إليها على هذا النحو، لكنت فى الحقيقة قد كتبت بصورة أخرى، لكننى الآن، وللمرة الثانية أقول إنه لا بد لك من مقعد مريح من القماش تستلقين فوقه فى أحد أركان الحديقة، ركن تنقسمه الظلال وأشعة الشمس، ويجب أن توضع عشر زجاجات ممتلئة بالبن فى متناول يديك. من الممكن أيضا أن يحدث ذلك فى قبينا، خاصة الآن فى الصيف، لكن بدون جوع، ولا قلق. أليس هذا ممكنا؟ أو هل لا يوجد من يمكن أن يجعله ممكنا؟ وماذا قال لك الطبيب؟

عندما أخرجت المخطوط من المظروف الكبير، أحسست بخيبة الأمل، فلقد كنت أريد أن أقرأ لك أنت، لا أن أستمع إلى ذلك الصوت المألوف، ذلك الصوت المنبعث من القبر العتيذ. لماذا تدخل ذلك الصوت بيننا. ثم ماذا، إننى لا أكاد أصدق أنك قد أخذت بالفعل على عاتقك مشقة الاضطلاع بهذا الجهد الهائل. ولقد هزتنى حتى أعماقى تلك الأمانة التى أنجزت بها هذا العمل، جملة بعد جملة، تلك الأمانة التى لم أكن أحسبها ممكنة فى اللغة التشيكية إلا بالقدر الذى ساورتنى عنده الريبة فى قدرتك على تطويع اللغة على هذا النحو اللقائى الرائع. هل تتقارب اللغتان الألمانية والتشيكية إلى هذا الحد؟ مهما يكن من أمر، فإنها على أية حال، قصة بالغة البؤس، يمكننى أنؤكد لك هذا ياسيدتى العزيزة ميلينا، سطرًا بعد الآخر بغاية اليسر، غير أن النفور سيظل رغم هذا مستعصيا إلى حد ما على البرهان؟ أما عن إعجابك بالقصة، فإنه يكسبها بالطبع بعض القيمة، لكنه مع ذلك يساهم فى إظلام صورة العالم أمامى. ليس لدى

مزيد مما يمكننى أن أقوله عنها. سيرسل لك فولف قصتى (طبيب الأرياف)، لقد كتبت له فى هذا الشأن.

إننى أفهم اللغة التشيكية بلاشك. ولقد انتويت أكثر من مرة أن أسألك لماذا لم تكتبى لى بالتشيكية. لا أقصد بهذا أنك لا تجيدين اللغة الألمانية، فأنت تسيطرين عليها فى أغلب الأحيان على نحو رائع يثير الدهشة، وإذا خانتك قدرتك فى أحيان، فإن اللغة الألمانية تنحنى عندئذ أمامك طائعة من تلقاء نفسها، وهو أمر يبعث على السرور حقاً، ذلك أن الألماني نفسه لا يكاد يجرؤ على أن ينتظر هذا من لفته، فهو لا ينتظر من لفته هذه أن تسعفه فى الكتابة التى تبلغ هذه الدرجة من الخصوصية، غير أننى أريد أن أقرأك فى التشيكية، لأنها لا تنفصل عنك؛ لأن فيها وحدها توجد (ميلينا) باكملها، (إن الترجمة تؤكد ذلك)، بينما هنا، فى اللغة الألمانية، لست سوى مجرد تلك التى فى فيينا، أو تلك التى تحاول أن تبدو كما لو كانت من فيينا. لهذا أرجو أن تكتبى إلى بالتشيكية لو تفضلت بذلك. وأرجو أن ترسلنى القصاصات التى وعدتنى بها، لتكن تلقائية، فلقد تلمست طريقك أيضاً، بنفسك من خلال بساطة قصتى، لست أدري إلى أى مدى. ربما أمكننى أن أفعل هذا أنا أيضاً، فإن لم أتمكن، فسأبقى متمسكا إنن بأفضل الأواء.

تسألن عن خطوبتى. لقد خطبت مرتين (ثلاث مرات، إن شئت، ومعنى هذا أننى خطبت فتاة منهما مرتين)، وعلى هذا فقد فسخت خطبتى ثلاث مرات، قبل إتمام الزواج فى كل مرة، ببضعة أيام قلائل فحسب. ولقد انتهى تماماً كل ما يتعلق بالخطوبة الأولى (سمعت أنها قد تزوجت أخيراً، وورقت أيضاً بطفل)، أما الخطوبة الثانية، فما زالت قائمة، لكن دون أدنى أمل فى إتمام الزواج، وهى لهذا خطوبة

لا وجود لها فى الحقيقة، أو أن لها وجودا مستقلا، وإن يكن استقلاله هذا على حساب آخرين. ولقد خرجت فى النهاية من هذه التجربة، ومن تجارب أخرى غيرها، بأن الجانب الأكبر من المعاناة ربما كان من نصيب الرجال، أو، لوراق للمرء أن يفطر إلى المسألة من هذه الزاوية، فلعلة أن يقول إن مقاومة الرجال أقل فى هذا الصدد، وأن النساء يعانين معاناة أقرب إلى البراءة لا بمعنى أنهن (لسن مخطئات)، بل بمعنى أكثر اقترابا من الحقيقة، لعله يؤدي بنا مرة أخرى، على الرغم من هذا، إلى أنهن (غير ملومات). على أن التفكير فى هذه الأمور، لايجدى. فهو أشبه بمحاولة المرء أن يحطم مرجلا واحدا من مراجل الجحيم، لاجدوى أولا، من محاولة كهذه، وثانيا، حتى لو كانت هذه المحاولة ذات جدوى، فسوف يحترق المرء مع ذلك، ويهلك فى ذوب اللهب الذى سيتدفق عند تحطيم ذلك الرجل، هذا... على حين سيبقى الجحيم بكل عنفوانه.

إن على المرء فى الحقيقة أن يعالج ذلك بطريقة أخرى.

ونقطة بدايتنا فى هذا السبيل، هى بعد هذا كله، أن تستلقى فى إحدى الحداثق، وتتخلصى من المرض، وخاصة إذا لم يكن مرضا فعليا، تخلصى منه بأقصى ما يسعك من الاستمتاع، فثمة متعة بالغة فى تخلص المرء من المرض.

المخلص لك

فرانتس ك.

سيدتى العزيزة ميلينا

أصرح لك أولا، فى حالة ما إذا كنت قد قرأت ذلك بين السطور، رغم حرصى على ألا تغطنى إليه: بأننى أعانى من الأرق المتزايد

طوال ما يقرب من الأسبوعين، على أننى لم أهتم اهتماما زائدا بهذا، ففترات الأرق تتناوبنى وتزايلىنى، وتتوقف هذه النوبات على عوامل عديدة ثابتة، وإن تكن فى غير حاجة إليها (فمن الممكن كما يقول بيديكر أن يكون هواء ميران وحده، سببا كافيا تماما)، وحتى لو لم يتوفر أدنى أثر لأى من هذه العوامل الخارجية، فسوف يجد المرء نفسه، فى بعض الأحيان ثقيلًا كالكتلة، وقلقا فى الوقت نفسه، قلقًا كحيوان فى داخل غابة.

عزائى الوحيد مع هذا أنك قد استغرقت فى نوم هادئ، وإن كنت ما تزالين تحسّين (بغرابة ذلك)، على الرغم من أنك كنت غاضبة جدا بالأمس، إلا أنك على الرغم من هذا كله، قد استغرقت فى النوم، والآن، عندما يتجاوزنى النوم، ويمر فى الليل دون أن يحفل بى، فإننى أعرف عندئذ وجهته. وأرضاهها، وفوق هذا، فمن الغباء أن يثّر عليه المرء، فالنوم هو أكثر (المخلوقات) براءة، والرجل الذى يهجره النوم، هو أكثر الرجال ذنوبًا.

إن ذلك الرجل الذى هجره النوم، هو الذى شكرته فى رسالتك الأخيرة. فلو قدر لغريب، لا يعلم شيئًا عن الحقيقة، أن يقرأ هذا فلعله أن يتعجب قائلاً: ياله من رجل!، يبدو عليه فى حالته تلك، وكأنه قد حرك الجبال، على أنه فى الحقيقة، لم يفعل شيئًا، لم يحرك أصبعا (فيما عدا أصبعه التى يضغط بها على القلم)، إنه يعيش على اللبن، وعلى أطيب الطعام دون أن يرى الشئ والتفاح، أمامه دائما، وهو فوق هذا لا يحاول أن يقحم نفسه فى أمر من الأمور، ويترك الجبال كما هى فى أماكنها.

هل تعرفين قصة أول نجاح صانفه نستويفسكى؟، إنها قصة تحفل بأشياء عديدة وأنا أذكر اسم الرجل العظيم فقط تأكيدا لما

أريد قوله، ذلك أنك قد تسمعين هذه القصة من أحد جيرانك، قد تسمعين من هذا الجار أو من غيره قصة لها نفس المغزى. علاوة على أن تلك القصة ليست واضحة تمام الوضوح فى مخيلتى، خاصة فيما يتعلق بالأسماء. فبينما كان دستوففسكى يكتب روايته الأولى (الفقراء)، كان يقطن مع صديق له من الحقل الأدبى، يدعى جريجورييف، ومع أن هذا الصديق كان يرى كل يوم صفحات الرواية الكثيرة فوق منضدة الكتابة أمامه، لشهور عديدة، إلا أنه لم يتناول ذلك المخطوط أبداً، إلا عندما كانت الرواية قد تمت. قرأها، فهزته، ودون أن يقول لدستوففسكى كلمة واحدة، أخذها، وذهب بها إلى الناقد الشهير عندئذ (نكراسوف)، وارتفعت دقات الجرس على باب دستوففسكى فى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى. كان الطارقان هما (جريجورييف) و(نكراسوف)، اندفعا عندما انفتح الباب إلى داخل الحجرة، فاحتضنا دستوففسكى، وانها لا عليه تقبيلاً، وأطلق عليه (نكراسوف) الذى لم يكن قد التقى به من قبل لقب (أمل روسيا). وانقضت ساعة، ثم أخرى، وهما يتحدثان إليه، ودار أغلب حديثهما حول الرواية، ولم ينصرفا إلا قرب الفجر. وانحنى دستوففسكى الذى ظل دائماً يشير إلى هذه الليلة، على أنها أسعد ليالى عمره، انحنى على النافذة، وتبعهما بنظراته، كان الانفعال لحظتها قد أفقده توازنه تماماً، فشرع فى البكاء، وكان الشعور الذى سيطر عليه، وهو بيكى، هو ذلك الشعور الذى وصفه فيما بعد، لست أدري أين، بهذه الكلمات: «هؤلاء الناس الأصلاء» يالهم من نبلاء، وطيبين، ويالى من زائف، أه لو أتيح لهم فقط أن ينظروا فى أعماقى! ولو كان لى أن أقول لهم ما خفى عليهم، فقد لا يصدقون قولى!» إن محاولة دستوففسكى عندئذ لأن يماثلهما لم تكن ببساطة

سوى مجرد حذقة، وعلى الشباب الذى لا يقهر أن يقتنص الكلمة الأخيرة، وهذه الكلمة لا تنطوى عليها قصتي هذه التى انتهت عند هذا الحد! هل تبينت يا سيدتى ميلينا، ذلك المغزى الذى قد لا يتسنى للعقل أن يدركه؟ إنه هذا، على ما أظن: لم يكن جريجورييف ونكراسوف، بلا جدال، على قدر ما يسعنى أن أوجز القول فى هذا المقام، أكثر نبلاً من دستوفسكى، لكننا لو صرفنا نظرنا عن تلك النظرة الشاملة التى لم يدعيها دستوفسكى أيضاً فى تلك الليلة، والتى لاجدوى منها فى مثل تلك الحالة الفريدة - ولو أنك استمعت فقط إلى دستوفسكى، فسوف تقتنعين بأن جريجورييف ونكراسوف كانا حقاً أهيلين، وأن دستوفسكى ليس نقياً، وأنه زائف إلى غير حد - وأنه لن يبلغ بالطبع نصف علو شأنهما - ولندع جانباً احتمال أنه كان بإمكانه أن يرد لهما دوماً عطفهما ذاك الهائل الذى غمراه به دون أن يستحقه منهما. إن المرء يوشك أن يراهما من خلال تلك النافذة، وهما يختفيان فى البعد، وبهذا يوحيان باستحالة أن يبلغهما أحداً! - إن مغزى هذه القصة، لسوء الحظ، قد تبدد نتيجة لضخامة اسم دستوفسكى!

إلى أين سيؤدى بى سهادى؟

بالتأكيد ليس إلى شىء، لم يكن مقصوداً بالفعل.

المخلص لك

فرانتس ك.

سيدتى العزيزة ميلينا

بضع كلمات قليلة فحسب، وريعا كتبت لك غداً مرة أخرى، أما اليوم، فإننى أكتب فقط لصالحى، لمجرد أن أفعل شيئاً لنفسى، لمجرد

أن أبعد قليلا، ذلك الانطباع الذى أحدثته رسالتك، وإلا فإن ذلك الانطباع سيبقى مسيطرا على ليلا ونهارا. إنك فى غاية الغرابة، يا سيدتى ميلينا، فأتت تعيشين هناك فى قبيتنا، وتقاسين من هذا الأمر، ومن ذلك، ولايزال أمامك متسع من الوقت لكى يدهشك أن آخرين، أنا مثلا، لا أشعر بأننى على ما يرام، وأننى كل ليلة أنام نوما سيئا، أسوأ من نومي فى الليلة التى سبقتها، ولصديقتى الثلاث اللاتى يعشن معى هنا (ثلاث أخوات أكبرهن فى الخامسة من عمرها) موقف أكثر حساسية، فقد أردن أن يلقين بى فى الماء، فى أقرب فرصة، سواء كنا بالقرب من النهر، أو لم نكن، وليس ذلك لأننى قد تسببت فى إلحاق أذى أذى بهن بحال من الأحوال. وعندما يهدد الكبار الأطفال على هذه الصورة، فإن الأمر بالطبع لايعبو أن يكون سوى مجرد مزاح، دافعه الحب، ولايعنى سوى شيء من قبيل: على سبيل التسلية، هيا بنا نقول أكثر الأشياء استحالة، لكن الأطفال جاكسون، كما أنهم لايمكنون يعرفون المستحيلات، إن عشر محاولات فاشلة لطرح أى شيء أرضا لايمكن أن تقنعهم بأن الأمر لن يتم على نفس الصورة فى المرة التالية، وهم فى الحقيقة، لايتحققون أيضا من فشل المرات العشر السابقة. إن الأطفال خبيثاء عندما يتقل المرء ألفاظهم ونواياهم بمعلومات الشخص الراشد. وعندما تهاجمنى تلك الطفلة ذات الأعوام الأربعة - التى تبدو كأنها لم توجد فى هذا العالم سوى لكى تتلقى القبلات والأحضان، تلك الطفلة الممتلئة كالدبة الصغيرة، ببطنها التى ما تزال مستديرة من أثار أيام الطفولة الماضية، - وعندما تسندنها شقيقتها من اليمين ومن اليسار، ولايكون خلفى سوى الترابيزين، وأبوهم العطوف، وتلك الأم الرقيقة الجميلة الممتلئة (التي توشك على الوضع) تبتسم لهذا كله من على

البعد، دون أن تبدو عليها النية فى تخليصى من بناتها، عندئذ أكاد أشرف على نهايتى، وربما يمكن للمرء أن يصف كيف تم إنقاذه! إن الأطفال الحساسون، والملمهون، يحاولون أن يدفعوننى بعيداً دائماً دون سبب واضح، لعلهم يروونى زائداً عن الحاجة، ولعلهم لا يعرفون شيئاً عن رسائلك أو عن ربودى.

إن (القصد الواضح)، فى رسالتى الأخيرة، لا يجب أن يخيفك، لقد حدث فى نوبة من نوبات الأرق، وهى ليست نادرة الحدوث هنا. أن كتبت لك تلك القصة، إن استغراقى فى التفكير فيها كان يبدو لى غالباً، شيئاً يتعلق بك على نحو ما، لكننى عندما فرغت من كتابتها أحسست بتوتر يشد جانبي جبهتى حتى أننى لم أعد أذكر تماماً ما الذى رويته لك فيها، وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان قد تبقى ذلك الشكل غير المتبلور للأشياء التى كنت أنوي أن أرويها لك وأنا مستقل فوق مقعدى الخشبي خارج غرفتى، فى الشرفة، وهكذا لم أجد أمامى ما أفعله سوى أن أشير إلى الشعور الأساسى، ولا يمكننى حتى الآن أن أفعل شيئاً أكثر من ذلك.

إن لديك كل ما نشر لى، فيما عدا كتابى الأخير (طبيب الأرياف)، وهو مجموعة قصص قصيرة، سيرسلها لك فولف، أو أننى على الأصح قد كتبت له منذ أسبوع لكى يرسلها لك. لا يوجد شيء معد للطبع، كما أننى لا أعرف ما عسى أن يتم. ولا اعتراض لدى على أى شيء يروق لك أن تغليه بالكتب والترجمات، إن ما يؤسف له أنها أشياء ليست ذات أهمية كبيرة عندي، حتى يكون تركى لها بين يديك تعبير حقيقى عن الثقة التى أشعر بها نحوك. ومن ناحية أخرى، فلقد أسعدتنى قدرتى على أن أقوم بتلك التضحية الصغيرة، التى استلزمها ملاحظتك الصغيرة عن «العطشجى».

سوف يكون توقعا سابقا لأوانه، توقع تلك اللعنة الأبدية التي تنتج عن التورط مرة أخرى في ممارسة المرء لحياته بعين واعية، ذلك أن أسوأ ما فى الأمر، ليس تبصر المرء بأخطائه الواضحة، بل تبصره بتلك الأعمال التي اعتبرها ذات مرة أعمالا صالحة.

وعلى الرغم من كل ذلك، فالكتابة تفيد المرء، فأنا أكثر هدوءا الآن مما كنت عليه قبل ساعتين، عندما كنت أقرأ رسالتك، على مقعدى فى الشرفة. فبينما كنت أستلقى هناك، سقطت خنفساء على ظهرها أمامى، على مسافة ياردة من مكانى ، وبدأ عليها اليأس لعجزها عن أن تعتدل، ووددت أن أساعدها، فقد بدا لى ذلك سهلا، خطوة واحدة أخطوها، ودفعة بسيطة، كانت ستنتهى المشكلة، لكننى نسيتها بسبب رسالتك، كما أننى لم أتمكن من النهوض من مكانى إلى أن أعادتني إلى وعيى بالحياة من حولى مرة أخرى، سحلية، اتجهت فى طريقها نحو الخنفساء، التي كانت ساكنة فى وضعها كما هى، قلت فى نفسى، ومع ذلك فلم تكن حادثة تلك التي وقعت لها، لكنه كان صراع الحياة مع الموت، ذلك المشهد النادر لموت الحيوان، ميتة طبيعية، لكن السحلية عندما زحفت فوقها، قلبتها إلى وضعها الطبيعى ، ومع أن الخنفساء بقيت مستلقية لفترة قصيرة، كما هى، وكأنها ميتة، فقد انطلقت بعد ذلك فجأة، تجرى مساعدة حائط المنزل، وكأن شيئا لم يحدث. ولعل هذا أن يكون قد أعاد إلى شيئا من شجاعتي، فقد نهضت، وشربت قليلا من اللبن، وكتبت لك.

المخلص لك

فرانتس ك

غدا سأرسل لك التعليق، وسيكون بالمناسبة تعليقاً قصيراً للغاية، لن يشغل سوى حيز محدود. إن صدق الترجمة الواضح بذاته، هو بالنسبة لى (عندما أحاول أن أتجاوز ذلك الموضوع) مثار دهشة دائمة، فلا يكاد يوجد التباس واحد، مع أن ذلك حتى لو وجد، لن يكون أمراً بالغ الخطورة، ويقابلنى التماسك دائماً، والفهم الواثق. إن الشيء الوحيد الذى أريد أن أعرفه هو ما إذا كان التشيكيون لن يلومونك على إخلاصك هذا، الذى هو ما أحبه فى ترجمتك قبل أى شيء آخر (لا من أجل القصة بل من أجل)، إن إحساسى باللغة التشيكية - فإن لى إحساساً بها أيضاً - وهو إحساس قد أشبع تماماً - صار إحساساً بالزهو البالغ، وأياً ما كانت الحال فهل يمكن أن يوجد من يمكن أن يلومك على هذا، حاولي إذن أن تستعيسى عن الإساءة بتقديرى.

سيدتى العزيزة ميلينا

(لقد أخذ هذا الأسلوب الذى نلتزمه فى حديث أحدنا إلى الآخر، يسبب إرهاقاً لكينا، ولكنه يعد يداً من تلك الأيدي التى يتشبث بها المريض فى دنيانا هذه الفادرة، ولا تعد مثل تلك الأيدي دليلاً على التماثل للشفاء، عندما تتسبب فى إرهاق هؤلاء المرضى). لم يسبق لى أن اختلطت بالألمان، إن اللغة الألمانية هى لغة أمى، وهى لغة مألوفة لدى لهذا السبب، إلا أن التشيكية تبدو لى أكثر ألفة، لهذا السبب تؤكد رسالتك كثيراً من شكوكى. إننى أراك بصورة أكثر وضوحاً، حركات جسدك، يديك بالفتى السرعة، الماهرتين غاية المهارة، إن رسالتك تكاد أن تكون لقاء فعلياً، على الرغم من أننى كلما حاولت أن أرفع عينى إلى وجهك، كلما اندلعت النيران عندئذ

أثناء قراعتي لرسالتك - يالها من قصة ! -، فلا يسعني أن أرى شيئاً بعد ذلك، سوى النيران.

من الممكن أن يحمل ذلك، أى شخص على أن يقتنع بذلك القانون الذى يحكم حياتك، تلك الحياة التى أهملتها. وبأنك لا تريدين أحداً أن يشفق عليك انسياقاً مع ذلك القانون الذى تقرين بأن احتماله أمر تربيته طبيعياً، ذلك أن إهمال القانون ليس سوى محض غرور، وخيلاء (وأنا من يتكبد ثمن هذا)، كما أن البراهين التى سقتها لإثبات ذلك القانون، لا تحتاج من ناحية أخرى إلى مزيد من المناقشة، كل ما يسع المرء أن يفعله هو أن يلثم يدك فى صمت. أما من ناحيتي، فأبغض مؤمن بقانونك، وإن يكن فى غير استطاعتي أن أقنع بأن فى مقدوره أن ينقذك، ويتسلط، على هذا النحو الصارخ، فوق حياتك إلى الأبد، فعلى الرغم من أن هذا يعد تبصراً من ناحيتك، إلا أنها بصيرة على الطريق، وليست للطريق من نهاية.

وبغض النظر عن هذا كله، فإنه مما يرهق الذكاء البشرى المحدود، أن يراك المرء فى جوف ذلك القرن مرتفع الحرارة الذى تعيش فيه. سوف أتحدث الآن عن نفسى فحسب. ثمة احتمالات ثلاثة لديك فيما يتعلق بى، لو أن المرء نظر إلى الأمر كله كما لو كان واجباً مدرسياً. ففى مقدورك مثلاً، ألا تخبرينى بشيء عن نفسك، لكنك ستهمميننى عندئذ من متعة التعرف عليك، بل مما هو أكثر من هذا، من متعة اختبار نفسى عن أساس معرفتي بك. هذا هو السبب فى أنك لم تتمكنى من إخفاء نفسك عني، ثم إنك قد احتفظت بعيد من الأشياء كإصرار، أو ربما كنت قد تجاهلت ذكرها بالتفصيل، وهذا ما تصريين عليه حتى الآن. لكن ذلك فى ضوء ما آلت إليه الأمور الآن هو ما قد أحسه، حتى ولو لم أشر إليه، وهو ما قد يسبب

لى ألما مضاعفا. وهكذا فانت لايمكنك أن تفعلى هذا أيضا. ويبقى بعدئذ ثالث تلك الاحتمالات: وهو محاولتك حماية نفسك إلى حد ما، وإن شيئا من المجهود الذى تبذلينه فى هذا السبيل يتبدى واضحا بالفعل فى رسائلك. كثيرا ما قرأت عن الهدوء والثبات، مع أننى غالبا ما أقرأ الآن عن أشياء أخرى، أيضا، وأقرأ فى النهاية حتى عن: «الرعب الحقيقى».

ماذا عن صحتك (صحتى أنا على ما يرام، نوم فقط هو أسوأ شيء فى هواء الجبل). إن صحتك لا ترضينى، ولاأجد نفعا فى تشخيص الأطباء لحالتى بصورة عامة، أو أننى أجد أن ذلك التشخيص لا يتمخض عن شيء من النفع أو الضرر، رد الفعل وحده هو الذى ينجح فى توضيح حالة المرء الصحية. لاشك فى أن الأطباء أغبياء، أو أنهم ليسوا أكثر غباء من سواهم من الناس، إلا أن ادعاءاتهم تبعث على الضحك، وإن يكن على المرء أن ينتبه إلى حقيقة أن غباؤهم يزداد أكثر فأكثر فى اللحظة التى يصبح فيها بين أيديهم. عندئذ لا يحتاج الطبيب إلى أمر بالغ الغباء، أو إلى ما هو مستحيل. إن المستحيل هو أنك قد أصبحت مريضة بالفعل، وأن هذه الاستحالة ستبقى. إلى أى السبل تحولت حياتك منذ أن تحدثت لى الطبيب؟- هذا هو السؤال الأساسى.

هناك بعد ذلك، بعض الأسئلة الأقل شأنا، والتى قد تسمحين لى بتوجيهها: لماذا ومنذ متى تحتاجين إلى النقود؟، لماذا رأيت فى وقت ما، كما تقولين، أناسا كثيرين فى فيينا، ثم لم تعودى تريين منهم أحدا الآن؟

إنك لا تريين أن ترسلى إلى قصاصاتك، وعلى هذا فليست لديك

الثقة فى قدرتى على أن أضعها فى المكان الملائم من تلك الصورة التى أكونها لنفسى منك. حسنا، سوف أغضب منك إذن لهذا، مع أن غضبى لن يكون هنا بالمناسبة، غضبا بالغا، ذلك أن شينا من الغضب يلزم بالفعل لإحداث التوازن ، عندما يخرؤى فى ركن من أركان القلب قليل من ذلك الغضب، متحفزا ضدك.

المخلص لك

فرايتس لك

الجمعة

قبل كل شيء يا ميلينا، شكل تلك الشقة التى كتبت لى منها يوم السبت ؟ هل هى فسيحة وخالية؟ هل أنت وحيدة؟ نهرا وإيليا؟ لايد أن يكون هذا محزنا حقا، محزن أن تجلسى هنالك وحيدة فى ظهيرة يوم السبت الرائع ذاك أمام «شخص مجهول»، وجهه ليس سوى «صفحة مكتوبة». كم تحسنت أنا !، فعلى الرغم من صغر مساحة حجرتى، فإن ميلينا الحقيقية، تلك التى زایلنك صراحة يوم السبت، توجد معى هنا، وصدقينى إنه شيء رائع جدا، أن أكون معها.

إنك تتشكين من اللاجدوى، فى أيام أخرى كان الأمر يختلف، وسيبقى مختلفا، إن تلك الجملة الوحيدة (فى أى مناسبة قيلت تلك الجملة؟) تسبب لك الرعب، إلا أنها غاية فى الوضوح مع ذلك، لقد ذكرت تلك الجملة، أو قتلت بحثا بهذا المعنى، مرات لاحصر لها بالفعل. ويبدو حقا أن الإنسان حينما تعذبه شياطينه، يثأر لنفسه بصورة عمياء من أخيه الإنسان، لعلك فى مثل تلك اللحظات قد أردت

أن تفتدى الآخر تماما، فإن لم يتم لك ذلك اعتبر نفسك عديمة النفع.

من ذا الذى يجزئ على أن يتجه نحو ذلك للكفر؟ إن أحدا لم يتمكن من تحقيق ذلك بعد، حتى ولا المسيح؛ يمكنه أن يقول فقط: «اتبعونى»، ثم ذلك السطر الرائع (الذى اقتبسته سوء الحظ بصورة خاطئة): اسلكوا تبعا (لكلمتى)، وسوف ترون أنها ليست كلمة رجل، ولكنها كلمة (الرب). ويطرد (الشيطان) وحده، بعيدا عن هؤلاء الذين (تبعوه). وحتى ذلك لا يدوم إلى الأبد، ذلك أنهم لو تبعوه، فلن يلبث حتى (هو) أن يفقد التأثير «والهدف». حقا - وهذه هى النقطة الوحيدة التى أسلم لك بها - أنه قد استسلم هو أيضا للإغراء.



الجمعة

اليوم حتى المساء، قمت وحدى للمرة الأولى بالنعل بجولة طويلة إلى حد ما سيرا على قدمي، وإلا لكنت قد ذهبت مع آخرين، أو بقيت على الأغلب مستلقيا فى المنزل. ما هى تلك القرية! يا للسماء، لو أنك كنت هنا يا ميلينا - أنت «والعقل الباشى، العاجز عن التفكير»! إلا أنها ستكون كذبة بالنسبة لى لو قلت إننى أفقدك، إنه السحر الكامل، المؤلم، إنك توجدين هنا، مثلما أنا هنا، إن وجودك مؤكد أكثر من وجودي، إنك تكونين حيث أكون، وجودك كوجودي، وأكثر كثيرا من وجودي فى الحقيقة. لست أمزح، ذلك أننى أتخبك أحيانا، بما أنك هنا، تفتديننى، وتتسألين: «أين هو؟»، ألم يكتب قائلا إنه فى ميران؟»

ف

هلى تسلمت رسالتى، ردا على رسالتك؟

سيدتى العزيزة ميلينا

إن النهار بالغ القصر، فكيف يبدو لك، إن المرء ما يكاد يفرغ من قضاء بضعة أمور يومية تافهة حتى ينقضى النهار، فلا تكاد تتبقى لحظة واحدة يفرغ فيها المرء للكتابة إلى ميلينا الحقيقية، طالما أن ميلينا الأكثر حقيقة كانت هنا طوال النهار، فى حجرتى هذه، وفى هذه الشرفة، وفى السحب.

من أين أتت تلك الصبوة، وذلك المرح، وخلق البال، التى تطبع جميعها رسالتك الأخيرة؟ هل تغير شىء؟ أم أننى أخدع نفسى، ولا يخرج الأمر عن أن تلك الفقرات النثرية الرقيقة التى خطها قلمك هى التى أحدثت فى نفسى هذا الأثر؟ أو أنك قد أخضعت نفسك لشيء من هذا الانضباط، وبهذا أخضعتها كذلك للظروف؟ ماهى حقيقة الأمر؟

إن رسالتك تبدأ، كما يبدأ حديث القاضى، وأقول هذا جادا، إنك محقة فيما توجهينه من تعنيف «أو لعلك ليس لك كل الحق فى ذلك»، بقدر ما كان لك من الحق الواضح فيما يتعلق بذلك (الأمر الذى تعرفينه حق المعرفة). إن هذا واضح. ولو أن القلق البالغ المتصل يسيطر على، على نحو ما كان يسيطر على عندما كتبت لك، لما أمكنتنى، على الرغم من كل العوائق، أن أبقى مستقرا فوق مقعدى، ولكنك قد دخلت عليك حجرتك فى اليوم التالى - وهو البرهان الوحيد على الإخلاص، وما عداه ليس سوى مجرد لفو، بما فيه البرهان الأخير. أو هو لمحات إلى ذلك الشعور الذى يكمن تحت كل شىء، غير أن هذا الشعور، شعور صامت، ومستكين.

كيف حدث أن عجزت عن استيعاب هؤلاء الناس السخفاء الذين وصفتهم (وقد وصفتهم لهذا بحب يخلب الالباب)، مثلاً، ذلك الشخص الذى توجه بالسؤال، وكثير من الآخرين. إن الأمر لك فى النهاية، لتحكمى بنفسك، والمرأة هى التى تحكم دائماً فى النهاية. (إن أسطورة باريس تترك هذا الأمر مبهماً على نحو ما، لكن حتى باريس يحكم فقط لصالح أولئك الذين يرى أن أحكام إلهاتهم النهائية، هى أقوى الأحكام جميعاً). إن السخافات التى من هذا القبيل لا تهم كثيراً، فقد تكون سخافات اللحظة، التى تتحول بعد ذلك بصفة عامة إلى جد و خير - هل هذا هو الأمل الذين يربطك بهؤلاء الناس؟ من الذى يستطيع أن يقول بأنه يعرف الأفكار السرية التى تدور فى رأس قاض من القضاة، غير أن انطبعا يتمكنى بأنك تتجاوزين مثل تلك السخافات، التى من قبيل الفهم، الحب، وأنتك بحبك تضيفين هالة من الشرف على مثل تلك السخافات. إن هذه السخافات ليست سوى شيء من قبيل اهتزازات الكلاب، وحركتها المتعرجة عندما تعدو، بينما السيد يمضى مستقيماً فى طريقه إلى الأمام، لا فى الوسط بالضبط، لكن حيث ينفسح أمامه الطريق تماماً. سوف يبقى مع ذلك، مكان ما لحبك، وهذا ما أثق فيه مطمئناً (على الرغم من أننى لا أستطيع أن أغالب التساؤل، والإحساس بغرابة هذا الاطمئنان الواثق) وهو ما يذكرنى، لمجرد أن أؤكد لنفسى وجهاً من وجوهه، بما قاله ذات مرة، موظف معى فى المكتب. اعتدت منذ سنوات عديدة أن أخرج غالباً للنزهة فى قارب صغير، فوق سطح (المولداو)، جدفت فى إحدى تلك المرات ضد التيار، ثم تعددت على ظهري، وتركت نفسى للتيار يجرفنى تحت القنطرة. ربما كان منظرى يبدو مضحكاً جداً، لشدة نحافتى، لمن قد يتطلع إلى من فوق

تلك القنطرة. وعندما شاهدتني ذلك الموظف، على هذا النحو، فى إحدى تلك المرات، ويعد أن أُلح على الجانب الضاحك فى ذلك المشهد بما يكفيه، لخص انطباعه عن ذلك المشهد كما يلى: إنه يبدو مشهدا يسبق (الحساب الأخير) مباشرة، يمثل اللحظة التى ترتفع فيها الأغنية عن الأكفان، بينما يبقى الموتى كما هم بلا حراك.

لقد خرجت فى نزهة قصيرة (ليست هى تلك النزهة الطويلة التى حدثت عندها ولم تتحقق)، وقد ظللت عاجزا نحو ثلاثة أيام من شدة الإرهاق (لم يكن إرهاقا خطيرا)، عن عمل أى شىء، عاجزا حتى عن الكتابة إليك، قرأت فقط الرسالة - وقرأت (المقال)^(١) عددا من المرات، وفى اعتقادى أن مثل تلك القطعة النثرية لم توجد، بالطبع، فى حد ذاتها، لكنها لابد قد خرجت إلى الوجود لكى تكون شيئا من قبيل لوحة الإعلانات على الطريق المؤدى إلى شخص ما، على طريق يواصل المرء سيره عليه بسعادة متزايدة، حتى يدرك المرء فى لحظة إشراق، أنه لا يتقدم بل يجرى بسهولة فى صورة دائرية فى متهاته الخاصة به، غير أنه يجرى بتأثر متزايد، وبانفعال متزايد عن ذى قبل، لكن، أيا كانت الحال: فليس كاتباً عادياً، ذلك الذى يمكنه أن يخط مثل ذلك المقال.

فعندما قرأته امتلأت ثقة فى كتابتك، كتفتى فى شخصك، أعرف فى اللغة التشبيكية (فى حدود معلوماتى المحدودة)، موسيقى واحدة فقط تستهوينى فى تلك اللغة، هى موسيقى لغة (بوتسينا نيمكوفا)^(٢)، وهامى ذى موسيقى أخرى، إلا أنها تنتمى إلى الموسيقى السابقة فى

(١) قصاصات ميلينا المنشورة فى الصحف التشيكية.

(٢) كاتبة تشيكية كبيرة (١٨٢٠ - ١٨٦٢)، من أشهر أعمالها روايتها (Babicka الجدة).

الإرادة، والعاطفة، والجمال، وتتسم فوق ذلك كله بالذكاء الواعى، هل يمكن أن يكون هذا كله نتيجة للسنوات القلائل الأخيرة وحدها؟ هل تكتفين باستمرار؟ سوف تقولين بالطبع إننى أتحامل عليك بطريقة تثير الضحك، وإنك لمحقة بالفعل، إننى بالطبع متحامل، لكننى لست متحاملا بما اكتشفته فى المقال (وهو بالمناسبة) ليس مقالا سلسا، وتشير بعض أجزائه من حين لآخر إلى تأثير الصحافة الضار)، لكننى متحامل بما عدت فاكتشفته مرة أخرى فى المقال. فى إمكانك أن تلحظى على الفور غرابة حكمى مع ذلك، فقد خدعتنى فقرتان، فأوشكتا أن تقنعائى بأن أسلوب المقال المبتور يمكن أن يكون من نتاج يدك. أحب جدا أن أحتفظ بالقصاصات، ولو لكى أطلع عليها شقيقتى، لكن بما أنك تريدينها فى الحال، فسوف أرسلها لك، خاصة، وأننى أرى بعض المذكرات الحسابية فى الهامش.

لقد كونت لنفسى صورة أخرى عن زوجك. بدا لى وسط جمع المقهى أشد الأشخاص جدارة بثقة المرء، وأكثرهم قدرة على الفهم، وأكثرهم هدوءا. بدا لى شخصا يفيض بمشاعر الأبوة إلى غير حد، على الرغم من أنه شخص غامض أيضا، لكن ليس إلى الحد الذى يمكن أن يلغى ما قلته عنه الآن، إننى أكن احتراما له دائما، أما عما يمكننى أن أراه فيه، أبعد من ذلك، فليست لدى الفرصة ولا المقدرة على أن أرى شيئا فيما عدا ما ذكرته، لكن بعض الأصدقاء، وخاصة ماكس برود، له رأى قيم فيه، ولقد كنت دائما على وعى بهذا الرأى عندما كنت أفكر فيه.

لقد أحببت بصفة خاصة فى إحدى المرات غرابة طوره التى تتبدى فى اهتمامه بأن يطلب الرد على التليفون فى كل مقهى، عدة

مرات خلال الليلة. ويبدو أن شخصا ما، لا بد له، بدلا من أن ينام أن يجلس إلى التليفون، وهو يغالب نعاسه، ورأسه على ظهر مقعده، ويتفرغ هذا الشخص بين الحين والآخر، لكي يتصل به تليفونيا. إنها حالة أفهمها غاية الفهم، حتى أنتى أذكرها فقط لهذا السبب.

المخلص لك

فرانتس لك

ماذا تعتقدين؟ هل يمكن أن تصلني رسالة يوم السبت؟ من الممكن ذلك، لكنه مجنون ذلك الشوق إلى استلام الرسائل. ألا تكفى رسالة واحدة؟ ألا يكفى المرء أن يعرف مرة؟ لاشك أن مرة تكفيه، إلا أن المرء على الرغم من ذلك يعيل إلى الخلف ويرتشف الرسائل، ولا يتوقف وعيه عند شيء سوى رغبته فى ألا يتوقف عن الارتشاف. فسرى لى هذا، يا ميلينا، يا مدرستى!

الخميس

لا أريد الآن أن أتحدث عن شيء سوى هذا (لم أقرأ رسائلك بعد جيدا، فقط حومت حولها كما تحوم الفراشة حول الضوء، واحترقت رأسي عدة مرات، لقد اتضح لى فجأة، وهذا ما اكتشفته الآن فحسب، أنهما رسالتان مختلفتان تمام الاختلاف، إحداهما يجب استنزافها إلى آخر قطرة، والأخرى يجب على المرء أن يتخذها نذيرا، ولعل الثانية أن تكون هى التى تتأخرت.

لو أن المرء التقى بأحد معارفه، وسأله باهتمام عن حاصل ضرب ٢×٢ فسوف يبدو هذا السؤال عندئذ سؤالا أبلى، لكنه سيبدو فى الصف الأول من المدرسة الابتدائية سؤالا معقولا للغاية، والأول

بسؤالى الذى أوجهه إليك يا ميلينا، يبدو الأمر على هذا النحو الأبله، وإن تضمن فى ثناياه سؤال المدرسة الابتدائية - إن فى سؤالى أيضا لحسن الحظ شيئاً من جوهر سؤال المدرسة الابتدائية. لكنه بدا لى دائما أمرا غير مفهوم للمرة، عندما كان يرتبط بى شخص ما، وقد حطمت لهذا عبيدا من العلاقات الإنسانية (منها مثلا علاقتى بغايس^(١))، تبعا لمزاج عقلى يعتقد دائما فى خطأ الآخر أكثر مما يعتقد فى المعجزات (على الأقل إلى الحد الذى يعينى).

إننى أعجب، لماذا تعكرين مزيدا من التفكير متياه الحياة العكرة بالفعل، بمثل هذه الأمور. إننى أرى أمامى امتدادا لطريق مفتوح، وأدرك كم هى هائلة تلك المسافة التى يشق على غالبا أن أقطعها، وإن كان لابد لى من أن أقطعها بادئا من وضعى الحالى قبل أن أصبح جديرا بنظرة عابرة (ألقبها بنفسى على نفسى، فكم يلزمنى لكى أحظى بنظرة من الآخرين) - ليس هذا تواضعا بل غرورا لو أنك تمنعت فى الأمر جيدا) - والآن لقد تسلمت رسالتك يا ميلينا، فكيف يمكننى أن أعبر عن الفارق؟ رجل يستلقى فى القذارة والنتن الذى يفوح من فراش موته، وهنا يحضر ملاك الموت، أجمل الملائكة جميعا، ويتطلع إليه، فهل يجرؤ هذا الرجل عندئذ أن يموت؟ إنه يستدير إلى الناحية الأخرى من الفراش، ويختبئ فى فراشه أكثر، إنه عاجز عن الموت.

باختصار، أنا لا أصدق ما تقولينه، يا ميلينا، ولا توجد أية وسيلة يمكنها أن تثبت لى ذلك - كما لم يتسن لأى شخص أن يثبت ذلك لدستوفسكى فى تلك الليلة، وإن حياتى لتستمر ليلة واحدة - يمكننى

(١) ارنست فايس ، شاعر وروائى من براغ.

أن أثبت ذلك لنفسى، ويخيل لى أنتى قادر على ذلك (بنفس الطريقة التى أتيح لك بها ذات مرة رؤية الرجل الجالس فوق المقعد الخشبى)، إلا أنتى لا أصدق ذلك عن نفسى. لقد كان ذلك السؤال لهذا، خدعة غريبة - ولعلك قد تبينت هذا فى الحال - كما يحدث أحيانا لمدرس، لإرهاقه، ورغبته فى الهدوء أن يسمح لنفسه بأن ينخدع بإجابة صحيحة من أحد التلاميذ، فيسمح لنفسه أن يقتنع بأن هذا التلميذ يفهم الموضوع حقا، بينما هذا التلميذ فى الحقيقة يفهمه فقط من زاوية لا علاقة لها بالموضوع أصلا، ودون فهم كامل للموضوع نفسه دون شك. وليس للمرء أن يحاول شرح الموضوع شرحا كاملا لهذا التلميذ، لأن هذا، هو ما يجب أن يضطلع به المدرس وحده. لا يتم هذا، مع ذلك بواسطة التشكى، والنواح، والتدليل، والتوسل، والأحلام، (هل تسلمت الرسالتين الأخيرتين الخامسة والسادسة، لعلك أن تتفحصيهما ، فهما تنتميان إلى الكل) أقول إن الأمر لا يتم بأية وسيلة أخرى سوى... - ليبق هذا الأمر معلقا الآن.

بالتطلع إلى رسالتك، رأيت أنك أيضا تذكرين الفتاة. لهذا، ولكى لا أدرج مجالا للشك هنا، أقول إنك قد أسديت إلى هذه الفتاة أكبر خدمة ممكنة، بالإضافة إلى أملك الوقت، ولايمكننى أن أفكر فى أية وسيلة أخرى سوى هذه الوسيلة التى يمكنها أن تتحرر بها منى. إن لديها بالفعل إحساسا مريرا متشائما، لكن ليست لديها القدرة على أن تفهم من أين يحصل المكان الذى بجوارى على دفنه (على اليسار، وإن لم يكن على يسارها). أنكر أننا كنا نجلس بجوار بعضنا البعض فوق الأريكة فى شقة تتكون من حجرة واحدة فى

فرشوفتزن)، ولعل ذلك كان فى شهر نوفمبر، وكانت الشقة لنا لمدة أسبوع، كانت سعيدة لعثورها على هذه الشقة بعد عناء بلع، ولأن زوجها المقبل يجلس بجوارها، (وأكرر قولى بأننى بصفة خاصة كنت أتعجل ذلك الزواج، وكانت هى قد استجابت فقط، ولقد تملكها الخوف، ثم قاومت، لكنها بالطبع روضت نفسها على الفكرة درجياً) - عندما أفكر فى هذا المشهد بكل تفاصيله مرات تفوق فى عددها ضربات قلب المريض بالحمى، أعتقد عندئذ أننى قادر على فهم أى وهم بشرى (فى هذه الحالة كان الوهم، وهى أنا أيضاً لعدة شهور، ولم يكن الأمر بالنسبة لى وهما فقط، بل كان أمراً من نوع آخر، كما أنه كان من الممكن أيضاً أن يكون زواجا عقلياً بالمعنى اصداق للكلمة)، أقول إننى أعتقد أننى قادر على فهم أى وهم يمكن تخيله، وأخشى عندئذ أن أرفع كوب اللبن إلى فمى، ذلك أنه قد رتطم بسهولة مباشرة، تحت عيني، لا مصادفة، بل عمداً، وتتناثر سظاياه فى وجهى.

سؤال: مم يتألف اللوم الموجه إليك؟ نعم، لقد سببت أنا أيضاً للناس، شيئاً من التعاسة، فى بعض الأحيان، لكننى أذكر تماماً أنهم لم يوجهوا لى لوما على شيء من هذا فى نهاية الأمر. فقد ظلوا صامتين، بل إنى أعتقد حتى أنهم لم يلمونى على شيء فيما بينهم وبين أنفسهم. إننى أتمتع بهذا الوضع الاستثنائى بين الناس.

إلا أن هذا كله لا يهم إذا قورن بفكرة جاعتنى مبكراً فى هذا الصباح عندما غادرت الفراش، ولقد استولت على هذه الفكرة حتى لقد اغتسلت، وارتديت ملابسى دون أن أدري كيف فعلت ذلك، وربما

كنت قد حلقت ثقتي أيضا على نفس الصورة. لو لم يزعجني أحد الزوار، إن الأمر هو ما يلي باختصار لقد تركت زوجك لفترة قصيرة، وليس هذا شيئا جديدا بعد كل ما حدث من قبل. إن الأسباب هي: مرضك، وعصبيتك (سوف يستفيد أيضا من هذا)، ثم الأحوال التي تسود قلوبنا بالإضافة إلى ذلك.

إلى أين تريد أن تذهب، هذا ما لست أدريه. إن أفضل مكان تذهب إليه قد يكون أحد الأماكن الهادئة في بوهيميا. ومن الأفضل أيضا ألا تدخل أنا، أو أظهر. أما المال اللازم لذلك فيمكنك مؤقتا (يمكننا أن نصل إلى اتفاق بخصوص رده)، أن تحصل عليه مني (أذكر فقط ميزة واحدة إضافية يمكنني أن أجنيها من وراء ذلك، هي أنني سأتحول إلى موظف زاهل العقل، منهمك في العمل - إن وظيفتي، بالمناسبة، هي وظيفة غريبة مضحكة، وسهلة بصورة تدعو للأسف، سهلة سهلة لا يمكنك أن تتخيلها، ولست أدري لماذا يدفعون لي مرتبا!)، فلو لم يكفك المال الذي أزودك به من حين لآخر على مدى شهر، فليس عليك سوى أن ترفعي المبلغ بإضافة الفارق المطلوب الذي لن يكون بالغا. لن أقول الآن شيئا أكثر من هذا مدحا في هذه الفكرة، لكن لديك فرصة لكي تبين لي بحكمك على هذه الفكرة إن كان لي أن أثق في أحكامك على أفكارى الأخرى (إننى مقتنع بقيمة هذه الفكرة).

المخلص لك

كانكا

ليس من السهل مطلقا الآن، بعد أن قرأت هذه الرسالة المزعجة بالغة الإزعاج في الحقيقة، أن أشرك على السرور الذى جلبته لي

بوصولها. اليوم إجازة، ولم يصل البريد العادى يوم، ولا يمكننى أن أقطع بما إذا كان ثمة شيء سيصلنى منك غدا الجمعة، وعلى هذا فتحة نوع من الصمت الذى يبعث على الضيق، علم الرغم من أنه لم يكن صمتا حزيناً على الإطلاق بقدر مايسعدك أن تدركى ذلك، لقد كنت فى غاية القوة، فى رسالتك الأخيرة، حتى لقد ردت أرقبك، كما لو كنت أرقب متسلقى الجبال من مكانى على مقعنى الخشبى لأرى إن كان فى استطاعتى أن أميزهم هنالك فى أعلى الجبل وسط الثلوج، ثم، لقد وصلت رسالتك فى النهاية، قبل الغداء، كان فى استطاعتى أن أتناولها فى الحال، أنترعها من جيبى، وأضعها على المائدة، ثم أضعها ثانية فى جيبى على نفس النحو الذى اعتادت الأيدى أن تسلكه فى العبث بالرسائل، إن المرء يرقب الأيدى وهى تفعل ذلك، ويعجب بما فيها من طفولة. طوال ذلك الوقت لم أكد أتعرف على الجنرال والمهندس اللذين كانا يجلسان فى مواجهتى (شخصين، مهذبين، وبدوين)، ونادرا ما كنت أفهمها، كما أن تناول الطعام الذى استأنفته اليوم ثانية (لم أتناول بالأمس شيئا من الطعام)، فلا تزيدنى خوفا إذن، فمن الخدع الحساية التى درستها بعد تناول وجبتى بدت لى المشاكل القصيرة أكثر وضوحا بالنسبة لى من الطول الطويلة، التى كان يتخللها رغم ذلك، مشهدا من خلال النافذة المفتوحة، كان فى مجال رؤيتى - منظر أشجار الشربين، والشمس، والجبال، والقرية، ومنظر عام لمدينة فيينا بالإضافة إلى هذا كله.

لكننى قرأت الرسالة بعد ذلك بعناية، أعنى أننى قرأت بعناية رسالة السبت، وسوف أؤجل قراءة رسالة الاثنين حتى تصلنى

رسالتك التالية، فتمة أشياء في تلك الرسالة لا أحتمل قراعتها بعناية. ويبدو واضحاً أنني لم أشف شفاء تاماً، علاوة على ذلك فالرسالة أصبحت رسالة قديمة الآن بالفعل، أذكر طبقاً لإحصاء قمت به أن ثمة رسائل خمس في طريقها إليك حالياً، سوف تصل منها ثلاث على الأقل إلى يدك الآن، حتى لو حدث أن فقدت إحدى تلك الرسائل، أو تأخرت الرسائل المسجلة، والآن لا يبقى أمامي بعد هذا سوى أن أطلبك بالرد عليّ، هنا في الحال؛ مجرد كلمة واحدة تكفيني، لكنها يجب أن تكون تلك الكلمة التي تكسر حدة اللوم الذي تحفل به رسالة الاثنين، وتعينني على قراءة تلك الرسالة. اتفق لي، أن كنت خلال يوم الاثنين ذاك في نوبة صراع عقلي عنيف (وإن لم يصطبغ بصبغة يائسة).

والآن الرسالة الأخرى - إلا أن الوقت متأخر الآن، ذلك أنني كنت قد قبلت بصورة نهائية، بعد عدة وعود غير صريحة، أن أذهب لزيارة المهندس، وأن أتفرج على صور أطفاله، وهي صور كبيرة إلى حد لا يسهل معه إحضارها إلى هنا. إنه لا يكاد يزيد عني في العمر إلا قليلاً، وهو بافاري، صاحب ورشة، مثقف جداً، إلا أنه سرح، وحساس، أنجب خمسة أطفال، بقي اثنان منهم فقط على قيد الحياة (ومع ذلك فلن ينجب مزيداً من الأطفال، بسبب زوجته)، ويبلغ ابنه الآن الثالثة عشرة من عمره، وتبلغ ابنته الحادية عشرة. ياله من عالم! ومع ذلك أمكنه أن يحتفظ بتوازنه. لا!... لا تقولي شيئاً يا ميلينا... ضد التوازن.

المخلص لك

ف

سأكتب لك أكثر غدا، وقد أكتب لك مع ذلك بعد غد، وأرجوك ألا
(تكرهى) مرة أخرى، لا تفعل ذلك.

قرأت رسالة يوم السبت مرة أخرى، فببت لى أشد إزعاجا منها
عندما قرأتها لأول مرة، يجب على المرء يا ميلينا، أن يأخذ وجهك بين
راحتيه، وينظر مباشرة فى عينيك، لعلك أن تتعرفى على نفسك فى
عيني الآخر، فلا تقوين بعد تلك اللحظة حتى على مجرد التفكير فى
مثل تلك الأشياء التى كتبتها فى رسالتك تلك.

الجمعة

متى يأتى فى النهاية شخص ما، فيقيم هذا العالم المقلوب رأسا
على عقب؟ فى أثناء النهار يتجول المرء ورأسه تكاد تحترق - ثمة
خرائب رائعة فى كل مكان، هنا فى الجبال، ويحس المرء عند رؤيته
لها بأن عليه أن يصبح هو أيضا فى مثل روعتها - فى الفراش، مع
ذلك، يقتنص المرء، بدلا من النوم، أروع الأفكار، اليوم مثلا، عن لى،
بالإضافة إلى اقتراح الأمس، أن بإمكانك قضاء الصيف فى الريف
مع (شتاشا)^(١) التى كتبت لى عنها. سطرت أمس ملاحظة سخيفة،
أشرت فيها إلى أنه قد تنقضى بضعة شهور قبل أن تعجز إمكانياتى
المالية عن الوفاء بال مطلوب، لقد كان هذا محض هراء، إن المال
سيكفى دائما.

إن رسالتى صباح الثلاثاء، ومساء الثلاثاء، قد أكتبنا لى قيمة
اقتراحى، وهو أمر لا يعد مصافقة عارضة. ذلك أن قيمة الاقتراح لا بد
من أن يؤكد لها كل شىء، كل شىء على الإطلاق. فلو كان ثمة شىء

(١) إحدى صديقات ميلينا.

من الخبث فى ذلك الاقتراح - وأين هو المكان الذى يمكن ألا يوجد فيه ذلك (الحيوان) الشنيع الذى يمكنه أن يجعل نفسه صغيرا غاية الصغر حتى لتصعب رؤيته، متى راق له أن يفعل ذلك؟ - عندئذ سأعيد النظر فى الأمر، ويمكن أن يطمئن إلىّ فى هذا زوجك نفسه. إننى مبال إلى المبالغة، ومع ذلك فيمكن الثقة بى. لم أرك مطلقا، لا الآن، ولا فيما بعد. وسوف تعيشين أنت فى ذلك الريف الذى تحبينه (إننا متشابهان فى هذا: فالريف المنبسط، غير المقفر تماما، الريف الذى يزدحم بالغابات والبحيرات، هو ما أحبه غاية الحب)

إنك تبخسين قدر رسائلك يا ميلينا، إن رسائل يوم الاثنين (إننى مشغول بأمرك فحسب)، إننى لم أفرغ بعد من قراءة تلك الرسائل. (ولقد حاولت قراءتها هذا الصباح. لقد تحسنت رسائلك إلى حد ما -، حقا لقد أصبحت بالفعل، شيئا أقرب إلى التاريخ بفعل اقتراحاتى، إلا أننى مازلت عاجزا عن قراءة تلك الرسائل إلى نهايتها).

أما عن رسالة يوم الثلاثاء، فهى (مثلها مثل تلك البطاقة البريدية الغريبة، المكتوبة فى أحد المقاهى؟ - ليست لدى أية إجابة حتى الآن على اتهامك الذى يتناول موضوع فيرفل - وأخشى ألا أتمكن من الإجابة على أى شيء مما تنتظرين أن أجيبك عليه، إنك تجيدين الرد، على نحو أفضل منى، وهو ما يطمئن له المرء)، جعلتنى رسالة الثلاثاء تلك هادئا هدوءا تاما، وراضيا على الرغم من ليلة قضيتها فى أرق سببه رسالة يوم الاثنين. إن رسالة الثلاثاء لها بالطبع وخزتها هى أيضا، وهى وخزة تنفذ فى الجسم، لكنك أنت^(١) من تنخسين تلك الخزعات - هذا بالطبع هو مجرد حقيقة لحظة، لحظة

(١) هنا يستخدم كافكا لأول مرة، ضمير الشخص الثانى المفرد (أنت) - Du، فى مخاطبة حبيبته، بدون تكلف، لكنه سرعان ما يعود ثانية إلى استخدام ضمير الجمع Sie الذى يستعمل فى صيغة التملظ.

ترتعش بالسعادة والألم -، فما هو الشيء الذى يصدر عنك، ثم يصعب على تحمله؟

ف

لو وانتك الفرصة، ولم تجدى فى الأمر غضاضة، أرجوك أن تقولى كلمة رقيقة (لفيرفل) نيابة عني - ثمة أسئلة لسوء الحظ لم تجبني عليها مع ذلك. مثلا، تلك الأسئلة التى تتناول كتاباتك.

لقد حلمت بك أخيرا مرة أخرى، ولقد كان حلما طويلا إلا أنني لا أكاد أذكر منه شيئا. كنت فى قبينا التى لا أذكر عنها شيئا، ثم وصلت بعد ذلك إلى براغ، ونسيت عنوانك، لم أنس اسم الشارع فحسب، بل لقد نسيت المدينة بأكملها أيضا، نسيت كل شيء. فقط طفا على سطح ذاكرتى على نحو ما اسم (شرايبر)، إلا أنني لم أدر ماذا يمكننى أن أفعل به. وعلى هذا فقد فقدت نهائيا. وفى غمرة يأسى قمت بعدد من المحاولات الخبيثة التى لم أدر كيف لم تنجح على الرغم من خبثها فى تحقيق أى شيء، ولم أعد أذكر من هذه المحاولات سوى واحدة فقط.

كتبت فوق أحد مظاريف الرسائل اسم (ميلينا)، وتحت (أرجو أن تسلم هذه الرسالة إليها، وإلا فإن وزارة المالية، سوف تتكبد خسائر فادحة)، وبهذا التهديد كنت أمل أن تتحرك كل إمكانيات الحكومة للعثور عليك!

الخبث؟ لا تسمحن لنفسك بأن تتهمينى به لهذا. لقد كان ذلك فى الحلم وحده. إننى لست شريرا إلى هذا الحد سوى فى الأحلام فقط. لقد أخرجت الرسالة مرة أخرى من داخل المظروف، فثمة متسع لها غيره: أرجوك قولى مرة أخرى فحسب، - لا تقولها دائما، فلست أريد ذلك أيضا -، قولى أنت Du فحسب، عندما تخاطبيننى، مرة أخرى.

إننى أقوم بشيء من قبيل الإحصاء. كتبت هذه الرسالة فى يوم السبت، ووصلت يوم الثلاثاء ظهرا، على الرغم من عطلة الأحد، و اليوم الثلاثاء، أتنزع من يد الخادمة، ذلك الرباط البريدى البديع، وعلى أن أرحل يوم الاثنين، وأتركها، أترك هذه الرسالة.

إنك بالغة الطيبة لانزعاجك بشائى، أنت تنتظرين الرسائل، نعم، فى الأسبوع الماضى لم أكتب، انقضت بضعة أيام قلائل، لم أكتب لك فيها، لكننى كتبت لك يوميا ابتداء من يوم السبت، وعلى هذا فسوف تصلك الآن ثلاث رسائل، عند مقارنتها بما سبقها من رسائل، سوف تحمدين الفترة التى لم تصلك خلالها أية رسائل منى. ستتحققين من أن مخاوفك قد تحققت بصورة عامة، وأننى غاضب منك أيضا. وأن ثمة أشياء لا أحبها فى رسائلك على وجه الخصوص، وأن القصاصات قد ضايقتنى، وهكذا.

لا ياميلينا، ليس لك أن تخشى شيئا من هذا كله، ذلك أن العكس هو ما سوف يجعلك ترتعدين.

إنه لأمر بالغ الخطر أن يتسلم المرء رسالتك، وأن يكون عليه أن يرد عليها بعقلي المؤرق. لا يمكننى أن أفكر فى شيء يصلح لكى أكتب لك فيه، إننى أتسكع فحسب، هنا بين السطور. تحت ضياء عينيك، وتحت أنفاسك كما لو كنت أتنزه فى يوم سعيد صحو، يظل صحو وسعيدا، حتى عندما يكون الرأس متوعكا، مرهقا، وعندما يكون على المرء أن يرحل يوم الاثنين عن طريق ميونيخ.

المخلص لك

ف

ها عدت جريا، مقطعة الأنفاس إلى المنزل بسببى؟ ، لكن أأست مريضة، وهل لم يعد لي بعد أن أخاف عليك؟ إن هذه هى الحقيقة،

إننى لم أعد أهتم بأمرك - لا، إننى أبالغ الآن كما سأبالغ فيما بعد، لكنه ذلك الاهتمام الذى كنت سأبديه نحوك لو أنك كنت هنا تحت إشرافى، أسقيك اللبن الذى أشربه. وأنعشك كما أحاول أن أنعش نفسى باستنشاق الهواء الذى يهب على من الحقيقة - لا، سوف يكون هذا قليلا جدا، أعنى إنعاشك بصورة تفوق كثيرا انتعاشى أنا. قد لا أغادر هذا المكان يوم الاثنين لعدة أسباب، ولعلنى أغادره بعد ذلك بقليل. سوف أسافر مباشرة، مع ذلك، إلى براغ، فلقد سيروا أخيرا قطارا سريعا على خط بولتسانو-ميونيخ - براغ. إذا كنت ما تزالين ترغبين فى أن تكتبى إلى بضعة سطور، فيمكنك أن تفعل ذلك، فهل لن تصلنى هذه السطور، أظن أنها سوف تسبقنى إلى براغ. فامضى قدما فى العناية بي.



إن المرء بالغ الحق حقا، إننى أقرأ كتابا عن التبت، وعندما بلغت وصف إحدى المستعمرات التى تقوم بالقرب من حدود التبت، فى الجبال، أخذ قلبى فجأة يزداد ثقلا، إن هذه القرية تبدو لى مقفرة بصورة موحشة للغاية وهى على هذا البعد من قُيينا. إن ما أراه حقا هو فكرة، إن التبت بعيدة عن قُيينا، فهل ستكون بعيدة حقا ؟

الخميس

ها أنت ترين يا ميلينا أننى أستلقى فوق المقعد الخشبي فى الصباح، عاريا، نصفى فى الشمس، ونصفى الآخر فى الظل، بعد ليلة مؤرقة بطولها تقريبا، وكيف يتسنى لى أن أنام، وأنا، الخفيف

كالريشة بالنسبة للنوم، أنور حولك باستمرار، وطالما كنت خائفاً (تماماً كما كتبت أنت اليوم) ، خائفاً حقاً من ذلك (الذى سقط فى طوقى)، خائفاً نفس الخوف الذى سمعناه عن الأنبياء، الذين كانوا أطفالاً ضعفاء (خائفين فعلاً، وإن يكن خوفهم هذا ما يزال فى بدايته). حين سمعوا صوتاً يناديهم، فحاقوا، وشقوا عصا الطاعة، ودقوا أقدامهم فى الأرض، وأحسوا لحظتها بخوف يطير له العقل شعاعاً، لابد أنهم قد سمعوا بلا شك، أصواتاً من قبل، لكنهم لم يفهموا كيف تأتى لهذه الرهبة أن تصدر عن هذا النداء بالذات، فهل كان ضعف أذانهم، أو كانت قوة الصوت هى السبب؟، كما أنهم لم يدركوا، لأنهم كانوا أطفالاً، أن ذلك الصوت كان قد ساد بالفعل، وأكد وجوده بذلك النذير السابق نفسه الذى أحسوه عند سماعه، والذى لم يثبت بعد بحدوثه مع ذلك، أى شئ يتعلق بأمر نبوتهم، ذلك أن الكثيرين قد سمعوا ذلك الصوت، لكن جدارتهم بسماعه هو أمر يكتنفه الشك، فلكى يلزم المرء جانب الأمان، من الأفضل له أن ينكره بشدة، مقدماً - هذه إذن هى حالتى وأنا مستقل هنا عندما وصلتنى رسائلك.

ثمة صفة غريبة أظن أننا كلانا نشترك فيها يا ميلينا، ذلك أننا فى غاية الخجل، والقلق، وتختلف كل رسالة من رسائلك عن الأخرى على نحو ما، وترتعد كل رسالة عن الرسالة التى تليها، وترتعد أكثر من الرد. إنك لست كذلك بطبيعتك، من السهل أن يدرك المرء ذلك، وأنا، ربما كنت أنا أيضاً، مخالفاً لذلك بطبيعتى، إلا أن ذلك قد أصبح على الأغلب، هو طبيعتى الثانية بالفعل، إن حالتى هذه تختفى فقط عندما ينتابنى اليأس، وأحياناً عندما ينتابنى الغضب، ولا حاجة

بى إلى أن أقول إنها تزايلنى عندما أشعر بالخوف.

ينتابنى أحيانا إحساس بأننا كلانا فى حجرة واحدة لها بابان متقابلان، وكل منا يقبض على مقبض أحد البابين، وما إن يطرف جفن أحدهما، حتى يكون الآخر خارج الباب الذى يمسك بمقبضه، عندئذ لا يكون على الأول سوى أن ينطق بكلمة حتى يكون الآخر قد أغلق الباب خلفه، فلا تصبح رؤيته ممكنة. إنه سيفتح الباب ثانية بلا شك، لأنها حجرة قد لا يتسنى للمرء أن يغادرها، فلو لم يكن الأول يشبه الثانى إلى هذا الحد، لو أنه كان هادئا، أو لو أنه فقط تعمد ألا ينظر إلى الآخر، أو أمكنه بتؤدة أن يشرع فى ترتيب الحجرة كما لو كانت مجرد حجرة كغيرها من الحجرات، لكنه بدلا من أن يفعل ذلك، فعل ببابه نفس ما فعله الآخر تماما، حتى أن كلاهما قد يكونان أحيانا خارج البابين، بينما تبقى الحجرة البديعة خالية.

عن مثل هذه الحالة ينتج الكثير من سوء التفاهم المؤلم. تشكين يا ميلينا من بعض الرسائل التى نفضتها جيدا فلم يسقط منها شئ، إلا أنها، ما لم أكن مخطئا هى تلك الرسائل التى أحسست عند كتابتها أننى قريب منك غاية القرب، وأن دمائى تألفك، وتحاول أن تروض دمائك، إنها تلك الرسائل التى أحسست بنفسى فيها أغوص فى أعماق الغابة، وأحسست فيها بغاية الراحة، فى ارتياحى، حتى أن المرء لا يريد فى الحقيقة أن يقول شيئا سوى أن هناك فى الاعالى، خلال قمم الأشجار يمكنه رؤية السماء، وهذا هو كل شئ، وطوال ساعة يظل المرء يردد نفس الشئ، ولا يوجد فى هذا كله حقا «كلمة واحدة لم يتدبرها المرء تمام التدبر». غير أن ذلك لم يدم طويلا مع ذلك، دقيقة على الأغلب، وسرعان ما ارتفعت ثانية أصوات طبول

الليل الساهر.

يجب أن تتدبري أنت أيضا يا ميلينا، نوع الشخص الذي خطا نحوك، إن رحلة الثمانية والثلاثين عاما تستلقى خلفه (ولما كنت يهوديا فإن الرحلة في حقيقتها أطول بالفعل من ذلك)، فلو أنني عند منعطف عارض تبدى لي في طريقي، قد رأيتك، أنت التي لم أتوقع أن أراك مطلقا، وأن تجي رؤيتي لك فوق ذلك متأخرة إلى هذا الحد، عندئذ لا يمكنني يا ميلينا أن أصبح ملوحا لك، ولا أن يهتف لك شيء في داخلي، ولا أن أقول آلاف الأشياء الحمقاء، التي لا أجد لدى شيئا منها (وأحذف الحماقات الأخرى التي أحس أن لدى منها ما يزيد عن حاجتي)، أما عن حقيقة أنني راكم، فلعلني لم أكتشف تلك الحقيقة إلا من خلال رؤيتي لقدميك أمام عيني مباشرة، فحسب، ومن تطويقي لهما بذراعي.

ولا تطالبيني بشيء من الإخلاص، يا ميلينا، فلا أحد يمكنه أن يطالبني بالإخلاص أكثر مما أطالب به نفسي، إلا أن أشياء كثيرة قد أفلتت مني، إنني واثق من ذلك، ولعل كل شيء يراوغني. غير أن التشجيع في هذه المطاردة لا يدفعني، بل على العكس، فلعلني لا أستطيع عندئذ أن أخطو خطوة واحدة، فكل شيء يصبح على حين فجأة مجرد كذبة، ويحاصر الصيد الصياد، إنني أسير على مثل ذلك الطريق المحفوف بالمخاطر يا ميلينا.

إنك تقفين في ثبات بالقرب من إحدى الأشجار، صغيرة، وجميلة، وعيناك بتألقهما تقهران العالم الذي يعانى الآلام. إننا نلعب لعبة (الاستخفاء)، فأتا أزحف من شجرة إلى أخرى في الظلال، إنني أسير في طريقي، وتناديني أنت، وتنبهيني إلى الأخطار، وتحاولين

أن تبثي الشجاعة في نفسي، أنا المشبهو لخطوتي المتعثرة، تذكريني أنا (أنا!) بخطورة اللعبة - غير أنني لم أستطع أن ألعبها، سقطت، وها أنذا الآن مستلق على الأرض، لا يمكنني أن أستمع في وقت ما إلى ذلك الصوت المزعج الذي يرتفع من أعماقي، وأن أستمع إليك، غير أنه يمكنني أن أستمع إلى الصوت الأول، وأن أستودعه لديك، لديك دون أي كائن آخر سواك في هذه الدنيا.

المخلص لك

ف

الأحد

هذه المحاضرة التي تشغل صفحتي رسالتك يا ميلينا، تنبعث من أعماق القلب - القلب الجريح - (لقد جرحني ذلك - أليس هذا ما كتبت؟) - ولقد فعلت أنا ذلك حقاً، لقد جرحتك) ولقد بدا ذلك أمراً بالغ البراءة، ومدعاة للفخر، وكأنه لم يكن القلب وقد جرح، بل قطعة من الصلب قد طرقها المرء، يتطلب ذلك من المرء سلوكاً واضحاً، ويسىء تأويل قصده كذلك - (ذلك أن «السخفاء» الذين يحسبون على يحسبون عليك أيضاً، ولأوجه عندئذ هذا السؤال: متى حدث أن تدخلت بينكما؟ أين هو الحكم؟ وكيف يتسنى لي أن أكون لنفسى هذه الفكرة الخسيسة؟ ومن أنا حتى أبين الغير، أنا الشخص الذي أبدو في أي مجال يتطلب أن أكون واقعياً كالزواج - العمل - الشجاعة - التضحية - النقاء - الحرية - الاكتفاء الذاتي - الصدق، أبدو في صورة أدنى بكثير في أي من هذه الأمور بالقياس إليكما، حتى أن مجرد الحديث في ذلك، يصيبني بالسأم، ومتى حدث أن تجرأت أنا على تقديم المساعدة الفعالة، وإذا كنت قد تجرأت، فهل

كنت لأقدم هذه المساعدة؟

أسئلة وفيرة، كانت مستغرقة في النوم في العالم السفلى، فما الذى توسل إليها بالخروج إلى ضوء النهار؟ إنها أسئلة قاتمة وحزينة، وتجعل المرء مكتئبا وحزيناً كذلك. لا تقولى لى أن ساعتين من الحياة، تزيدان قطعاً عن صفحتين من الكتابة، (إن الكتابة أفقر، ولكنها أوضح) - وعلى هذا فقد أسىء تفسير قصدى، لايهم، إن المحاضرة قد أُلقيت على، وأنا لست بريئاً، إننى لست بريئاً بما يكفى، وهو ما يبدو لى أمراً بالغ الغرابة، أساساً لأنه كان يجب الرد على الأسئلة السابقة بـ (لا)، وأبداً.

ثم تأتينى برقيتك العذبة، عزاء يعيننى على مواجهة الليل، ذلك العبد العتيد (فلو لم تكن برقيتك بالعزاء الذى يفى تماماً بحاجتى، فلاشك أن ذلك ليس خطأك، لكنها قسوة الليل، فهذه الليالى القصيرة الدنيوية، تثبت عميقاً فى نفس المرء بذور الخوف من الليل الأبدى)، ومع أن الرسالة تحمل إلىّ عزاء بالغاً ورائعاً، إلا أنها رسالة فريدة مفعمة غضباً ينتشر فى ثنايا صفحاتها. غير أن البرقية مع ذلك تبدو على العكس من تلك الرسالة. ولا يبدو عليها أنها تدرى شيئاً عن طبيعة الرسالة، غير أننى يمكننى أن أقول هذا يا ميلينا، عن البرقية: لو أننى، دون اعتبار لأى شىء آخر، قد حضرت إلى قبينا، وأُلقيت أنت تلك المحاضرة علىّ (تلك المحاضرة التى كما قلت الآن لتوى، لا تتجاوزنى، بل تتركزنى عمداً، بقوة، وإن لم يكن ذلك بصورة مباشرة)، وجها لوجه - ولقد كانت تلك المحاضرة ستوجه إلى بصورة ما، وإن لم تكن فى صورة كلمات، فلقد كانت ستوجه إلى فى صورة أفكار، تشى بها نظرة، أو رمشة جفن، أو تضمين فى ثنايا

حديث آخر - عندئذ كنت سأنتطح على وجهى أرضا، ولم يكن ليوقفنى ثانية على قدمى أى مجهود من جانبك، تبذليته فى ترمى. فلو لم يحدث ذلك، على هذا النحو، فلست أشك فى أنه كان سيحدث بصورة أخرى أشد سوءا. هل تفهمين، يا ميلينا.

المخلص لك

ف

ماذا عن خبرتك بالطبيعة البشرية يا ميلينا؟ لقد انتابنى الشك بالفعل فى خبرتك بها عددا من المرات، عندما كتبت عن (فيرفل) مثلا، فعلى الرغم من الحب الذى يتبدى فيما كتبتة، ولعل ما كتبتة عنه لم ينطو على شيء غير الحب، إلا أن ماكتبتة لم يكن صحيحا مع ذلك، فلو تجاهل المرء تجاهلا تاما جوهر شخصية فيرفل، وراح يعزف فقط على وتر وحيد هو التعريض ببذائته (التي تبدو لى بالمناسبة، مسألة لامبرر للتعرض لها على الإطلاق. على أن فيرفل يزداد فيما أرى جمالا وظرفا من عام إلى عام، وإن كنت فى الحقيقة لا أكاد أراه إلا رؤية عابرة)، ألا تعلمين أن البدناء من الناس هم وحدهم أهل الثقة؟ فى هذه الأوعية سميكة الجدران وحدها يتسنى لكل شيء أن ينضج نضجا تاما، وهل تعلمين أن هؤلاء (الرأسماليين) الذين يشغلون أكبر حيز من (الفراغ)، محصنون، غاية الحصانة المتاحة للبشر ضد الخوف، والجنون، وأنهم قادرون على أن يمضوا بهدوء فى أداء أعمالهم، وأنهم هم وحدهم، كما قيل ذات مرة، هم النافعون فى أنحاء العالم كله، باعتبارهم مواطنين عالميين، فهم يفتنون فى الشمال، ويلقون ظلا عريضا فى الجنوب (من

الممكن أن يعكس المرء هذا القول بالطبع، إلا أنه لا يصبح قولا حقيقيا عندئذ).

أما بالنسبة لليهود. أنت تسأليني عما إذا كنت يهوديا. ربما كان هذا السؤال مجرد مزحة فحسب، وربما كنت تسأليني فقط عما إذا كنت أنتمى إلى أولئك اليهود القلقين، لا يمكنك على أية حال باعتبارك مواطنة من براغ، أن تكونى فى مثل سذاجة ماتيلدا، زوجة هاينز، فى هذا الصدد. ولعلك لا تعرفين القصة. يبدو لى أن هناك بعض الأمور الهامة على أن أقصها عليك، ولاشك أيضا فى أننى سأؤذى نفسى على نحو ما، لا بالقصة، بل بمجرد سردها، غير أنك تستحقين على الرغم من كل شيء أن تستمعى منى مرة إلى شيء جدير بالسماع - هذه القصة يحكيها (مايسنر)، وهو شاعر بوهيمى - ألماني، وهو ليس يهوديا؛ يحكيها فى سيرته الذاتية. فلقد اعتادت ماتيلدا أن تضايقه بهجومها على الألمان، فقد قالت إن الألمان هم قوم خبثاء، صلفون، متعصبون لجنسهم، وتثيرهم توافه الأمور، وأنهم فضوليون، وأنهم باختصار أمة لاتطابق.

حتى قال لها مايسنر أخيرا ذات مرة «ولكنك لا تعرفين الألمان مطلقا»، فهنرى، لا يختلط على أية حال، سوى بالصحفيين الألمان وحدهم، وهم هنا فى باريس جميعا من اليهود!»، فُجأته ماتيلدا قائلة «أوه... إنك تبالغ، فربما كان بينهم يهودى هنا. أو يهودى هناك، (سيفوت) مثلا، قال مايسنر «لا، إنه الوحيد غير اليهودى بينهم»، فقالت ماتيلدا «ماذا؟ هل تعنى بقولك هذا أن يتيليس مثلا (وهو رجل طويل أشقر، قوى البنية) يهودى؟»، قال مايسنر «بالطبع إنه كذلك» «لكن ماذا عن بامبيرجر؟» - «هو يهودى أيضا!»، و

«أرنشتين؟»، «وأرنشتين كذلك!»، وهكذا راحا يعددان جميع معارفهم وأخيرا استعانت ماتيلدا وقالت: «إنك تحاول أن تغيظنى، ولعلك ستنتهى أيضا إلى أن (كون) هو اسم لشخص يهودى، غير أن (كون) فى نهاية الأمر، هو اسم ابن عم هنرى، وهنرى لوثرى كما تعلم!»

عند هذا لم يجد مايسنر شيئا ليقوله - وعلى أية حال، لا يبدو أنك تتوجسين خيفة من اليهود، إننا لو نظرنا إلى الجيل الأخير، أو الجيل الأخير والوحيد من اليهود فى مدننا، لبدأ لنا الاختلاط بهم ضربا من البطولة، و- لندع المزاح جانباً - لو أن فتاة بريئة قد قالت لذويها «إنى راحلة!»، ورحلت لتختلط بهؤلاء، لكان الأمر عندئذ شيئا أخطر من رحيل (جان دارك) من قريتها.

قد تلومين اليهود على قلقهم البالغ، غير أن مثل هذا اللوم العام، إنما يكشف عن معرفة نظرية أكثر منها عملية بالطبيعة البشرية. معرفة نظرية أكثر، ذلك أن هذا اللوم، على أية حال، لا يناسب زوجك على الإطلاق بناء على وصفك السابق، وثانيا لأننى لا أراه لخبرتى منطبقا على معظم اليهود، وثالثا لأن مثل هذا اللوم ينطبق فحسب على الأفراد المنعزلين، غير أن هؤلاء أشد حدة، مثلى شخصيا، إن أغرب شيء هو أن ذلك اللوم هو لوم لم يصادف محله بصفة عامة. إن وضع اليهود المهدد، ذلك الشعور بعدم الأمان الذى ينبعث من داخلهم، وشعورهم بعدم الأمان وسط الآخرين، يوضح جيدا، وقبل كل شيء ما يقوم فى نفوسهم بأنه ليس لهم أن يمتلكوا سوى ما يقع فى أيديهم، أو ما يقبضون عليه بأسنانهم، ذلك الشيء الذى تقع أيديهم عليه، أو تنطبق عليه أسنانهم والذى يتحدد فضلا عن ذلك فى

صورة ملكيات صريحة ، هو ما يعطيهم وحده الحق في الحياة، بالإضافة إلى شعورهم بأنهم لن يحصلوا مره أخرى أبدا على مايفقدونه ذات مرة، ذلك أن ما يفقدونه يسبح، بدلا من عودته إليهم، مبتعدا عنهم إلى الأبد، إن اليهود من جوانب عدة ، بعيدة الاحتمال، مهددون بالأخطار، أو لنقل، حتى نكون أكثر دقة، ولنترك الأخطار جانبا، ونقول إنهم مهددون بالتهديدات. ثمة مثال يتصل بك على نحو غير مباشر، كنت قد انتويت بالفعل ألا أتحدث عنه (فى وقت لم أكن قد عرفتك فيه معرفة كافية)، غير أنني لا أجد ما يثقل ضميرى لذكره لك، لأنه لن يحيطك علما بجديد، وإن كان سيوضح لك حب الأقارب، وإن كنت لن أذكر الأسماء والتفاصيل، طالما أنني لا أعرفها. كان من المفروض أن أختي الصغرى ستتزوج شخصا تشيكيا، مسيحيا، وعندما أخبر ذلك الشخص إحدى قريباتك ذات مرة، بأنه ينوى الزواج من يهودية، قالت: «كل شيء إلا هذا ، كل شيء إلا الاختلاط باليهود!» فتصورى هذا يا ميليتنا...!

إلى أين ترانى أحاول أن أقودك بهذا كله؟ ، لقد ضللت طريقي إلى حد ما، إلا أن هذا لايهم، ذلك أنك ربما كنت تتعقبيننى، وعلى ذلك فقد ضل كلانا الآن. إن جمال ترجمتك يكمن فحسب فى صدقها (انهرينى مادمت صادقة فى هذا، فى وسعك أن تفعل أى شىء، غير أن أفضل ما يمكنك أن تفعله، ربما كان هو التعنيف الذى توجهينه إلى، يسعدنى أن أكون تلميذك، وأن أرتكب الأخطاء طوال الوقت، فقط لمجرد أن تعنفينى طوال الوقت، إن المرء ليجلس فى مقعد الدراسة ولايكاد يجرؤ على التطلع إلى أعلى. فتتحنين أنت على، ويتألق طرف أصبعك الذى ترفعين به احتجاجاتك، هل هذا صحيح؟)

- حسنا أن يكون هذا هو الصدق، وأن يكون لدى إحساس باقتيادك من يدك خلفي بطول الممرات الأرضية المظلمة، المنخفضة، الكثيية، ممرات القصة، التي لا نهاية لها على الأغلب (وهذا هو السبب في أن العبارات، عبارات طويلة لا نهاية لها، ألم تلاحظي ذلك؟)، تلك الممرات التي لا نهاية لها غالبا (هل قلت شهرين فقط؟)، حتى ينتابك، وهذا ما أمل فيه، الإحساس بالتزاييل عند التناقك بالضوء الساطع، في نهاية الممر المؤدى إلى سطح الأرض. مذكرة لأن أنطلق اليوم، أن أرخي اليوم تلك اليد التي تسعدني. غدا سأكتب ثانية، وأشرح بقدر ما يسعني أن أضمن ما قد ينتهي إليه الحال من ناحيتي، لماذا لن أحضر إلى قيينا، ولن أهدأ، حتى أسمعك تقولين: إنه على حق.

المخلص لك

ف

أرجو أن تكتبي العنوان بوضوح أكثر قليلا، فما إن تصبح رسائلك في داخل مظاريها، حتى تصبح عندئذ ملكا لي على الفور، عليك أن تتناولي ممتلكات الغير بعناية أكثر، بشعور أكثر بالمسئولية (هكذا!).

ولدى أيضا انطباع ما، دون أن تكون لدى القدرة الكافية لتحديده، انطباع بأن رسالة لي قد فقدت، قلق اليهود!، وهو بديل عن خوفا من أن تكون الرسائل قد وصلتني بسلام!

والآن سأقول شيئا آخر أحقق في نفس الصدود. شيئا أحقق، ذلك لأنني بسبيلي إلى أن أقول شيئا أعتبره صحيحا، بصرف النظر عن حقيقة أنه سيسبب لي ضررا ما. وما تزال ميلينا عندئذ تتحدث عن

القلق، وتلطمعنى على صبرى لطمة، أو تسالنى (ما الذى يجعل الصوت والإيقاع مترابطين إلى هذا الحد، موحيا بنفس معناه فى اللغة التشيكية): (Jste Zid?) (هل أنت يهودى؟)، ألا تلاحظين كيف تتراجع قبضة اليد فى الـ (Jste) ، تتراجع لكى تتجمع قوة عضلاتها؟، ثم فى الـ (Zid)، تهوى اللطمة الخاطفة، المنتعشة التى لا تخطئ هدفها؟ هذه هى الآثار الجانبية التى توحى بها اللغة التشيكية للأذن الألمانية.

لقد سألتنى ذات مرة، على سبيل المثال، كيف أمكننى أن أجعل إقامتى هنا تعتمد على استلام رسالة، ورددت على نفسك فى الحال بقولك:

«لست أرى» (nechápu)، كلمة غريبة فى اللغة التشيكية، وهى تبدو أكثر من ذلك غرابة عندما تصدر عن فمك، إنها كلمة بالغة القسوة والجمود، كلمة جافة، عديمة الرحمة، وشبيهة فوق هذا كله بكسارة البندق، فالفكين يصران فوق بعضهما ثلاث مرات فى أثناء نطقها- أو إن شئت الدقة، فإن المقطع الأول منها يبدو وكأنه محاولة للإمساك بالبندقية، مجرد الإمساك بها فقط، ثم يفتح المقطع الثانى من تلك الكلمة، الفم على اتساعه، فتدخل البندقية فى داخله عندئذ، ويكسرها المقطع الثالث فى النهاية، ألا تسمعين صرير الأسنان^(١)، ثم إغلاق الشفتين بعد هذا كله فى النهاية، تلك الحركة التى تمنع الآخر من أن يحاول القيام بأذى اعتراض يحاول به تفسير الأمر، وهو ما يجب حدوثه بالفعل، لو كان الآخر مثلاً، لايفعل سوى الشرثرة

(١) ربما كانت المقاطع الثلاث فى هذه (الكلمة) تشير أيضاً إلى الحركات الثلاث التى يأتينا (الحواريون) فوق ساعة براغ. الوصول، وإثبات وجودهم، ثم الرحيل الغاضب (تذليل كافكا).

كما أفعل أنا الآن. عندئذ يعتذر الثرثار قائلا مرة أخرى: «إن المرء، على أية حال، لا يثرثر إلا عندما يشعر مرة بشيء من السعادة».

بالمناسبة لم تصلني منك اليوم رسالة. وما أردت أن أقوله في الحقيقة بعد هذا كله، لم أقله لك بعد. ربما قلته لك في فرصة أخرى. يسرنى كثيرا جدا أن ألتقي منك شيئا غدا، ذلك أن الكلمات الأخيرة التي سمعتها منك قبل صفق الباب - إن صفق الأبواب أمر بالغ الفظاعة في كل الأحوال - كانت كلمات مرعبة.

المخلص لك

ف

الاثنين

والآن هاهو التفسير الذي وعدتك به بالأمس:

إننى لا أريد أن (ساعدينى يا ميلينا وحاولى أن تفهمى أكثر معا أقوله!) لست أريد أن (ليس هذا ترددا) أحضر إلى فيينا، ذلك أننى لا أحتمل الجهد العقلى، إننى مريض عقليا، وإن مرض الرئة ليس سوى فيضان مرضى العقلى. إننى مريض على هذا النحو منذ السنوات الأربع أو الخمس التى انقضت فى محاولتى الأوليتين للخطبة (فى البداية لم أستطع أن أفسر لنفسى بهجة رسالتك الأخيرة، ثم أدركت تفسير ذلك فيما بعد، وإن ظلمت أتجاهله: فأنت على أية حال، شابة صغيرة للغاية، لعلك لم تبلى بعد الخامسة والعشرين من عمرك، وربما كنت فى الثالثة والعشرين، بينما أنا فى السابعة والثلاثين من عمري، أو أكاد أكمل الثامنة والثلاثين على وجه الدقة، أى أننى أكبرك بجيل تقريبا، وقد ابيض شعرى بفعل الليالى

الماضية، وآلام الصداق). لن أعرض عليك قصتي الطويلة بغاباتها المتكاثفة من التفاصيل، تلك التفاصيل التي ما أزال أخافها كطفل، وإن لم تكن لدى قدرة الطفل على النسيان، إن ما آلت إليه محاولات خطوبتي الثلاث بصفة عامة لا يعنى سوى أنني كنت مخطئاً فى كل شيء، لاشك فى أنني كنت مخطئاً غاية الخطأ. لقد تسببت فى تعاسة الفتاة فى كلتا المرتين - إننى أتحدث الآن فقط عن الأولى، فلا يسعنى الحديث عن الثانية، فهى فتاة بالغة الحساسية، حتى أن أية كلمة، وإن كانت أرق الكلمات، قد تكون من أقسى الإساءات التى توجه إليها، وهو شيء أفهمه حق الفهم - ولأنه لولاها وحدها بالفعل (تلك الفتاة التى لوكانت قد لمست شيئاً من الإصرار من جانبى لكانت قد ضحت بنفسها) ما تسنى لى أن أدنو طعم السعادة المتصلة، ولا عرفت الهدوء، أو التصميم. وقد تلاشت قدرتى على مواجهة الزواج، على الرغم من أنني كنت قد أكدت لها تكراراً، ومن تلقاء نفسى عزمى على الزواج، وعلى الرغم من أنني أحببتها أحياناً حباً عنيفاً متهوراً، وعلى الرغم من أنني لم أعرف وقتها شيئاً أحبب إلى من فكرة الزواج فى حد ذاتها. ولقد أنفقت خمس سنوات أطرق تلك الفتاة بمطرقتى، أو أطرق نفسى، إذا شئت - حسناً، كانت لحسن الحظ، فتاة يهودية - بروسية، مولدة، غير قابلة للكسر، كانت خليطاً قوياً لايقهر. بينما لم أكن أنا ذلك الشخص القادر على رفع المطرقة، على أنها على أية حال، لم يكن أمامها سوى أن تعاني فحسب، بينما كنت أنا أهوى عليها بمطرقتى وأعانى.

كفى لا يمكننى أن أكتب أكثر من هذا، ولا أن أشرح أكثر من

كفى لا يمكننى أن أكتب أكثر من هذا، ولا أن أشرح أكثر من هذا، على الرغم من أننى قد بدأت فحسب، وعلى الرغم من أننى سأشخص المرض العقلى، وسوف أذكر أسبابا أخرى لعدم حضورى. لقد وصلتني برقية:

«مكان اللقاء كارلسباد، فى الثامن من الشهر. أرجو أن تتصل برسالة»، أعترف بأننى قد صدمت عندما فضضت هذه البرقية، صدمة شديدة، على الرغم من أن من كان يختفى خلف تلك البرقية كنت أكثر المخلوقات تنزها عن الأنانية، وأكثرهم هدوءا، وأكثرهم تواضعا، وعلى الرغم من أن ذلك كله هو ما كنت أريده، لا يمكننى أن أوضح ذلك الآن، ذلك لأننى لا يمكننى أن أشير إلى تشخيص للمرض. غير أنه من المؤكد تماما فى هذه اللحظة: أننى سأرحل من هنا يوم الاثنين، إننى أطلع إلى البرقية من وقت لآخر، ولا يمكننى أن أقرأها سوى بصعوبة بالغة، كما لو كان ثمة سر يكمن تحت كلماتها، سر يدفع الكلمات إلى السطح لتتضح من تحتها الكلمات الحقيقية التى تتضمنها البرقية: «ارحل عن طريق فيينا!» أمر صريح، لكن بدون ذلك الرعب الذى تتركه الأوامر فى النفس عادة. لن أفعل ذلك، وإن لم يبد لى أى معنى من الناحية العملية، لاتخاذ الطريق الطويل عن طريق «لنتس»، ثم الطريق الأطول منه عن طريق (فيينا)، بدلا من الطريق القصير الذى يمر (بميونيخ). إننى أجرى اختبارا ما، فثمة عصفور فى الشرفة، يتوقع أن أقذف إليه ببعض فتات الخبز من على المائدة، توقف الطائر خارج الحجرة. وراح يتطلع من هناك إلى الطعام فى العتمة، إن التوتر يستولى عليه، إنه يتواجد هنا أكثر مما يتواجد فى مكانه من الشرفة، لكن هنا الظلام، وبجانب الخبز أوجد

أنا، تلك القوة الغامضة، على أنه قفز مع ذلك إلى العتبة، قفزات قليلة أخرى عليه أن يقفزها، إلا أنه لم يجرؤ على أن يتقدم أكثر من ذلك، وفي خوف مفاجيء طار بعيدا. لكن أية طاقة تلك التي تدفع ذلك الطائر متواضع التركيب، ذلك أنه لم يلبث أن عاد ثانية بعد فترة قصيرة، وراح يتفحص الموقف. ونشرت أنا بعضا من فتات الخبز حتى أسهل عليه محاولته في الحصول عليه، على أنني لو لم أطارده، سواء كنت فعلت ذلك عن عمد أو بغير عمد (وهذه هي كيفية عمل القوى الغامضة)، بحركتي المفاجئة، لكان قد حصل على الخبز.

الحقيقة أن عطفتي تنتهي في نهاية يونيو، غير أنني أحب كمرحلة انتقال - إن الجو يزداد حرارة هنا، وهو أمر لن يضايقني كثيرا في حد ذاته -، أن أقضى بعضا من الوقت في مكان ما غير هذا المكان، في الريف - وتريد هي أن ترحل أيضا، وكان المفروض أن نلتقي هناك الآن، سأبقى بضعة أيام قلائل، وقد أبقى بضعة أيام قلائل أخرى في كونسنتينباد بصحبة والدي، ثم بعد ذلك أذهب إلى براغ، عندما تمر ببالي تلك الرحلات، ثم أفكر في حالتي العقلية، أشعر عندما أعقد مقارنة بينهما بنفس ما قد يشعر به نابليون لو أنه، وهو يعد خطته لحملته على روسيا، قد أتيح له أن يعلم مقدما بالنتائج الخاسرة لتلك الحملة في لحظة إعداده لها.

وعندما وصلتني رسالتك الأولى، منذ فترة قصيرة، وأظن أن ذلك كان قبل موعد الزفاف المحدد مباشرة (ذلك الزفاف الذي كنت أن نفسي قد قمت بالفعل بكل ترتيباته) فقد سررت لوصول تلك الرسالة منك، وأطلعتها عليها، وفيما بعد - لا لن أمضى في ذلك، وإن أمزق رسالتي هذه أيضا مرة أخرى، يبدو أن لنا بعض الطباع المشتركة

فيما عدا أننى لا أجد موقدا فى متناول يدى، وأنتى أخشى أن أكون
- فثمة دلالة على ذلك أو دالتين - قد أرسلت فى إحدى المرات إلى
الفتاة رد، على إحدى رسائلها، رسالة كتبها على ظهر أحد رسائل
تلك التى لم تتم، ولم أرسلها إليك.

على أن هذا كله لايهم، فلم يكن يسعنى أن أحضر إلى فيينا حتى
ولو لم تصلنى برقية، على العكس، لقد حفزتنى البرقية على القيام
بالرحلة.

من المؤكد أننى لن أحضر، غير أننى من ناحية أخرى- ولن
يحدث هذا - قد أجدنى يدهشتى البالغة فى فيينا. عندئذ لن أكون
فى حاجة لا إلى الإفطار ولا إلى العشاء، بل سأجدنى فى حاجة إلى
حفلة، أستهلنى فوقها بعضا من الوقت.

وداعا. لن يمر هذا الأسبوع هنا فى سلام.

المخلص لك

ف

لو رغبت فى أن تكتبى إلى شيئا، فاكتبى لى على العنوان التالى
(كارلسباد، شباك البريد)، لا، لاتكتبى شيئا حتى أصل براغ.

ما هو نوع تلك المدارس الهائلة التى تقومين بالتدريس فيها، هل
تضم مائتين من الطلبة، أم تراها تضم خمسين طالبا. بودى أن
أجد لنفسى مقعدا بجوار إحدى النوافذ فى الصف الأخير، لمدة
ساعة، أرفض بعدها أى لقاء معك (ذلك اللقاء الذى لن يتم بحال من
الأحوال)، وأرفض جميع الرحلات، و... - كفى، إن هذه الورقة
الببيضاء التى لا تبدو لها نهاية، تخطف عيني المرء، وهذا هو السبب
فى أنسياق المرء فى الكتابة.

كان ذلك في الظهيرة، على حين تقترب الساعة الآن من الحادية عشر مساءً، لقد رتبت كل شيء على النحو الوحيد الممكن في هذه اللحظة، لقد أبرقت إلى براغ بأننى لن أتمكن من الحضور إلى كارلسباد، وسوف أوضح ذلك فى شيء من التضارب، هو غاية فى الصراحة من ناحية، وإن لم يبد لائقاً من ناحية أخرى، وكنت قد قررت الذهاب فى البداية، بسبب حالتى هذه إلى كارلسباد، هذا هو أسلوبى فى التعامل مع كائن إنسانى حى. إلا أننى لا أستطيع أن أتمالك نفسى، ذلك أننى لا يمكننى فى كارلسباد أن أتحدث، ولا أن أبقى صامتا، أو أننى على نحو أكثر دقة سوف أتكلم، على أية حال، حينما أكون صامتا، ذلك أننى لست الآن سوى كلمة وحيدة، على أننى لا أريد على الرغم من ذلك أن أرحل عن طريق فيينا، بل عن طريق ميونيخ يوم الاثنين، إلى أين، لست أدري، إلى كارلسباد، مارينباد، وحيدا، على أية حال، وسوف أكتب لك، و(ربما)^(١) تلقيت رسائلك، خلال ثلاثة أسابيع. فى براغ فقط.

السبت

إننى أسأل نفسى، إذا كنت قد فهمت أن ردى عليك كان مقدر، له أن يكون كما اتفق له، نظرا لحالتى العقلية فى صورتها العامة - نعم لقد كان ردى غاية فى الرقة، وكان غاية فى المراوغة، وكان متافكا غاية التائق بعد هذا كله. إننى أسأل نفسى طوال الوقت، نهارا وليلا، هذا السؤال، مرتعدا أمام ردى، أسأل نفسى عبثا هذا السؤال، كما لو كنت قد أمرت بأن أدق مسمارا فى قلب حجر

(١) مشطوبة فى الأصل

أسبوعاً بأكمله دون أن أستريح في أثناء الليل، بل أظل على الدوام طارقاً، ومسماراً في وقت معاً، يا ميلينا.

يشاع - ولست أصدق ذلك -، أن الاتصالات بالتيروول عن طريق السلك الحديدية سوف تتعطل الليلة بسبب الإضرابات.

السبت

لقد وصلت رسالتك، ووصلتني نفحة رسالتك، ووجدت في نهاية ما جاء بها - أن بها فقرة واحدة رئيسية: أنه قد لا يتمكن من الكتابة إلى بعد الآن في براغ.

هذا هو ما سوف أؤكد قبل أي شيء آخر غيره، حتى يتسنى للعالم كله أن يراه دون بقية ما جاء في رسالتك - أنت أيضاً، يا ميلينا. هذا هو إذن ما يهدد به المرء شخصاً ما، ويعرف - على الأقل - من على البعد، بواقع هذا الشخص أيضاً، ويدعى المرء، فوق ذلك، أنه مغرم بهذا الشخص.

لكنك ربما كنت على حق في ألا تكتبني إلى بعد الآن، فقرات عديدة في رسالتك تشير إلى هذا الاضطراب. لا يمكنني أن أتوسل بأي شيء ضد هذه الفقرات إنها هي نفسها تلك الفقرات التي أعرف عندها حق المعرفة، وأتحقق عند قراءتها على نحو واضح، من أنني معلق على ارتفاع هائل، غير أن الهواء على هذا الارتفاع، يعد لهذا السبب نفسه أمراً بالغ الخطر بالنسبة لورتي، وعلى أن أستريح.

المخلص لك

ف

الأحد

ثمة جديد اليوم لعله أن يفسر عديدا من الأشياء، يا ميلينا (ياله من اسم، غنى، له وقع ثقيل، فى أغلب الأحيان، حتى ليصعب التقاطه، لم أكن أحبه كثيرا فى البداية، ذلك أنه كان يبدو لى اسما يونانيا أو رومانيا قد ضل طريقه إلى بوهيميا، فاغتصبه التشيكوسلوفاكيون، ولفقوا نطقه، لكنه قد تحول شكلا، ولونا، إلى امرأة، امرأة يحملها المرء بين ذراعيه إلى خارج العالم، وخارج النيران، لست أدرى أية نيران، بينما تضغط هى نفسها، راضية، مطمئنة، إلى ذراعيك،... اللكنة القوية فقط فى الـ (ي)^(١) سيئة، ألا يواصل ذلك الاسم قفزاته مبتعدا عنك؟ أو لعلها فقط تلك القفزات التى قفزتها أنت نفسك بكل العبء الذى يجثم فوق كاهلك؟)

أنت^(٢) تكتبين نوعين من الرسائل، لست أعنى تلك الرسائل المكتوبة بالحبر، وتلك الرسائل المكتوبة بالقلم الرصاص، على الرغم من أن، الكتابة بالقلم الرصاص فى ذاتها توحى بأشياء عديدة، وتجعل المرء يرهف أذنيه، إلا أن هذا الاختلاف فى الحقيقة، ليس اختلافا قاطعا، إن الرسالة الأخيرة التى تتضمن خريطة الشقة مثلا، مكتوبة بالقلم الرصاص، إلا أنها قد أسعدتنى، وكان ما سعدت به (قدرى سنّى يا ميلينا، وإنهاك قوائى، والخوف الذى يستولى على فوق هذا كله، وقدرى شبابك، ونضارتك، وجرأتك، وخوفى الذى يتز، يد كما

(١) التشديد فى لفظة (ميلينا)، على المقطع الأول منها.

(٢) هب يستخدم كلفكا مرة أخرى ضمير الشخص الثانى المفرد «أنت».

ترين، لأنه يعنى الانسحاب من العالم، لهذا تزداد وطأته، ولهذا يتكاثر الخوف، ويشدد، لكن جرأتك على عكس ذلك تعنى الزحف إلى الأمام، فلو ازداد ضغط زحفك الذى يدفعك إلى الأمام، ترعرت جرأتك، وازدهرت)، كان ما سعدت به هى رسائلك المسألة، حتى ليتمكنى أن أجلس عند أقدام تلك الرسائل، سعيدا سعادة لا حد لها، فهى غيث انصب فوق الرأس الملتهبة، لكن عندما وصلتني تلك الرسائل الأخرى، يا ميلينا، حتى ولو كانت بطبيعتها أكثر لباقة من سابقتها (لم يمكننى مع ذلك، لضعفى، أن أنفذ إلى مايشيع فيها من سعادة إلا بعد أيام)، هذه الرسائل تبدأ بالوان التعجب (وأنا، على هذه المسافة البعيدة، مع ذلك)، وتنتهى برعب لا أدري كنهه، عندئذ أبدأ فى الارتعاد فعلا يا ميلينا، كما لو كنت أقف تحت جرس من أجراس الخطر، فلا يسعنى قراءة تلك الرسائل، وإن كان لابد لى من قراءتها، كما يشرب الحيوان العطشان، وهو يشعر بالخوف، بينما يتزايد خوفه أكثر فأكثر، لهذا أبحث عن قطع الأثاث التى يمكننى أن أختبئ تحتها، مرتعدا، أصلى، وأنا لا أكاد أعى شيئا من صلواتى فى أحد الأركان، عساك أن تندفعى طائفة فى الهواء، خارجة من النافذة، كما اندفعت فجأة، داخله من خلالها فى رسالتك، ذلك أننى لايمكننى، على أية حال، أن أحتمل عاصفة فى حجرتى، فى تلك الرسائل لابد أن يكون لك رأس (الميسوزا) الهائل، ذلك أن ثعابين الرعب تنفخ حول رأسك، على حين تنفخ فى الحقيقة حول رأسى أنا، ثعابين الخوف فحيحا أشد ضراوة.

(فى الهامش الأيسر): وصلتني رسالة الجمعة يوم الأربعاء، أما

الرسائل المسجلة المستعجلة فهي أبطأ من الرسائل العادية.

رسالتك التي وصلتني يوم الأربعاء، وتلك التي وصلتني يوم الخميس. لكك طفلة، طفلة صغيرة (إنني بالفعل من يخاطب المبدوزا، على هذا النحو)، يبدو عليك كما لو كنت تحملين كل فكاهاتي السخيفة (التي تدور حول - اليهودي - و«لست أدري»، و«الكرامية») محمل الجد، لقد أردت فقط، على أية حال، أن أضحكك قليلا، على أن كلا منا يخطئ بسبب الخوف، فهم الآخر، فأرجو ألا تجبريني على الكتابة إليك بالتشكيكية، لم يكن ثمة أثر مطلقا للسلام في كتابتي، يمكنني بالأحرى أن ألومك لأن لديك مثل هذا الظن الحسن، الذي يبلغ هذا الحد البعيد باليهود الذين تعرفينهم هذه المعرفة الكافية (بمن فيهم أنا) - فثمة يهود آخرون! - ، أحيانا أود لو أحشر هؤلاء اليهود جميعا (وأنا أيضا بينهم) في أحد أدراج دولاب الغسيل، وأنتظر قليلا، ثم أفتح الدرج قليلا، لأرى إن كانوا قد اختنقوا جميعاً، فإن لم أجدهم قد اختنقوا، أغلقت الدرج، و... أمضى في تلك المحاولة إلى نهايتها.

ما قلته عن (محاضرتك) كان قولاً جاداً (ernst) في الحقيقة (هاهي لفظة- Ernst)^(١) - تحشر نفسها في الرسالة، المرة بعد المرة)، ربما كنت أظلمه - ولا أحتمل التفكير في هذا - ظلماً بالغاً، غير أن شعوري بأنني متورط معه الآن أكثر فأكثر، وأنني أشد ما أكون التصاقاً به، إنه شعور مساوٍ في عنفه، لشعوري بأنني أظلمه ظلماً بالغاً، وغالباً ما أقول في (الحياة والموت). فلو أمكنتني فقط أن

(١) Ernst (ارنست) هو اسم زوج ميلنا.

أتحدث إليه!، إلا أنتى أخشاه، فهو متفوق على. أتعلمين يا ميلينا، إنك عندما تذهبين إليه فإنك تخطين بذلك خطوة واسعة إلى أسفل، بالنسبة لمستواك - لكنك إذا خطوت نحوى فسوف تتردئين فى الهاوية. هل تدركين ذلك؟ لا، لم يكن ذلك هو «مستواى الرفيع» كما جاء فى تلك الرسالة، بل «مستواك أنت» - كنت أتحدث عن (المحاضرة)، ولقد حملت كلامى عنها أيضا محمل الجد. إننى واثق من أننى لست مخطئا فيما يتعلق بذلك.

علمت ثانية بمرضك. لنفرض أن عليك يا ميلينا أن تذهبي إلى فراشك، ولعلك ستأوين إليه، وربما كنت تستلقين فوقه، بينما أكتب أنا هذه الرسالة. ألم أكن قبل مضى شهر، رجلا أفضل مما أنا عليه الآن؟، لقد كنت مشغولا بأمرك (ولم يتعد هذا الانشغال حدود تفكيرى فحسب)، وكنت قد علمت بمرضك، ولم أعد الآن كذلك، ذلك أننى الآن أفكر فى مرضى وحده، وفى صحتى، مع أنهما كليهما، سواء كان مرضى أو كانت صحتى، هما أنت.

ف

خرجت اليوم فى رحلة قصيرة، بصحبة صديقى الحميم، المهندس، لمجرد أن أنتزع نفسى من قلب ذلك الجو الناعس، وكتبت لك أيضا بطاقة من هناك غير أننى لم أستطع أن أوقع عليها، ولا أن أرسلها، لايسعنى أن أكتب لك بعد الآن كما لو كنت أكتب إلى غريبة.

الاثنيين

فى وقت مبكر من هذا الصباح ، قبل أن أستيقظ بفترة قصيرة (وقد استيقظت أيضا بعد فترة قصيرة من استغراقى فى النوم)، حلمت حلمًا مزعجا، ولا أقول مرعبا (فقد كان أثر الحلم قد تبخر سريعا لحسن الحظ)، إننى مدين أيضا، فى الحقيقة، لهذا الحلم، بتلك الفترة القصيرة التى استغرقت فيها فى النوم، بم أن المرء لا يستيقظ من مثل ذلك الحلم إلا بعد أن يكون الحلم قد بلغ غايته، ولا يمكن للمرء أن ينتشل نفسه منه قبل ذلك، فهو يمسك بالمرء من لسانه.

كان ذلك فى فيينا ، بقدر ما يمكننى أن أتخيلها فى أحلام يقظتى، استعدادا لذهابى إليها (وفى أحلام يقظتى تلك تتألف فيينا فحسب، من ميدان صغير هادئ، ويقع منزل فى أحد الجانبين، وفى مواجهته يقوم الفندق الذى سأنزل فيه، وعلى يساره تقوم المحطة الغربية التى وصلت إليها، وإلى يساره (أيضا) تقوم محطة فرانتس - يوزيف التى سأرحل منها، نعم، ويوجد فى الطابق الأرضى من المبنى الذى أقيم فيه، مطعم، بالغ الاستعداد، يقدم الأطعمة النباتية. هو المطعم الذى أتناول فيه وجباتى، لا لمجرد تناول الوجبات بل لكى أذهب إلى براغ، وقد ازداد وزنى بعض الشيء.

لماذا أقول هذا ؟ إنه لا يمت بالفعل إلى الحلم بثبة صلة، إننى فيما يبدو ما زلت أخشى ذلك الحلم)، حسنا، لم يكن الأمر تماما على هذا النحو، فلقد كانت مدينة عادية، وكان الوقت يقترب من المساء، كانت المدينة مبتلة، ومظلمة، وثمة إحساس بحركة هائلة للمرور فى شوارعها، وكان يفصل المنزل الذى أقيم فيه عن ذلك الذى تقيمين

فيه، حديقة عامة مربعة الشكل.

لقد وصلت فجأة إلى قيينا، وصلت على رأس رسائلى التى كانت ما تزال فى طريقها إليك (وهو ما أحزننى فيما بعد)، ومع ذلك فقد تناهى إليك نبأ قدومى، وكان المفروض أن نلتقى، غير أننى لم أكن وحيدا لحسن الحظ (على الرغم من أننى كنت أضيق بذلك فى الوقت نفسه)، فقد كنت وسط جماعة قليلة العدد، وكانت ثمة فتاة أيضا، كانت ترافقنى فيما أظن، غير أننى لا أعرف شيئا من التفاصيل التى تتعلق بأمر هؤلاء، فلقد ظهروا أمامى جميعا على نحو ما، كشهود فى صفى، فلو كانوا قد لزموا الصمت فقط، ذلك أنهم كانوا يتكلمون بلا انقطاع، ربما يتناولون شئونى الخاصة فى حديثهم، ولقد تناهت إلى سمعى همهمة عصبية فحسب، غير أننى لم أفهم منها شيئا، كما أننى لم أرغب فى أن أفهم شيئا. وقفت إلى يمين منزلى، على حافة الرصيف، أطلع إلى منزلك، كان عبارة عن قبلا منخفضة، لها سلم جميل بسيط من الحجر فى واجهتها، ينتهى إلى الطابق الثانى.

والآن، كان الوقت فجأة، وقت تناول الإفطار، وكانت المائدة قد وضعت فى الشرفة، ولحت من على البعد كيف وصل زوجك، وجلس إلى اليمين فوق مقعد من الخيزران، وهو ما يزال يغالب نومه، وكان يتمطى بذراعيه المفرودين على اتساعهما، ثم ظهرت أنت وجلست خلف المائدة، بحيث كان من الممكن أن يراك المرء رؤية تامة. ليس بكامل التفاصيل، بالطبع، مع ذلك، فلقد كانت المسافة بعيدة، كان من الممكن رؤية الخطوط الخارجية التى تحدد هيئة زوجك العامة بوضوح أكثر، لست أدرى كيف، على حين بقيت أنت كيانا يتنازعه اللونان الأزرق والأبيض، كيان فياض، متآلق، وكانت ذراعاك أيضا مفرودين

على اتساعهما، وإن لم يتضح من ذلك أنك كنت تتعطين، بل كانت حركة ذراعيك المفروبتين توحى بشيء أبعد من ذلك، كانت حركة ترحيب.

وبعد ذلك مباشرة، لكن... لقد وجدتني ثانية في الليلة التي سبقت ذلك، وكنت تسيرين في الشارع برفقتي، كنت تقفين على الرصيف، وكانت إحدى قدمي على الطريق، وكنت أمسك بيدك، ثم بدأ بيننا عندئذ حديث ما، سريع، مقتضب العبارات، ولا معنى له، وقد اتصل ذلك الحديث في كلمة منك وأخرى مني ردا عليها، اتصل بغير توقف حتى نهاية الحلم.

لايمكنني أن أتذكر ذلك الحوار، وإن كنت أذكر فقط العبارتين الأوليتين، والأخيرتين، أما لب الحوار فكان عبارة عن قطعة من العذاب لايمكن نقلها إليك الآن بواسطة الكلمات.

قلت مسرعا، بدلا من التحية التي كان يجب أن أستقبلك بها «لقد كنت تتوقعين أن أبدو في صورة غير التي أبدو بها الآن»، تعبير ما كان قد ارتسم على وجهك، هو ما دفعني إلى أن أتفوه بذلك، وأجبتني أنت بقولك: «لكي أكون صريحة معك غاية الصراحة، أقول إنني كنت قد توقعت أن تبدو أكثر ظرفا، (ولقد استعملت في الواقع تعبيرا شائعا في فيينا، غير أنني قد نسيت).

كانت هاتان هما العبارتين الأوليتين (في هذا المقام يتبادر إلى ذهني هذا السؤال: هل تحققت من أنني لا أحس الإيقاع^(١) مطلقا، وأنني لخبرتني لا أظن أن لمثل عجزى التام عن الإحساس به وجودا بالمرة في أى مكان؟).

(١) (جملة) تقابلها في الألمانية (Satz). وهي تعنى أيضا (حركة) في الإصطلاح الموسيقى.

بهاتين العبارتين في الحقيقة كان كل شيء قد تقرر، فما الذي يمكن أن يكون قد تبقى؟ غير أن الجدل كان قد بدأ عندئذ بشأن لقاء آخر، ذلك الجدل الذي كان يتبدى فيما كان يصدر عنك من التعبيرات بالغة الغموض، وفي تساؤلاتي الملحة التي لا تنتهي عند حد.

عندئذ تدخل رفاقي، وصرح أحدهم بأنني كنت قد قدمت أيضا إلى فيينا لزيارة إحدى المدارس الزراعية في ضواحي فيينا، وبدأ عندئذ أن الوقت سيتسع لي على الرغم من كل شيء للقيام بهذه الزيارة، بدأ لي أنهم كانوا يحاولون أن يتخلصوا مني رحمة بي. ومع أنني كنت قد تبينت ذلك، إلا أنني على الرغم من ذلك توجهت نحو المحطة لا ألقى على شيء، يداعبني الأمل دون شك، في احتمال أن يكون لإظهار رغبتى الحاسمة تلك في الرحيل تأثير ما عليك، وبلغنا تلك المحطة القريبة جميعنا، ثم اتضح عندئذ أنني قد نسيت اسم البلدة الذي توجد بها تلك المدرسة، توقفنا أمام جداول مواعيد القطارات الضخمة، بينما راح شخص ما يمر بأصبعه على أسماء المحطات وهو يسألني إن كانت هذه المحطة أو تلك، هي المحطة التي أريدها، غير أن المحطة التي كنت أريدها لم توجد بين تلك المحطات جميعا.

وسنحت لي الفرصة في تلك الأثناء لكي أرقبك بعضا من الوقت، ولم يكن مظهرك ليغير من الأمر شيئا في الحقيقة بالنسبة لي. كان الشيء الوحيد الذي يعنيني هو كلمتك. على أنك لم تكوني على أية حال كعهدى بك، كنت تلوحين لي أشد سمره، بدا لي وجهك نحيفا، إلا أن من لها مثل هذين الخدين الممتلئين لا يمكن أن تكون في مثل قسوتك. (لكن هل كان الموقف قاسيا بالفعل إلى هذا الحد؟)، ثوبك

الذى بدا لى غريبا جدا، كان من نفس قماش بدلتى، وكان أقرب ما يكون إلى القماش الرجالى، لم أحبه لهذا، فى الحقيقة، مطلقا. غير أننى تذكرت عندئذ فقرة وردت فى إحدى الرسائل (تقول الأغنية لست أملك سوى ثوبين فحسب، لكننى أبدي جميلة ما أزال)^(١)، إلى هذا الحد البالغ، كانت قوة تأثير عبارتك فى نفسى، حتى أننى قد أحبيت ثوبك غاية الحب منذ تلك اللحظة.

ثم كانت النهاية، كان رفاقى ما يزالون يبحثون فى جداول مواعيد القطارات، ففتحنا جانبنا، وتناقشنا.

وكان ما انتهت إليه المناقشة شيئا من هذا القبيل: إن اليوم، التالى هو الأحد، بدا لك ذلك أمرا يكاد يدفعك إلى الكراهية، فكيف أمكننى أن أفترض أن وقتك سيتسع لى يوم الأحد. بدا مع ذلك أنت قد أذعنت أخيرا، وقلت إنك ستحاولين أن تعطينى من وقتك أربعين دقيقة. (لم يكن أشد ما يثير الرعب فى نفس المرء فى هذا الحديث، مجرد كلماته بالطبع، بل كانت لهجته المستخفية، إحساس المرء البالغ باللاجدوى فى تلك اللهجة، ذلك الإحساس الذى كان يتأكد فى مجادلته المتصلة (لا أريد أن أحضر، فإذا حدث أن تمكنت من الحضور على الرغم من ذلك فما الذى ستجنيه من حضورى؟)، لكنك ما إن قررت تدبير تلك الدقائق الأربعين، حتى وجدتني لا أكاد أقوى على الانفصال عنك، إنك لا تعلمين شيئا، فعلى الرغم من كل ما بدا عليك من الاستغراق فى التفكير، لم يسعك أن تتخذى قرارا، وتسألنا أنا فى النهاية قائلا: «هل سأنظرك طوال اليوم؟»، فأجبتني قائلا. «نعم»، وتركتني إلى جمع من الناس الذين كانوا يقفون هناك

(١) لعلها أغنية شعبية.

فى انتظارك. كان معنى إجابتك هو أنك لن تحضرى مطلقا. وأن لامتياز الوحيد الذى أمكنك أن تقدميه إلى هو السماح لى بانتظارك. قلت فى صوت خفيض «لن أنتظر»، ولما بدا لى أنك لم تسمعى ما قلت، وأن ما قلته كان هو ورقتى الأخيرة فى نهاية الأمر، صحت فى يأس مرردا ما قلته عندما استدرت مبتعدة عنى. غير أن ذلك لم يغير من الأمر شيئا بالنسبة لك، ذلك أنه لم يبد عليك أدنى اهتمام بما قلت. فترنحت أنا على نحو ما راجعا إلى المدينة.

ثم وصلتنى بعد مضى ساعتين رسائل وزهور، ودُّ وسلوى.

المخلص لك

ف

العناوين ليست واضحة مرة أخرى باميلينا، ولقد أعاد موظفو البريد كتابتها وإكمالها. كانت العناوين بعد أن التمسست منك توضيحها أول مرة، مدهشة، كانت مجموعة من النماذج الخطية الجميلة، المتنوعة، وإن لم تكن واضحة مع ذلك. فلو كان لمكتب البريد عيائى، لما أمكنه أن يقرأ سوى عناوينك وحدها، لكنه لما لم يكن سوى مكتب بريد...

الانئين

أنت على حق، الآن فقط عندما كنت... - لقد وصلت الرسائل، يا للأسف، وصلتنى متأخرة فى المساء، وأريد فى صباح الغد الباكر أن أخرج فى نزهة قصيرة مع المهندس إلى (بولتسانو) - قرأت اللوم الذى توجهينه إلى (الطفل الصغير)، لقد قلت لنفسى بالفعل كفى،

لا يمكنك أن تواصل قراءة الرسائل الليلة. لابد لك من أن تتألى قسطاً من النوم إن شئت أن تمضى فى نزهتك القصيرة فى صباح الغد الباكر - انقضى بعض الوقت قبل أن أمضى فى القراءة، وقبل أن أفهم، وقبل أن ينحل التوتر، وقبل أن أدفن وجهى بزفرة ارتياح فى صدرك، لوجودك هنا (ولست أعنى بذلك وجودك الجسدى وحده). إن هذا معناه بلا شك أننى مريض، أليس كذلك؟ إننى أعرفك على أية حال، و أعرف أيضاً أن (الطفل الصغير) ليس أسلوباً بالغ لسوء فى مخاطبة شخص ما.

يمكننى أن أعتبر هذه العبارة هى أيضاً مجرد مزحة، إلا أن كل شيء يمكن كذلك أن يتحول بالنسبة لى إلى تهديد. فلو حدث أن كتبت إلى قائلة: «لقد أحصيت بالأمس عدد المرات التى وردت فيها (وار) العطف، فى رسالتك، ولقد وجدت منها ما يقرب من كذا، فكيف وانتك الجراءة على أن تكتب لى (و)، وأن تكتبها علاوة على ذلك بمثل تلك الكثرة؟» - ثم لعلى أن أكون، - بشرط أن تلتزمى بجديتك -، قد اقتنعت بأننى قد وجهت إليك إساءة ما، وأن أغرق فى تعاستى البالغة لهذا. ولعل ثمة إساءة تكون قد وجهت إليك بالفعل على أية حال، من الصعب أن يراجع المرء نفسه لى يتأكد من هذا.

كما لا يجب عليك أن تنسى أن المزاح، والالتزام بالجدة، وإن كان من السهل التفريق بينهما فى سهولة، إلا أنه عندما يقع فى روع نوى الشأن من الناس أن حياة المرء الخاصة تعتمد عليهما، هنا لا يبدو التفريق بين المزاح والجد بمثل السهولة التى سبق له أن تبدى بها، هنا فى الحقيقة، تكون مجازفة المرء بالغة الخطورة عندما يعنى فى تدقيق نظره الفاحصة، وما إن تنهياً للمرء مثل تلك النظرة البالغة

التدقيق، حتى يكون قد أسلم نفسه كلية للضياع. فى هذا المقام، لم أكن أتمتع بالقوة، حتى فى لحظات قوتى، فى الصف الأول، من المدرسة الابتدائية، مثلاً. فطباختنا، وهى امرأة نحيلة، ضئيلة، معروفة، لها أنف مدبب، وخبود مجوفة، مصفرة البشرة، وإن كانت شديدة، ونشطة، ومتفوقة، كانت تقودنى كل صباح إلى المدرسة. كنا نعيش فى ذلك المنزل الذى يفصل (الساحة الصغيرة) عن (الساحة الكبيرة). وعلى هذا فقد عبرنا (الساحة) أولاً، ثم سرنا عبر (تاينجاسه)، واخترقنا نفقا ذا سقف مقبب فى ممر (سوق اللحم)، منحدرين نحو (سوق اللحم). وذات يوم بعد أن انقضى ما يقرب من العام، ونحن نقطع كل صباح نفس الطريق، قالت الطباخة فى اللحظة التى غادرنا فيها المنزل، إنها سوف تخبر المدرسة بشقوتى الزائدة فى المنزل. ولعل وصف الشقاوة الزائدة، لم يكن لينطبق على، فى الحقيقة، فقد كنت عنيدا على نحو ما، وخائبا، وحزينا، وسىء الطبع، وكان من الممكن اختلاق شىء ما من بين هذا كله، وتبليغه إلى المدرسة. كنت أعلم هذا، لذا لم بيد لى تهديد الطباخة مما يستهان به. ومع ذلك فقد اعتقدت أن شيئا ما قد يطرأ على جدية هذا التهديد، فى طريقنا إلى المدرسة، ذلك أنه كان طريقا بالغ الطول (ينبع ذلك القلق، وتلك الجدية العمياء من مثل خفة القلب الصببانية تلك، التى تزداد فى مثل تلك الحالة شيئا فشيئا، فقط عندما لا تكون الطريق بمثل ذلك الامتداد البالغ). كان الشك يراودنى أيضا، خاصة عندما كنا نجتاز ساحة (ألتشتاتر)، فيما إذا كانت الطباخة، تلك المرأة التى، وإن كانت توحى بالاحترام فى أوساط الخدم، ستجروء على أن تتحدث إلى المدرسة، تلك الشخصية التى تفرض على العالم

احترامها. ربما كنت قد تفوهت بشيء من هذا، على حين كانت الطباخة تجيبني دائما باقتضاب، بشفتيها الرفيعتين، القاسيتين، قائلة إنني لا أصدق أنها ستفعل ذلك، إلا أنها ستفعله. وفي مكان ما، على مقربة من مدخل ممر سوق اللحم، (وهو مكان ما يزال ذا أهمية تاريخية بالنسبة لى بصورة ما؛... فى أى حى من أحياء براغ قضيت طفولتك؟)، تملكنى تماماً الخوف من عاقبة ذلك التهديد، كانت لمدرسة فى حد ذاتها كابوسا لا أقوى على احتماله، والآن تحاول الطباخة أن تزيد الأمر سوءا، ورحت أتوسل إليها، فهزت رأسها، وكلما أمعنت فى التوسل، كلما اتضح لى هول ما كنت أتوسل من أجله، وكلما تضخم الخطر أمام عيني، فتوقفت فى مكانى، ورجوتها أن تغفر لى، جرجرتنى خلفها فى الطريق، وهددتها بانتقام والذى، فضحكت، (هنا) بدت لى غاية فى القوة، فتشبثت بأبواب الحوانيت، وبأحجار الزوايا، ورفضت أن أخطو خطوة واحدة، ما لم تعلن صفحها عني، وتشبثت بردائها. أجبها إلى الخلف (ولم تلزم هى الأخرى بدورها جانب العلم)، بل ظلت تجرجرنى خلفها، وهى تؤكد لى بلهجة قاطعة، إنها ستخبر المدرسة عن هذا أيضا، وتأخر بنا الوقت، ودقت ساعة (كنيسة ياكوب) معلنة تمام الثامنة، وبلغت أسماعنا رنات أجراس المدرسة، وأسرع الأطفال الآخرون بالجري، وكان أشد ما يرعبنى دائما هو خوف التأخر، كان علينا أن نسرع نحن أيضا بالجري، وكنت طوال الوقت نهبا للتفكير فى أنها: ستقول، لن نقول حسنا: لم تقل شيئا، لم تتفوه مطلقا بشيء، غير أن الفرصة كانت أمامها دائما فى أى وقت، لكى تقول ما تشاء، بل إن الفرص لتتزايد أمامها يوما بعد يوم (لم أقل شيئا بالأمس، لكننى

سأقول اليوم حتماً)، لم تقلع عن ذلك مطلقاً، وكانت أحياناً -
تصورى هذا يا ميلينا - تدق قدمها فى الأرض، غضباً منى، وكان
يتصافد وجود بانعة الفحم هناك. تتطلع إلينا حينذاك، يا لها من
حماقات يا ميلينا!، وكم يبدو ارتباطى بك وثيقاً، بكل الطبائخات،
والتهديدات، وكل ذلك الغبار الرهيب، الذى أثارتة سنايك الأعوام
الثمانى والثلاثين، حتى استقر فى رتى.

لم أقصد فى الحقيقة أن أخبرك بهذا كله، أو أننى على الأقل لم
أقصد أن أخبرك به على هذه الصورة. لقد تأخر بى الوقت، ويجب
على أن أكف عن الكتابة، لكى أوى إلى النوم، ولن أتمكن من
الاستغراق فى النوم، لأننى قد توقفت عن الكتابة إليك. لوراودتك
الرغبة، فى أى وقت، فى أن تعرفى النهج الذى كانت تسير عليه
طفولتى المبكرة، فسوف أرسل إليك من براغ تلك الرسالة الهائلة،
التي كتبتها إلى أبى، منذ ستة شهور، وإن لم أسلمها إليه بعد.

وسوف أرد على رسالتك غداً، فإذا تأخر بى الوقت فى المساء،
فسوف أرد بعد غد.

سوف أبقى بضعة أيام أخرى لأننى قد نبذت زيارة والدى فى
(فرانتسباد)، على الرغم من أن أحداً لا يمكنه بسهولة أن يطلق على
ذلك (الاسترخاء فى أركان الشرفة) نبذاً.
ومرة أخرى أشكر على رسالتك.

ف

الثلاثاء

اليوم، فى الصباح الباكر، حلمت بك مرة أخرى. كنا نجلس

بجوار بعضنا البعض، وكنت تبعديننى، فى غير غضب، بل كنت تبعديننى عنك بود. وكنت غارقا فى تعاستى. لا بسبب إبعادك لى، بل كنت أحس التعاسة لأننى كنت أعاملك كئثة امرأة صامتة أخرى، ولأننى كنت قد فشلت فى أن أسمع ذلك الصوت الذى تنهى إلى صادرا عنك، ذلك الصوت الذى تحدث إلى ببلاغة، ولعل تعاستى لم يكن مرجعها فشلى فى أن أسمع ذلك الصوت، بل عجزى عن إجابته.

انصرفت مبتعدا، ويأسى يفوق ما أحسسته من يأس فى حلمى الأول. تذكرت فى هذا الصدد، شيئا كنت قد قرأته ذات مرة، فى مكان ما، هو ما يلى ، وإن يكن على شيء من الغموض:

«حبيبتي نهر هائج يتدفق فوق سطح الأرض، نهر يطوقنى الآن، ومع ذلك فهو لا يصطحب هؤلاء الذين يطوقهم، بل أولئك الذين يتطلعون».



(الآن. حتى اسمى فقدته، فقد أخذ
ينكمش. وينكمش طوال الوقت، فأصبح
الآن: لك)

الارتقاء

وصلتني رسالتك معاً. عند الظهر، ولم يكن الوقت يسمح بقراءتهما، بل بنشرهما حتى يتسنى للمرء أن يمرغ وجهه على صفحاتهما، وأن يفقد صوابه، وإن بدا لى الآن أنني قد فقدت بالفعل بعضاً من صوابى، وعلى لهذا أن أحتفظ بالبقية الباقية منه، لأطول

فترة ممكنة. وما يلي هو كيف واجهت سنواتي اليهودية الثماني والثلاثين بسنواتك المسيحية الأربع والعشرين:

كيف يمكن ذلك؟ وأين هي القوانين التي تحكم العالم، وأين هم جند السماء جميعاً؟ لقد بلغت الثامنة والثلاثين من عمرك، وقد نال منك التعب كما لم ينل ممن لم يتقدم مطلقاً في العمر. أو أنك على نحو أكثر دقة: لست متعباً بالفعل، في حقيقة الأمر، لكنك قلق، تخشى أن تخطو خطوة على هذه الأرض، التي تنتشر فوقها الكائنات، التي أعدت لاصطياد الإنسان، وهذا هو السبب في أنك تجهد في أن تظل قدمك كئاثراً في الهواء دائماً، في وقت معاً، إنك لست متعباً، لكنك خائف من ذلك التعب اللانهائي، الذي سوف يعقب ذلك القلق اللانهائي، والذي (وأنت يهودي، على أية حال، وتعرف ما هو الخوف!) يمكن تجسيده للرؤية، أوضح ما يكون في صورتك كشخص مختل العقل يحدق أمامه في الفراغ، في حديقة مستشفى المجاذيب، خلف ميدان كارلسبلاتز.

حسناً، هذا هو إذن وضعك، لقد اشتريت في العديد من المناوشات، وعلى هذا فقد كدرت كلا من الصديق والعدو على حد سواء (ولم يكن هنالك بالفعل، سوى الأصدقاء فقط، هم هؤلاء الطيبون الأعزاء، ولم يكن ثمة أعداء لك)، وأصبحت لهذا مريضاً بالفعل، أصبحت واحداً من هؤلاء الذين يرتعدون عندما تقع أعينهم على مسدس يشهره في وجوههم طفل، والآن؛ الآن فجأة تشعر بشعور من وجهته إليه الدعوة للاشتراك في معركة لتحرير العالم كله. وسوف يبدو لك هذا أمراً بالغ الغرابة، أليس كذلك؟

تذكر أيضاً، أنه ربما كانت أفضل فترة في حياتك كلها، هي تلك

الفترة التي ربما لم تتحدث عنها بصراحة إلى أى شخص بالفعل،
وهي تلك الشهور الثمانية التي قضيتها في إحدى القرى القريبة منذ
سنتين، حيث ظننت هناك أنك قد تخلصت من كل شيء، وحيث
انشغلت فقط، بما لم يكن بينك وبين نفسك محلا للتساؤل. هناك،
حيث عشت طليقا، بلا رسائل، وبغير ذلك الاتصال الذي دام خمس
سنوات ببرلين عن طريق البريد، وحيث عشت هناك في حماية
مرضك، حين لم يكن عليك أن تغير كثيرا مما بنفسك، بل كان عليك
فقط أن تتعقب مرة أخرى - بمزيد من الحزم - آثار الخطوط
الخارجية الضيقة التي تحدد طبيعتك (فوجهك على أية حال، تحت
شعرك الرمادي . لم يطرأ عليه تغير نو بال ، منذ أن كنت في
السادسة من عمرك).

لم تكن هذه هي النهاية التي انتهت إليها، للأسف، خلال الشهور
الثمانية عشرة الأخيرة. لم يكن يسعك سوى بصعوبة بالغة أن
تغطس في هذا الاتجاه إلى عمق أبعد من هذا (أستثنى هنا الخريف
الماضي الذي ناضلت خلاله مخلصا من أجل الزواج)، ولم يكن
يسعك أن تجر جر خلفك مخلوقا بشريا آخر، فتاة طيبة، تستهلك
نفسها في الأثنية، وتهبط بك إلى أعماق أبعد، لا، ليست أبعد، بل
هي أعماق لا مخرج منها، حتى ولو إلى القرار.

حسنا، والآن تدعوك ميلينا بصوت يتطرق إلى عقلك، وإلى قلبك
بنفس العمق. ولا تعرفك ميلينا بالطبع، فقد خطفت بصرها بضع
قصص قليلة، ويضع رسائل، إنها كالبحر، جبارة كالبحر بمياهه
التي تمتد إلى غير حد، وإن كان؛ وهذا هو عيبه؛ يتقهقر بكل جبروته،
وينزل على رغبة القمر المبت هناك؛ على ذلك البعد اللامتناهي. إنها لا

تعرفك، ولعل لديها شعوراً صادقاً خفياً يجعلها ترحب بحضورك. وأن حضورك بالفعل سيبهرها فى التو، شىء يمكنك أن تتيقن منه فلعل هذا إذن أن يكون، يا رقيق الروح، هو السبب فى رغبتك عن الذهاب، لأنك تخشى أن يحدث لها شىء من هذا؟

لكن لنفرض. أن لديك مئة سبب آخر خاص، يمنعك من الذهاب (ولديك بالفعل ما يمنعك)، وأن لديك، بالإضافة إلى ذلك، سببا آخر لا يتعلق بك وحدك، هو ذلك السبب الذى يتلخص فى أنك لن تتمكن من مخاطبة زوج ميلينا، وأنتك لن تقوى حتى على مجرد رؤيته، وأنتك لن تقوى أيضاً، وبفس الدرجة، على أن تتحدث إلى ميلينا، أو أن تراها حين لا يكون زوجها حاضرا. لو أننا فرضنا هذا كله، لبقى مع ذلك اعتباران آخران ليواجهها ما سبق أن سلمنا به جدلا.

أولهما، عندما قلت أنك ستحضر، لعل ميلينا ألا تكون لديها الرغبة فى حضورك، لا لتردها، بل لإرهاقها الواضح، ولعلها ستسمح لك بكل سرور وارتياح، أن ترحل لو شئت.

لكن ثانيهما: هو رغبتك فى مجرد الذهاب إلى فيينا، ولنر ما يحدث! إن ما يشغل بال ميلينا هو، فتح الباب! وسوف يفتح الباب بالفعل، لكن بعد ذلك؟، بعد ذلك، سيقف هنالك فى فتحته كائن ما، نحيل، على شفثيه ابتسامة ودية (وستعلو وجهه تلك الابتسامة طوال الوقت، ابتسامة ربما كان قد ورثها من إحدى العمامت المسنات، اللواتى يبتسمن على الدوام، وإن لم تفعل أى منهن ذلك عن قصد، لكنهن يبتسمن ببساطة لارتياكهن)، وبعد ذلك سيجلس ذلك الكائن حيث اعتزم أن يجلس، وبهذا يكون التكلف قد بلغ غايته بالفعل، ذلك أنه لا يبدو أن ذلك الكائن سيتحدث كثيرا، فسوف يفقد الحيوية

اللازمة لذلك، (بالأمس قال جارى الجديد على مائدة الطعام فى مجال الحديث عن الغذاء النباتى الذى يتناوله الرجل الصامت: «أعتقد أن اللحوم، لاغنى عنها مطلقا، كعنصر أساسى فى غذاء من يمارس العمل الذهنى»)، كما أن ذلك الكائن لن يشعر، حتى بالسعادة، ذلك أنه سيفتقد الحيوية اللازمة لممارسة مثل ذلك الشعور، أيضا.

ترين من هذا، يا ميلينا، أننى أتحدث بصراحة. إلا أنك تتمتعين بالذكاء، وستدركين طوال الوقت، أننى وإن كنت أقول الحقيقة (الحقيقة الكاملة، الصادقة، بحذافيرها)، إلا أننى أتحدث، على الرغم من ذلك فى صراحة بالغة. فى مقدورى على أية حال، أن أحضر بدون هذا الإعلان، وفى مقدورى أن أنبهك، دون أن أتوسل إلى ذلك بمثل هذه الضجة التى أثيرها الآن. فإن كنت لم أفعل ذلك، فلا معنى لهذا، سوى أنه دليل آخر على صدقى، أو دليل آخر على ضعفى.

سأبقى أسبوعين آخرين، لأننى أشعر بالخجل، وهو شعورى الغالب، وأخاف من العودة بهذه النتيجة التى انتهت إليها علاجى. إن الضيق الذى أشعر بأتنى سأواجهه عند عودتى إلى منزلى، وإلى عملى بصفة خاصة، إن يسببه سوى توقعهم هناك، عند عودتى، شيئا يقرب من الشفاء التام، فى نهاية هذه العطلة.

بالإضافة إلى العذاب الذى تسببه لى تلك الأسئلة: كم بلغ وزنك فى هذه المرة؟ على حين أن وزننى قد نقص. لاتقتصد! (توجه إلى هذه الكلمة، إشارة إلى بخلى)، و إننى أنفع فاتورة البنسيون كاملة، إلا أننى لا أستطيع أن أتناول ما يقدمونه لى من الطعام. ونكات عديدة من هذا القبيل.

وجدت أنك مازلت ترغبين فى حضوري، فى نهاية الأسبوعين، رغبة صريحة، كنتك التى صرحت لى بها يوم الجمعة، فسوف أحضر عندئذ.

المخلص لك



السبت مرة أخرى

يجب أن نكف عن كتابة هذه الرسائل التى تشطب بعضها بعضا، يا ميلينا، إنها تدفعنا إلى الجنون، إن المرء لا يكاد يعرف ما كتبه، ولا ما أجاب به، ويرتعد طوال الوقت، أيا كان الأمر. إننى أفهم لغتك التشيكية غاية الفهم، ويمكننى كذلك أن أسمع الضحكة، إلا أننى أنقب فى رسائلك، أنقب حتى بين الكلمة والضحكة، ثم أسمع الكلمة فقط، وعلاوة على ذلك، فإن طبيعتى هى الخوف.

لايمكننى أن أقطع بما إذا كنت مازالين ترغبين فى رؤيتى بعد رسالتى إليك يومى الأربعاء والخميس، إن الرابطة التى تربطنى بك، هى رابطة أعرفها (فأنت تنتمين إلى حتى ولو قدر لى ألا أراك ثانية على الإطلاق) - رابطة أعرفها بقدر ما تنقطع صلتها بذلك الشعاع من الخوف الذى لايمكننى أن أسبر غوره، غير أن ما يربطك بى هو ما لا أعرفه مطلقا، ذلك أن تلك الرابطة التى تربطك بى، تنتمى كلية إلى الخوف. لكنك لا تعرفيننى يا ميلينا، وأكرر هذا القول.

فيما يتعلق بى، لعلك ترين أن ما يحدث لى، هو حدث خطير. إن عالمى يتهاوى، إن عالمى يتعالى، ويرقب (وهذا هو أنا) كيف تحيينه

* [فى الهامش الأسمر] لا، أنت لا تفهميننى، أيضا، يا ميلينا، فلقد كانت (المسألة اليهودية) على أية حال مجرد نقطة سخيفة.

أنت. لست أرثى للانهيـار، فلقد كان مجرد انهيار وسط موكب
الانهيار، إلا أن ما أرثى له حقاً، هو نهوضه، يؤسـفنى افتقارى إلى
القوة، يؤسـفنى أننى ولدت ، أرثى لضوء الشمس.

كيف سنتمكن من أن نواصل الحياة؟ لو أنك قلت (نعم)، رداً على
رسائلى، فلا يجب عليك عندئذ أن تواصلى حياتك فى قـيـينا، فهذا
مستحيل.

ميلينا، أنت بالنسبة لى ، لست امرأة، أنت فتاة، فتاة لم أر مثـها
أبداً من قبل، لست أظن لهذا أننى سأجرق على أن أقدم لك يدى
أيتها الفتاة، تلك اليد الملوثة، والمعروقة، المهترئة، المترددة ، التى
تتناوبها السخونة والبرودة.

فـ

بخصوص ساعى بريد براغ، أراها خطة فاشلة، فسوف تجدى
فقط بيتاً خاوياً. هو مكتبى. بينما أكون جالساً فى تلك الأثناء فى
رقم ٦ ساحة ألتشتاتر، فى الطابق الثالث، إلى إحدى المناضد،
ودجـهـى بين يدى.

الأربعاء

من الصعب قول الصدق، فعلى الرغم من أنه لا يوجد سوى
(صدق) واحد فقط، لكنه صدق مفعم بالحياة، وعلى هذا فإن له وجهاً
متغيراً، ممثلثاً حيوية: «وهو ليس وجهاً جميلاً على أية حال، ليس
جميلاً فى الحقيقة، لكنه قد يبدو جذاباً فى بعض الأحيان».

لو أننى قضيت الليل كله من مساء الاثنين حتى صباح الثلاثاء
فى الإجابة على رسالتك، لكان ذلك مرعباً. لقد استلقيت على

لو أنني قضيت الليل كله من مساء الاثنين حتى صباح الثلاثاء في الإجابة على رسالتك، لكان ذلك مربعا. لقد استلقيت على فراشي، كما لو كنت قد تمددت فوق آلة تعذيب، لقد قضيت الليل كله في الرد عليك، في الشكوى إليك، قضيت محاولا أن أخيفك حتى تبتردى عني، وكنت ألعن نفسي (كان السبب في هذا أيضا أنني كنت قد تسلمت رسالتك في الحقيقة في ساعة متأخرة من المساء، وأنني كنت، وأنا في أحضان الليل، متأثرا غاية التأثير، ومرتاحا إلى الإجابة على ما جاء فيها من التساؤلات الجادة).

ثم رحلت في الصباح الباكر إلى بولتسانو، فأخذت القطار الكهربائي إلى كلوينشتاين، على ارتفاع ١٢٠٠ متر، واستنشقت، وإن لم يكن بكل طاقتي هواء نقيًا يميل إلى البرودة، أمام بداية سلسلة جبال دولومايت، ثم كتبت لك في طريق عودتي ما أنسخه لك الآن، حيث وجدت أن ماكتبته لك، كان شيئا بالغ الحدة، كما يبدو لي اليوم على الأقل، وعلى هذا فالأيام تتفاوت:

أصحبت وحدي أخيرا، فقد بقي المهندس في بولتسانو، وأنا في طريق عودتي. إنني لم أتالم كثيرا من حقيقة أن المهندس والطبيعة كنا قد اندسا بيني وبينك، ذلك أنني لم أكن مع نفسي. لقد أمضيت مساء أمس حتى الساعة الثانية عشرة والنصف معك، أكتب إليك، ثم بعد ذلك كنت معك بأفكاري، ثم ظلت مستلقيا في فراشي حتى السادسة صباحا، وكنت قد استغرقت أثناء ذلك في النوم بضع دقائق قليلة فقط، ثم انتزعت نفسي من الفراش، كما ينتزع غريب غريبا من فراشه، وكان هذا كله حسنا، ذلك أنني لم أكن لأفعل غير هذا سوى التسكع بلا هدف، وقضاء اليوم هناك في ميران.

لا يعنيني كثيرا أنني لم أكن فى كامل وعيى فى أثناء هذه الرحلة، وأن هذه الرحلة ستبقى فى ذاكرتى فقط كحلم غامض إلى حد ما. كانت الليلة شبيهة بهذه، ذلك أنك برسالتك (إن لك لنظرة ثاقبة وإن لم يبد أن لهذا أهمية خاصة، مع أن الناس، يتجولون دائما فى الشوارع، ويتهممون على نظرة المرء، لكنك تتمتعين بشجاعة تنطق بها نظرتك فى مواجهة ذلك التهم، وتتمتعين فوق هذا كله بالقوة على أن توجهى نظرتك إلى ما هو أبعد من هذا، وهذه النظرة إلى البعيد هى أكثر الأشياء أهمية، وإنك لقتمتعين بقدرتك على توجيه هذه النظرة)، قد أيقظت كل الشياطين القديمة التى تنام بعين مغلقة واحدة، وبعينها الأخرى المفتوحة تتحين الفرصة، تلك الفرصة التى تبدو، على الرغم من الرعب الذى تثيره، حتى ليتصيب المرء عرقا باردا (وأقسم لك إن ذلك العرق لايتصيب من شيء آخر سواها، سوى تلك القوى غير المحسوسة)، فرصة طيبة على الرغم من هذا، وصحية، وإن المرء ليتطلع إليها، إلى تلك الشياطين ويعلم أنها هناك، ومع ذلك فإن تفسيرك لنصيحتي بأن (عليك أن تغادري شيئا) ليس تفسيراً بالغ الدقة. إننى لم أكتب ذلك دون تدبر، كما إننى لست عاجزا عن تحمل العبء المادى (دخلى ليس كعبيرا، لكننى أعتقد أنه يكفينى معا، ولايعنى هذا بالطبع، أن كفايته تغطى أيضا احتمالات المرض)، كما أننى مخلص، علاوة على ذلك، فى حدود قدرتى على التفكير والتعبير (ولقد كنت هكذا دائما، على الرغم من أنك كنت أول من شملنى بنظرة العطف التى شجعتنى على أن أبقى هكذا). إن ما أخافه، ما أخافه وعينائى مفتوحتان على اتساعهما، بعد أن غرقت فى أعماق خوفى، عاجزا حتى عن محاولة النجاة (لو أمكننى أن أستغرق فى النوم، كما أغرق فى خوفى على هذا النحو، فلن أكون حينئذ على

قيد الحياة) هو تلك المؤامرة التي تقوم فى داخلى ضد ذاتى، تلك المؤامرة وحدها هى ما أخشاه، (وهذا ما سوف تفهمينه بصورة أوضح بعد قراءة رسالتى إلى أبى، وإن كنت لن تفهمى ذلك منها تمام الفهم مع ذلك، لأن تلك الرسالة قد وجهت فى إحكام بالغ نحو هدفها) وهى مؤامرة لعلها قد قامت على أساس أننى فى مباراة الشطرنج الهائلة، التى لا دور لى فيها سوى دور حصان، بل دور أهون منه بكثير، أجدنى الآن خلافا لكل القواعد المتبعة فى اللعبة، وعلى حساب اللعبة، راغبا فى احتلال مكان الوزير - أنا (الحصان) - بـ ذلك الشيء الذى لا وجود له، والذى لا أهمية مطلقا لدوره فى المباراة - وربما كنت راغبا أبعد من هذا فى أن أحتل مكان (الملك) نفسه، وربما راودتنى الفكرة فى أن أحتل وحدى رقعة الشطرنج كلها، وهكذا، لو أننى كنت حقا قد أردت ذلك، لكان حتما أن يتم هذا بطريقة أخرى أبعد ما تكون عن الإنسانية.

هذا هو السبب فى أن الاقتراح الذى اقترحتة عليك، له بالنسبة لى أهمية تفوق كثيرا أهميته بالنسبة لك. ذلك أن هذا الاقتراح هو الشيء الوحيد المؤكد الآن، الخالص من الشوائب، وهو الشيء الوحيد الذى يسعدنى سعادة كاملة.

كان هذا هو الحال بالأمس، سأقول لك اليوم مثلا، أننى لن أحضر قطعا ، إلى فيينا، لكن لما كان اليوم هو اليوم ، وكان الغد هو الغد، فسوف أسمح لنفسى بشيء من الحرية. لن يدهشك أمرى بحال من الأحوال، كما أننى لن أتأخر عن الحضور أكثر من يوم الخميس، فلو وصلت إلى فيينا فسوف أرسل لك برفقة (لايمكنتى أن

أقابل أحدا سواك، أعلم هذا)، من المؤكد أنني لن أصل قبل يوم الثلاثاء. سوف أصل إلى المحطة الجنوبية، وإن كنت لا أعلم حتى الآن إلى أين سأذهب بعد ذلك عندما أبلغها، وعلى هذا فسوف أبقى بالقرب من المحطة الجنوبية، يؤسفنى أنني لا أعرف أين تقومين بإلقاء دروسك فى المحطة الجنوبية، فيمكننى أن أنتظر هناك فى الساعة الخامسة (لأبد أننى قد قرأت هذه الجملة من قبل فى إحدى القصص الخرافية، فى مكان لا يبعد كثيرا عن الجملة التالية إن لم يكونوا قد ماتوا، فلا شك أنهم ما يزالون اليوم على قيد الحياة).

رأيت اليوم خريطة لقيينا، فبدأ لى، للحظة، أنه مما يستعصى على الفهم، قيامهم بتشييد مثل تلك المدينة على حين أنك تريدين فقط، حجرة واحدة.

ف

قرأت بإمعان تلك الملاحظة التى تتعلق بالطعام، نعم، هذا أيضا سوف يترتب تلقائيا، لقد أصبحت ذلك الرجل المهم الآن - وإننى أقرأ الرسائل بنفس الطريقة التى يلتقط بها العصفور الفتات فى حجرتى، مرتعشا مرهفا سمعه، متفحصا ما حوله، نافشا كل ريشه.

الظميس

يكون المرء أشد يقظة بعد ليلة يقضيها مسهدا، منه بعد ليلة يستغرق فيها فى النوم. بالأمس استغرقت فى نوم عميق إلى حد ما، ثم كتبت فى الحال تلك الحماقات عن رحلتى إلى فيينا. ليست هذه الرحلة، فى نهاية الأمر بالشئ الهين، إنها ليست موضوعا للتسلية.

تقننى من أنتى إن أفاجئك بحال من الأحوال، إن مجرد التفكير فى ذلك يجعلنى أرتعد، لست أنوى مطلقا الحضور إلى شقتك، إذا لم تصلك برقية منى حتى يوم الخميس، فسوف أكون قد ذهبت حينئذ إلى براغ . سأصل، بالمناسبة، بناء على ما بلغنى، إلى المحطة الجنوبية (أظن أننى قد كتبتها فى الليلة الماضية المحطة الجنوبية)، إلا أن هذا لا يهم. وعلاوة على هذا، فلست شخصا شاردا، ولا متبلدا، ولا مهملا إلى أقصى حد - بل لقد استغرقت قليلا فى النوم بعد أن فرغت من ترتيب كل شيء. فلا تخشى شيئا فى هذا الخصوص، ذلك أننى إن خطوت إلى داخل العرب، قاصدا فيينا، فلن أغادرها إلا فى فيينا، غير أن الصعود إلى العرب يثير بعضا من الصعوبات، إلى اللقاء إذن (وقد لا يكون اللقاء فى فيينا، فمن الممكن أيضا أن نلتقى فى الرسائل).

ف

للعلاقة لاسم ميلينا على أية حال بالجرمانية أو اليهودية، وإن من يجيدون فهم اللغة التشيكية (فيما عدا اليهود التشيكيين بالطبع)، هم السادة الذين ينحدرون من أصل جرمانى، ويليههم قراء المجلة، ثم يليهم المشتركون فيها، وأنا واحد من بين هؤلاء المشتركين... أقول لك هذا لأن علاقة اسم ميلينا باللغة التشيكية لا تتعدى تصغيره (ميلينكا)، وسواء راق لك هذا التصغير أو لم يرقك، فهو ما يقوله^(١) فقه اللغة (الفيلولوجى).

(١) يرى كافكا أن اسم (ميلينا)، اسم لاتينى الأصل، إلا أن تصغيره (ميلينكا) هو اسم تشيكي أصيل . على الرغم من ذلك ، ومعناه (الحبيبة)، ويرى كافكا لهذا أن التركيب الصحيح للاسم فى اللغة التشيكية هو (ميلادا).

لو أننى وصلت إلى فيينا فعلا، فسوف أكتب لك، أو أرسلك
برقية على مكتب البريد يوم الثلاثاء أو الأربعاء. لقد وضعت الطابع
بالتأكيد فوق مظاريف الرسائل جميعا، ألا يبدو لك أنها قد انتزعت
من فوق المظروف؟

مساء الجمعة

كتبت لك بغباء صباح اليوم، والآن وصلتني رسالتك الغاليتان
الفياضتان. وسوف أرد عليهما شفويا، فسأصل إلى فيينا يوم
الثلاثاء، ما لم يقع ما ليس فى الحساب، ظاهرا كان أو باطنا. وربما
كان من الأصوب، لو استطعت أن أحدد لك الآن فى أى مكان
سأنتظرك (أظن أن يوم الثلاثاء عطلة، وقد يكون مكتب البريد الذى
سأرسل لك إليه رسالتى أو برقيتى، مغلقا) على أننى، لو استطعت أن
أعين لك اليوم، وفى هذه اللحظة مكانا، لابد لى أن أراه بعين الخيال
شاغرا طوال ثلاثة أيام، وثلاث ليال مقدما، فى انتظار وصولى يوم
الثلاثاء، فى ساعة معينة، لاختنقت لهذا قبل أن أبلغه، فهل يوجد يا
ميلينا، ثمة مكان فى هذه الدنيا يسهه أن يطيق معى صبرا. حدثينى
عن هذا يوم الثلاثاء.

ف

(بطاقة بريدية. خاتم بريد ٢٠/٢/٢٩ فيينا)

الثلاثاء - الساعة العاشرة

قد لاتصلك هذه البطاقة فى الثانية عشرة، أو أنها بالأحرى لن
تصلك قطعا فى ذلك الموعد، فالساعة الآن تمام العاشرة. ستصلك

إذا فى الغد، وقد لا تصلك أيضا فى الغد، ذلك أنتى أنا أيضا على الرغم من وجودى فى قبينا الآن، جالسا فى مقهى بالقرب من محطة الجنوب (مانوع هذه الشيكولاته؟، وأى بقلاوة هذه؟ هل هذه هى الأطعمة التى تعيشين عليها؟)، إلا أنتى لم أصل بالفعل فى الحقيقة إلى مكانى هذا الذى أجلس فيه الآن ، فلم أذق للنوم طعما طوال ليلتين، وإن كنت لا أكاد أصدق أننى سأستغرق فى النوم، فى الليلة الثالثة، التى سأقضيها فى (فندق ريفا) بالقرب من محطة الجنوب، حيث تطل حجرتى على أحد الجاراجات. لن أصادف ما يطيب لى أكثر من: أننى سأنتظرك صباح الأربعاء فى العاشرة، أمام الفندق، أرجوك يا ميلينا ألا تفاجئنى بالقدوم من أحد الجانبين ، أو من الخلف، وأعدك بأننى لن أفعل ذلك بدورى أيضا. ربما نظرت اليوم إلى المشاهد التى تحيط بى: شارع (ل) ^(١)، ومكتب البريد، والساحة الخارجية التى تمتد من محطة الجنوب إلى شارع (ل) ، وبائعة الفحم، وغير ذلك - بقدر ما أسعفتنى الرؤية.



من براغ

الأحد ^(٢)

اليوم ميلينا، ميلينا، ميلينا - لايمكننى أن أكتب شيئا آخر. لكننى سأكتب. وعلى هذا، فإنتى أكتب ميلينا اليوم فقط متعجلا، مرهقا، شاردا إلى حد ما (أما ميلينا الثانية فسأكتبها غدا بالفعل، هى أيضا) كيف يمكن ألا ينال الإرهاق من المرء؟ لقد وعدوا المريض

(١) حيث تقطن ميلينا.

(٢) كما قد التقيا فى قبينا، فى تلك الأثناء.

بثلاثة شهور إجازة، ومنحوه فقط أربعة أيام؛ وجزءا من الثلاثاء ومن السبت ، وحتى الأمسيات والفترات الصباحية قد فقدما . أُلست محقا لهذا فى ألا أتماثل تماما للشفاء؟ أُلست محقا فى هذا؟

ميلينا (همسة، همستها فى أذنك اليسرى، بينما كنت تستلقين هنالك فوق الفراش المتواضع، مستغرقة فى إغفاءة عميقة، يشغلك شاغل يبدو ملحا، وبينما كنت تستديرين فى بطاء ، لاشعوريا من اليمين إلى اليسار، نحو شفتى)

الرحلة؟ فى البداية بدا الأمر بسيطا غاية البساطة، وكان من المستحيل أن يبتاع المرء الصحف من نافذة القطار. مجرد عذر للخروج، غير أن عيني لم تقعا لك على أثر، تبينت هذا تماما، ثم دخلت إلى العربنة ثانية، وتحرك القطار، وشرعت فى قراءة الصحف، كان كل شيء ما يزال على ما يرام، وتوقفت عن القراءة بعد لحظة، لكنك فجأة لم تكونى معى، أو أنك كنت معى، فهذا ما كنت أشعر به بكل كيانى. غير أن وجودك معى على هذا النحو، كان يختلف مع ذلك، اختلافا بالغا عن وجودك بجانبى خلال تلك الأيام الأربعة، وكنت قد اعتدت على ذلك فى أول الأمر. شرعت مرة أخرى فى القراءة، إلا أن صفحة اليوميات التى يكتبها (بار)^(١) بدأت بوصف (حمام الصليب) بالقرب من (جراين). انصرفت عن القراءة عندئذ، وعندما تطلعت إلى الخارج، مر بنا أحد القطارات، وفوق إحدى عرباته، وقعت عيناى على كلمة (جراين). سحبت نظراتى إلى داخل الديوان. كان يجلس أمامى شخص يقرأ نسخة الأحد الماضى من جريدة (نارودنى ليستى). لحت بها مقالا بقلم روتسينا ييزينسكا،

(١) يومبت ميرمان بار، التى كانت تظهر فى طبعات الأحد من جريدة (نويه قايتر).

فاستعرتها، وبدأت فى قراعه شاردا، ثم وضعت الجريدة جانبا، وبقيت بعد ذلك، جالسا فى مكانى، ووجهك يتبدى لى، تماما كما بدا لى فى لحظة وداعنا فى المحطة. بدت لى لحظة وداعنا تلك، على رصيف المحطة، ظاهرة طبيعية، لم أشهد لها مثيلا من قبل أبدا، فلقد غشى ضوء الشمس قتامة لمن تسيبها الغيوم، كان ضوء الشمس قد خفت من نفسه.

ماذا عسائ أن أقول أيضا؟ إن حلقى لا يعلو عنى، ولا تطاوعنى يداى.



غدا يصلك وصف الحكاية الغريبة، لبقية الرحلة.

الأحد - بعد قليل من كتابة الرسالة السابقة^(١)

أخضر ساعى البريد هذه الرسالة المغلفة (أرجوك أن تفضيها فى الحال، وكذلك الرسالة التى أرسلها ماكس^(٢))، إنه يريد ردا عاجلا، لهذا أكتب له قائلا إننى ساكون هناك فى الساعة التاسعة. إن ما ينبغى أن أقوله شيء بالغ الوضوح ، أما كيف سأقوله ، فلست أدرى كيف. فلترحمنى السماء، لو أننى كنت متزوجا وعدت إلى منزلى فلم أجد ساعى البريد، بل وجدت فراشا، من المستحيل أن أختبئ فيه، دون أن أجد سردابا يصلنى بشيئا!

أقول لنفسى هذا، حتى أقنعها بمدى سهولة تلك الصعوبات التى تواجهنى.

(١) الرسائل التالية من براغ.

(٢) الشاعر ماكس برود.



إننى أرسل إليك تلك الرسالة ، كما لو كان يسعنى بذلك أن
أدعوك للمجىء، وحدك لكى تكونى بجوارى، وأنا أتمشى ذهابا
وجيئة أمام ذلك المنزل.

(٣) الأحد - الساعة الحادية عشرة والنصف

أرقم هذه الرسائل على الأقل،
حتى لايتاح لآى منها أن تضل
طريقها إليك، إلا بقدر مايمكننى
أن أفتدك، فى الحقيقة، وقتئذ.

لافائدة، على الرغم من أن كل شيء ، كان فى نهاية الأمر،
واضحا غاية الوضوح، وأننى كنت من جانبى قد أوضحت غاية
لوضوح. لا أريد أن أخوض فى التفاصيل، سوى أنها لم تتفوه
بكلمة واحدة تشى بشيء من الغضب. فيما يتعلق بك أو بى. ولست
أشعر لهذا الوضوح الصريح، بأذى شعور بالأسف، كل ما يمكننى
أن أقوله صادقا، أن شيئا بينها وبينى لم يتغير، ولا يبدو أن شيئا
سيتغير على الإطلاق، فيما عدا- لاشيء، إن هذا مخيف كله، إنها
مهمة تتطلب جلادا ليضطلع بعينها، وليست هى بالمهمة التى أقوى
عليها. يبقى أمر واحد، يا ميلينا، هو احتمال أن تمرض مرضا
خطيرا (فهى لا تبدو مطلقا فى صحة حسنة، ويسيطر عليها يأس
بالغ، ولا بد لى من أن أذهب لزيارتها مرة أخرى بعد ظهر الغد)
حسنا، هل سيدهمها المرض، أو أن شيئا آخر غيره سيقع لها، لم
يعد لى بعد أى سلطان عليها. فلا يمكننى سوى أن أواصل إخبارها

فقط بالحقيقة. غير أن الحقيقة، ليست هي مجرد الصدق، لكنها شيء أكثر من هذا، ذلك أن تلك الحقيقة تتحلل في داخلي، بينما أسير إلى جوارها - لهذا ، عليك إذن، أن تحضري يا ميلينا مرة أخرى، لو حدث شيء.

ف

ياله من هراء! لن يمكنك بالطبع أن تحضري، (لنفس) السبب. غدا سأرسل (رسالة الأب) على عنوان شقتك. فأرجوك أن تعطني بها، فلعلني أن أعطيها لوالدي يوما ما. ولا تسمح لي لغيرك بقراعتها لو أمكنك هذا ، وحاولي أن تفهمي أثناء قراعتها كل حيل رجال القانون، فهي رسالة كتبها أحد رجال القانون. ولا تتخلي في أثناء ذلك عن لامبالتك البالغة.

صباح الاثنين الباكر

أرسل لك (عازف الكمان الفقير^(١))، - لا لأن لها أهمية خاصة عندي، مع أن تلك الأهمية كانت لها عندي قبل سنوات، - بل أرسلها لك لأنها قصة تنتسب إلى فيينا كل الانتساب، ولأنها بالغة البساطة - وتكاد تدفع المرء إلى البكاء، لأنه ينظر إلى أسفل، ينظر إلينا في الحديقة العامة (إلينا لأنك كنت يا ميلينا ، تسيرين إلى جانبي، فتصوري هذا ، تصوري أنك تسيرين إلى جانبي!)، ولأنه بيروقراطي إلى أقصى حد، ولأنه كان يحب فتاة، كانت تجيد عملها.

(٤) صباح الاثنين

تسلمت رسالة الجمعة في ساعة مبكرة من هذا الصباح، ثم

(١) قصة قصيرة بقلم فرانتس جريلبارنسر.

وصلتني بعد ذلك رسالتك التي كتبتها مساء الجمعة. كانت الرسالة الأولى رسالة بالغة الحزن، يتبدى على صفحاتها وجهك الحبيب لحزين على رصيف المحطة. كانت رسالة حزينة، لا لما كان يشيع فيها من الرضا، بل لأنها لم تصل في حينها... لأنها تنتمي إلى الماضي، إلى الغابة المشتركة، والضاحية المشتركة، والرحلة المشتركة، إلا أن مسيرتنا معا، قدما إلى الأمام، عبر الطريق الحجري، لم تنته، ولا انتهت عودتنا بطول الشارع تحت شمس المساء، لم ينته شيء من هذا، وإن كانت مجرد نكتة سخيفة عندما يقول المرء إن ذلك لم ينته. ثمة وثائق هنا، في متناول يدي، هي بضع رسائل قليلة، انتهت الآن من قراءتها، رسائل تتضمن تحيات ودية من المدير (لم أقصّل إذن من العمل)، وتحيات من آخرين هنا وهناك، ويرن في أذني وسط هذا كله، ناقوس صغير يقول: «إنها لم تعد بعد معك!» على الرغم من أن ناقوسا آخر، أكثر ارتفاعا يرن من مكان ما، في السماء، قائلا «إنها لن تتركك!» إلا أن رنات الناقوس الصغير تدوي في داخل أذني، وها هي مرة أخرى رسالة المساء، وهي رسالة لا يكاد المرء يدرك شيئا مما بها، رسالة مستغلقة حتى ليتسع صدر المرء وينقبض في قوة محاولا أن يتنفس تلك الأنفاس التي تشيع فيها. رسالة لا يكاد المرء يصدق، لانغلاقها، أنه من الممكن أن يكون بعيدا عنك إلى هذا الحد.

إلا أنني لست أشكو، على الرغم من ذلك، ليس هذا كله نواحي، بعد أن بلغتني كلماتك.

أحكى لك الآن قصة الرحلة. ولعلك تواصلين بعدها القول، بئذك

لست ملاكاً: فى طريق عودتى عرفت أن تأشيرة دخولى إلى النمسا كانت قد انتهت مدتها بالفعل قبل شهرين، لكنهم كانوا قد قالوا فى ميرن، أن أحدا لن يلتفت إلى تأشيرة الدخول فى حالة دخولى إلى النمسا عابرا، ولم تواجهنى بالفعل أية صعوبات عند اجتياز حدود النمسا. وكانت هذه السهولة هى السبب فى أننى قد نسيت هذا الإهمال نسيانا تاما، أثناء وجودى فى فيينا، ومع ذلك فقد اكتشف، فى جموند، أحد موظفى مكتب جوازات السفر - وهو شاب قاس القلب - هذا الإهمال للهولة الأولى. واحتجزوا جواز سفرى، وأصبح فى مقدور كل شخص أن يجتاز المنطقة الجمركية ما عداى ، كان هذا أمرا سيئا للغاية (لم أنعم طوال الوقت بلحظة راحة واحدة خالية من الإزعاج، وهذا هو أول يوم لى فى مقر عملى، على أية حال، فلم أصبح بعد مجبرا على الاستماع إلى أحاديث الغيبة التى تجرى فى المكتب، إلا أن شخصا أو آخر لا يكف عن الدخول، ويحاول أن يصرفنى عنك - أى يبعدك عنى إلا أنهم لن ينجحوا فى ذلك، يا ميلينا، هل ينجحون فى ذلك ؟ لن ينجح واحد منهم). كان هذا هو ما حدث، غير أن سحر كان قد بدأ مفعوله فى الحال. جاء حارس من حرس الحدود، رجل ودود، صريح، نمساوى، رحيم، مخلص، واقتادنى، فارتقينا درجا، وعبرنا ممرات إلى حيث مفتش الحدود. وهناك كانت تقف أيضا امرأة يهودية من رومانيا، ويدها جواز سفر تنقصه أيضا تأشيرة الخروج، وكانت، ويا للغربة البالغة، واحدة هى أيضا من مبعوثيك الوندوين، أيتها الملك الحارس لليهود، غير أن القرى المضادة كانت لها اليد العليا ما تزال. أمسك المفتش العظيم ومساعد الضئيل وكان كلاهما شاحب اللون، نحिला، متكدرا، فى

تلك اللحظة، على الأقل بجواز السفر، وكان القرار الذي انتهى إليه المفتش من فوره هو «عد إلى قبينا واحصل على تأشيرة الخروج من قسم البوليس!»، ولم أقوسوى على أن أقول «إن هذا شاق بالنسبة لى!»، وأجابنى المفتش أيضا مرات عديدة، فى تهكم، وهياج قائلا «إن هذا الأمر يبدو لك شاقا فقط.» «ألا يمكن طلب التأشيرة ببرقية؟» «لا!»، «حتى ولو كان المرء مستعدا لدفع كل ما يلزم من النفقات؟» «لا!»، «ألا توجد أية سلطة أعلى هنا؟»، «لا» هنا توجهت المرأة. لتي كانت قد شعرت بعذابى، والتي كانت تلزم الصمت التام طوال الوقت، إلى المفتش تسأله أن يسمح لى، على الأقل، بالمرور، كن المجهود بالغ الضعف يا ميلينا! لم يكن هذا هو السبيل الذى يمكننى أن أسلكه. وكان على أن أقطع الطريق الطويل راجعا مرة أخرى إلى مكتب جوازات السفر، بحثا عن أمتعتى، ذلك أن فرصة السفر فى ذلك اليوم كانت قد ضاعت نهائيا. وكنا نجلس معا عندئذ فى حجرة مفتش الحدود، وحتى الحارس كان لديه عزاء بسيط يمكنه أن يقدمه لنا، فيما عدا أن صلاحية أوراقنا من الممكن أن يمد أجلها، أو أى شىء من هذا القبيل. وكان المفتش قد قال كلمته الأخيرة، وانسحب إلى مكتبه المنعزل، وكان الحارس النحيل، هو وحده الذى كان قد بقى هناك. ورحت أحسب الأمر: إن القطار التالى المتجه إلى قبينا، يتحرك فى الساعة العاشرة بعد الظهر، ويصلها فى الثانية والنصف. وكنت مازلت أعانى من اللدغات التى نالنتى من البق الذى يملأ فراش فندق ريفاء، فكيف ستكون حال حجرتى فى فندق محطة فرانتس- يوزيف؟، إلا أننى لن أحصل على حجرة فيه على أية حال. حسنا، ثم سأتجه بعد ذلك (نعم ، فى الثانية

والنصف صباحا) إلى شارع لـ.

وأسال عن مؤوى (نعم، فى الخامس صباحا). لكن أيا كان الأمر، فعلى أن أذهب وأحصل على التأشيرة اللازمة فى صباح الاثنين، على أية حال (وهل سأتمكن من الحصول على تلك التأشيرة فى الحال، وليس فى يوم الثلاثاء؟) ، ثم أتب إليك، وأصطيك بالدهشة فى فرجة الباب الذى ستفتحيه لى، يسماء! هنا توقفت أفكاري، غير أنها واصلت تدفقها ثانية كيف سيكون مظهرى بعد انقضاء الليلة فى القطار؟ وسيكون على فى الماء أن أقفل راجعا فى الحال رحلة الست عشرة ساعة، ففى أية صورة سأبلغ براغ، وم الذى سيقوله المدير الذى يتعين على الآن أربق له طالبا مهلة لرحيلى من هنا ؟ قلت لنفسى، لاشك أنك لا نيد هذا كله؟ لكن ما الذى تريده إذن؟ ليس أمامك مخرج آخر س هذا من ورطتك هذه. كان العزم الوحيد الذى تبدى لى، هو أن نرسأ مضى الليلة فى جموند، ومن ثم أتجه إلى فيينا فى صباح الغد بكر، وعلى هذا، وبينما كنت مرهقا غاية الإرهاق، سألت المساء الصامت عن موعد أحد القطارات الصباحية المتجهة إلى فيينا هناك واحد - يتحرك فى الخامسة والنصف صباحا، ويصلها فى لحادية عشرة. حسنا، هذا هو القطار الذى سأصحب السيدة الرومنية إليه، لكن الحديث اتجه فى تلك اللحظة اتجاها مختلفا فجأة، لسأ أدري كيف، على أية حال اتضح من الحديث أن المساعد الضئيل يحاول مساعدتنا. فلو أننا قضينا الليل فى جموند، فسوف يحاولو عندما يكون بمفرده فى المكتب فى الصباح الباكر، أن يسمح لنسرا بركوب قطار الركاب إلى براغ، وسنبليغ براغ عندئذ فى الرابعة بعد الظهر. وعلينا أن

نتظاهر أمام المفتش بأننا سنأخذ القطار الصباحى إلى شيئا. رائع!
إنه فى الحقيقة ، أمر بالغ الروعة، ذلك أنه ما يزال فى مقدورى أن
أبرق إلى براغ. ليكن. وجاء المفتش، وقمنا بتمثيل مهزلة صغيرة تدور
حول قطار الصباح الذاهب إلى قيينا، ثم طلب منا المساعد أن
ننصرف ، وكان علينا أن نلتقى به سرا فى المساء لندناقش بعض
الترتيبات التالية. لقد اعتقدت أنا اعتقادا قاطعا بأن هذا كله هو من
صنع يديك، على حين لم يكن ذلك فى الحقيقة سوى الهجوم الأخير
للقوى المعادية. عند هذا سرنا، أنا والمرأة، مبتعدين فى ثقاقل عن
المحطة (كان القطار السريع الذى سيجملنا إلى براغ، ما يزال واقفا
فى المحطة، ذلك أن تفتيش أمتعة الركاب يستغرق وقتا طويلا) كم
تبعد المدينة عن هنا؟ ساعة واحدة ، هذا أيضا! ثم اتضح لنا أن ثمة
فندقين بالقرب من المحطة، سوف نذهب إلى أحدهما، وكان ثمة قطار
من قطارات البضاعة تكاد آخر عربة من عرباته تبلغ مكاناً يقرب من
الفندقين، وكان علينا أن نعبر إلى الجانب الآخر، وكنت أوشك على أن
أعبر الخط مسرعا، عندما تشبثت المرأة بى، تجرئى إلى الخلف
عندئذ، ذلك أن أحد قطارات البضاعة كان يقترب من مكاننا فى تلك
اللحظة، ثم توقف قطار البضاعة أمامنا، وكان علينا أن ننتظر. كان
ذلك إضافة قليلة أخرى تضاف إلى حظنا الشمس، هذا ما جال
بخاطرنا. غير أن ذلك الانتظار وحده، الذى لم أكن بدونه لأصل إلى
براغ يوم الأحد، كان هو نقطة التحول فى رحلتى. ويبدو كأنك كنت
قد هرولت عندئذ كما هرولت من فندق إلى آخر عند محطة الغرب
- من بوابة من بوابات السماء إلى الأخرى، تتشفعين لى، ذلك أن
حارسك كان يسرع خلفنا فى تلك اللحظة متقطع الأنفاس، صائحا

بنا من الطريق الذى خلفناه وراعنا إلى المحطة: «عودا بسرعة إلى المحطة، فإن المفتش يسمح لكما بالسفر!» «هل يمكن أن يحدث هذا؟» إن مثل تلك اللحظة تأخذ بختاق المرء، ورجونا الحارس عشر مرات أن يقبل منا تقودا. وكان علينا أخيرا أن نسرع عائدین جریاً ونبحث عن أمتعتنا فى مكتب المفتش، ونذفع بها نحو مكتب جوازات السفر، ومنه إلى الجمرك، غير أنك كنت فيما يبدو قد رتبت بنفسك كل شيء منذ تلك اللحظة -؛ فعندما لم أجد لدى القنطرة على أن أقبض على أمتعتى، وجدت فى الحال، حمالا إلى جانبى، بالصدفة، وعندما اندفعت نحو أحد الأركان فى مكتب جوازات السفر، أفسح لى الحارس الطريق، وعندما فقدت الصندوق الذى يحتوى على أزرار القمصان الذهبية فى الجمرك، دون أن أتبين ذلك، كان أحد الموظفين قد عثر عليه، وسلمه إلى. وصعدنا إلى القطار، الذى تحرك فى الحال وأصبح فى مقدورى أخيرا أن أجفف العرق من على وجهى وصدرى، أرجوك أن تكونى دائما بجوارى!

ف

(٥) اظن

الاثنين

بالطبع سوف أوى إلى النوم، فالساعة الآن الواحدة صباحا، وكان يجب على أن أكتب لك من قبل، فى المساء، لكن ماكس كان هنا. وكنت أترقب أن تسنح لى فرصة لقائه بفارغ الصبر، غير أن ما كان يحول بينى وبين الذهاب لزيارته إلى الآن، كانت هى الفتاة، وقلقى بشأنها.

لقد بقيت إلى جوار الفتاة حتى الثامنة والنصف، ووصل ماكس في التاسعة، ثم تجولنا معا حتى الساعة الثانية عشرة والنصف. تصورى أن ماظننته، كنت قد أوضحت وضوحا بالغاً في رسائلى، هو أنك، أنت، أنت، أنت مرة أخرى تضطرب كتابتى بعض لشيء - التى كنت أتحدث عنها، إلا أنه لم يدرك ما كنت أرمى إليه، لقد عرف اسمك الآن فقط (بالطبع لم أكتبه في رسائلى إليه، فربما كانت زوجته تقرأها).

فيما يتعلق بالفتاة، تبدو الحال اليوم أحسن، لكننى لم أسمح لها بالكتابة إليك إلا بعد عناء بالغ. وإننى أسف لذلك غاية الأسف، إن ما يدل على خوفى عليك هو البرقية التى أرسلتها اليوم إليك على مكتب البريد (إن الفتاة تكتب إليك فردى عليها برقة و - هذا قصدت بالفعل أن أضيف بغاية الحزم، ولا تتخلى عنى). كانت الأمور جميعاً أكثر هدوءاً اليوم، ولقد قسرت نفسى على أن أتحدث فى سلام عن ميران، ذلك أن الجو كان أقل تهديداً، غير أن الموضوع الرئيسى عندما أثير مرة أخرى - ارتعد جسد الفتاة كله بجانبى لبضعة دقائق فى ميدان كارل - كان فى استطاعتى فقط القول بأن كل شيء آخر بمقارنته بك، مهما بقى دون أن يطرأ عليه أدنى تغيير، يهتفى ويتحول إلى لا شيء. ووجهت هى سؤالها الأخير، الذى أجدنى أمامه دائماً بلا حيلة - وهو، «لا يمكننى أن أتركك، لكن لو أنك أبعدتنى عنك، فسوف أبعد، فهل تبعدنى عنك؟» (ثمّة أمر بالغ الفظاظة، بصرف النظر عن الغرور، فيما يتعلق بحقيقة ما يدفعنى إلى أن أحكى لك هذا الذى أحكىه لك الآن، لكننى أحكىه لك بدافع مما أحسه من قلقى عليك، وما هو الشيء الذى لا أفعله لقلقى عليك؟ فتصورى إذن، أى خوف غريب

جديد، خوفاً هذا!)، أجبتها: «نعم»، على حين أجابتنى هى بقولها: «غير أننى لايمكننى أن أتركك على أية حال!» وعندئذ، راحت تلك المخلوقة العزيزة الطيبة تقول، فى ثرثرة تتجاوز حدود طاقتها، إنها لايمكنها أن تفهم الأمر كله، وهو أنك تحبين زوجك، على حين تتحدثين سرا إلى، وما إلى ذلك، ولكى ألتزم الحقيقة، أقول إنه كانت هناك ثمة كلمات سيئة أيضا تناولتك من بين ما قالته، ولقد أوشكت بالفعل أن أضربها عندما تفوهت بها أمامى، لكن ألم يكن على أن أفسح أمامها الفرصة لكى تصب شكواها على الأقل فى تلك المناسبة الوحيدة؟ ولقد صرحت بأنها أرادت أن تكتب إليك سرا، وسمحت لها أنا بذلك، لالتزامى أمامها، ولثقتى التى لا حد لها بك، سمحت لها به على الرغم من أننى أدركت أن ذلك سوف يكلفنى عديدا من الليالى، إلا أن ما أزعجنى، هو أن ما هدأ من ثائرتها كان هو مجرد سماحى لها بذلك، فكونى رقيقة، وقاسية، بل كونى معها أشد قسوة مما تبدينه لها من الرقة، لكن ما هذا الذى أقوله؟ أأست أعرف أنك ستكتبين فقط ما سوف تقدرين على كتابته فى هذه الحال. وأليس خوفاً، من أنها، فى غمرة بأسها، قد تكتب شيئا يتصف بالفدر، فتقلبك بهذا على، ألا يعد مثل خوفاً هذا إساءة لك، لكن ما الذى يمكننى أن أفعله لو ظل ذلك الخوف ينبض فى جسدى بدلا من القلب؟ لم يكن لى فى الحقيقة أن أسمح لها بذلك. حسنا، غدا أراها مرة أخرى، غدا الجمعة عيد (هوس)^(١) وقد طلبت فى إلحاح أن نخرج معا فى نزهة قصيرة، بعد الظهر، وأنه لن يكون على طوال بقية الأسبوع أن أذهب لزيارتها بعد ذلك، لعلنى أستطيع أن أقنعها

(١) يوم (يان هوس) وهو عيد قومى فى عهد جمهورية تشيكوسلوفاكيا.

بالعدول عن كتابة رسالتها إليك، إن لم تكن قد كتبتها بالفعل. لكننى، قلت لنفسى عندئذ: لعلها تريد حقا تفسيراً فقط، وربما كان لكلماتك الرقيقة رغم قسوتها أن تهدئها. ربما - هذه هى الطريقة التى تنور بها أفكارى فى هذه الأيام - خرت على ركبتيها أمام رسالتك.

فرانتس

غير أن هناك سببا آخر لسماحى لها بالكتابة إليك، فقد أرادت أن تطلع على رسالتك إلى، إلا أننى لم أستطع أن أتيح لها أن تطلع عليها.^(٩)

(٦)

الثلاثاء - فى الصباح الباكر

لطمة صغيرة تلقيتها: هى برقية من باريس تفيد بأن واحدا من أعمامى المسنين، وهو شخص أقيم به إعجابا فى الحقيقة، يعيش فى مدريد، ولم تتح له فرصة زيارتنا هنا منذ سنوات عديدة، سوف يصل مساء الغد، لطمة لأن هذه الزيارة سوف تستنفد جزءا من وقتى، ولأننى فى حاجة إلى وقتى كله، وإلى الآلاف من الأوقات التى تملأه، علاوة على كل ما يمكن أن يتوفر من الزمن، لك، للتفكير فىك واستنشاق نفحاتك. أما الشقة هنا، فسوف ينتابها الاضطراب بدورها أيضا، وسوف تفسد الأمسيات، فكم أتمنى أن أكون فى أى مكان آخر، أشياء عديدة أود لو أنها تتغير عما هى عليه، أما عملى الرسمى فكم أود لو أنه لم يوجد على الإطلاق. ثم أرى مرة أخرى

(٩) (فى الهامش الأيمن): ورغم كل ذلك، فإننى أعتقد أحيانا أنه لو أمكن أن يهلك شخص ما بفعل السعادة، فإن ذلك ما سوف يقع لى. ولو قدر لامرئ أن يموت، وأمكن للسعادة أن تعيده إلى الحياة، فسوف أبقى على قيد الحياة.

أننى أستحق اللطمات على وجهى، خدما أتفوه برغباتى التى تتجاوز
هذه اللحظة، هذه اللحظة التى تخص.

لايمكننى بصورة ما أن أكتب الجيد عن أى شيء آخر سوى ما
يتعلق بنا، ما يتعلق بنا وسط اضطراب العالم، نحن فحسب. كل
شيء آخر، هو شيء بعيد. خطأ! خطأ! غير أن الشفاء تغمغم،
ووجهى يستلقى فى أحضانك.

ثمة شيء من المرارة تبقت من قريبا، هل لى أن أذكرها؟ هناك فى
الغابة، فى يومنا الثانى، أظن، أنك قد قلت شيئا بهذا المعنى: «إن
المعركة التى تدور حول الحجرة السابقة لايمكن أن تستمر طويلا
جدا». والآن تكتبين فى رسالتك الوعيدة الأخيرة من ميران^(١)، عن
مرضك. فكيف يتسنى لى أن أجب لنفسى مخرجاً بين هاتين
الحقيقتين؟ لست أقول هذا بدافع الغيرة، لست أعانى من الغيرة، يا
ميلينا. كما أن العالم ليس ضئيلاً لهذا الحد، ولا نحن بهذه
الضخامة، وإن كنا نملاه تماماً على بقة حال. ممن ترانى أغار؟

مساء الثلاثاء

ها أنا الآن يا ميلينا، أرسل لك لرسالة بنفسي، ولست أدري
حتى ماذا بها. وهذا هو ما حدث. لقد وعدتها بأن أكون أمام منزلها
اليوم بعد الظهر فى الساعة الثالثة ونصف. وكنا قد اتفقنا على أننا
سنخرج للنزهة بالباخرة، غير أننى فى الليلة الماضية، كنت قد أويت
إلى فراشى فى وقت متأخر جداً، ولم أكد أنعم بشيء من النوم،
(١) يبدو أنها رسالة مبيت.

ولهذا فقد كتبت لها برقية، قلت لها فيها إننى سوف أنام فى فترة الظهيرة، وسأحضر فى الساعة السادسة، وفى قلبنى الذى لم تكن لتهدئه الرسائل أو البرقيات جميعا، أضفت: «لاترسلنى الرسالة إلى قبينا، حتى نتناقش بشأنها»، لكنها كانت قد كتبت الرسالة بالفعل فى الصباح الباكر، معتمدة على أفكارها الخاصة فى نصف ما جاء بها - إنها لم تقل حتى ما الذى كتبتة فى رسالتها تلك - ، و أرسلتها فى الحال. وعندما تلقت برقيتى، امتلأ قلب الفتاة المسكينة بالرعب، وانطلقت تجرى إلى مكتب البريد الرئيسى، واستطاعت بصورة ما، أن تحصل على الرسالة، وقد أسعدها ذلك حتى أنها منحت الموظف كل ما كان معها من النقود (وقد ارتاعت فيما بعد لضخامة المبلغ)، وأحضرت لى الرسالة فى المساء، فما الذى ينبغى لى أن أفعله الآن؟، إن أملى فى الانتهاء إلى حل عاجل، وبالغ التوفيق، يعتمد فى نهاية الأمر على هذه الرسالة، وعلى تأثير ما تردين به عليها. لقد سمحت بذلك، حقا، وإنه لأمل مجنون، غير أنه أملى الوحيد، فلو أننى فضضت الرسالة الآن وقرأتها، فسوف أؤذيها بذلك، كما أننى من المؤكد ثانيا أننى لن أكون قادرا على إرسالها. ولهذا فإننى أضعها مغلقة كما هى بين يديك، وأسلم نفسى أيضا بين يديك فى آن معا.

إن الجو موحش فى براغ على نحو ما، فلم تصلنى رسالة منك بعد، وألقلب مثقل بعض الشيء، من المستحيل بالفعل أن تصلنى أية رسالة الآن، لكن حاولى أن تشرحى هذا للقلب.

فء

(٨) الثلاثاء - فى ساعة متأخرة من الليل

لم أكد أرسل الرسالة، حتى تبادر إلى ذهنى ما يلى كيف أمكننى أن أسألك شيئاً من هذا القبيل؟ فبصرف النظر عن حقيقة أنه من شأنى بصفة خاصة، فى نهاية الأمر، أن أفعل ما يبدو لى صحيحاً وضرورياً فى تلك الحالة، ربما كان يستحيل عليك أن تكتبى رداً من هذا القبيل، وتأتمنى عليه شخصاً غريباً. حسناً، أرجوك يا ميلينا أن تغفرى لتلك الرسائل والبرقيات، وأن تتحنى باللائمة على عقلى الضعيف، عقلى الذى أضعفه بعدى عنك لن يحدث شيء إذا لم تردى على رسالتها، فثمة حل آخر يمكن أن يوجد، أرجوك ألا تنزعجى لهذه الرسالة. إننى متعب بالفعل غاية التعب من تلك النزوات (نزهة اليوم على منحدر فيشيرادر)، هذا هو حالى. وغداً أيضاً سيصل عمى، وسوف تتضاعل فرصتى للانفراد بنفسى.

ولنتحدث عن شيء أفضل: هل تدركين متى كنت قد بلغت غاية الأناقة فى قبينا، وكنت جميلة حقاً جمالاً لا يكاد يصدق؟ ليس هناك أدنى جدل فى هذا الخصوص، فقد كان ذلك يوم الأحد.

(٩)

مساء الإربعاء

فقط بضع كلمات متعجلة للغاية لتدفئة شقتى الجديدة، كلمات متعجلة جداً، ذلك أن والدى قد وصلا فى الساعة العاشرة من فرانتسنباد، وفى الساعة الثانية عشرة وصل عمى من باريس، وكان على أن أستقبل الجميع: أما الشقة الجديدة، فالأننى قد انتقلت إلى شقة أختى الخالية، حيث توجد أختى الآن فى مارينباد، لكى أفسح

مكانا لنزول العم. إنها شقة خالية فسيحة ، وهو أمر سار حقا، إلا أن الشارع أكثر ضجة لهذا كم بدت لي مبادلة بالغة السوء. ولابد لي من الكتابة إليك، يا ميلينا، لأنك يمكنك أن تستخلصي من رسائلني الأخيرة التي تمتلئ بالنواح (لقد مرقت أسوأ هذه الرسائل صباح اليوم بدافع الخجل، تصوري أنه لم يصلني منك شيء حتى الآن، غير أن الشكوى من الخدمة البريدية ستكون أمرا سخيفا، فما هو شأني بالخدمة البريدية؟) إن ثقتي قد تزعزعت فيما يتعلق بك، وإنني خائف من أن أفقدك. لا، إن الشك فيك لا يتسرب إلي، فهل يمكن أن تكوني بالنسبة لي في الموضع الذي تتربعين فوقه الآن لو لم أكن واثقا فيك ؟ إن الشيء الذي سبب لي هذا الشعور هو قربك الجسدي القصير، والفراق الجسدي المفاجيء. (لماذا كان ذلك يوم الأحد بالذات؟ ولماذا في الساعة السابعة بالذات؟ ولماذا كان ذلك بالمرّة؟) إن هذا قد يسبب اضطرابا للحواس إلى حد ما. اغفري لي! وفي هذا المساء، لك مني، كتحية للمساء. فيض وجودي كله، وكل ما لدي، وكل ما هو سعيد مبارك، ليستقر في أعماقك.

(١٠)

صباح الخميس الباكر

الشارع غارق في الضجيج، وثمة بناء يجري بناؤه، على ناحية، في مواجهتي، ولا أرى أمامي الكنيسة الروسية، بل توجد بدلا منها شفق تمتلئ بالناس، وأن أكون وحيدا في حجرة، ربما كان هو على أية حال ، شرط الحياة، وأن أكون وحيدا في شقة - مؤقتا، حتى أكون دقيقا - هو شرط من شروط السعادة (شرط واحد فقط، ذلك أنني لا أرى خيرا في وجود الشقة، إذا لم أكن أنا حيا، إذا لم يكن

لى بيت يمكننى أن أستريح فيه، مثلاً عيناان زرقاوان متالقتان تمتلئان بالحياة، تمتلئان بالحياة خارقة الجمال) لكن الشقة لما كانت تنتمى إلى سعادتى بطبيعة الحال، فإن كل شىء هادىء، الحمام، والمطبخ، والبهو، والحجرات الثلاث الأخرى، على خلاف الحال فى تلك الشقة المشتركة، حيث الضجة، والفسق، وهتك الداعر لمحارمه، وحيث الأجساد، والأفكار، والرغبات، المنفلتة من إسارها، حيث توجد الأمور المحرمة الخارجة عن الاحتشام فى كل ركن، وبين كل قطع الأثاث، وتقع الأحداث المباغثة، ويولد أطفال غير شرعيين، وحيث لا تسير الحياة كما تسير فى ضاحيتك الهادئة الخالية يوم الأحد، بل تسير كما تسير فى الضواحي، البدائية، المزدهمة، المختنقة فى ليلة سبت لا يكرر صفوها شىء.

لقد قطعت شقيقتى كل ذلك الطريق الطويل، لكى تجيئنى بإفطارى (الذى لم يكن ضرورياً، ذلك أننى كان يجب أن أذهب إلى المنزل) وقد ظلت بضع دقائق تطرق الباب قبل أن تتمكن من أن توقظنى من استغراقى فى هذه الرسالة ومن شرودى.



إن الشقة لا تخصنى بالطبع، فلسوف يعيش فيها بين الحين والآخر زوج أختى أيضاً.

(١١)

صباح الخميس

رسالتك أخيراً، مجرد كلمات قليلة متعجلة حول الموضوع الرئيسى، حتى ولو نتج عن هذه العجلة قليل من الأخطاء التى

سأسف عليها فيما بعد: هذه هي حالة لا أعرف لها مثيلا، فى
علاقتنا الخاصة التى نشترك فيها ثلاثتنا فى وقت معا، وعلى هذا فلا
يجب أن تضطرب بتفاصيل تجارب الحالات الأخرى. («الجثث،
العذاب الثلاثى، عناؤنا الثنائى، الاختفاء على نحو ما). إننى لست
صديقا له^(١)، إننى لم أأخذ صديقا. لست مجرد واحد من معارفه،
كما أننى لا أرتبط به بعلاقة وثيقة، وإننى من كثير من النواحى قد
أكون له أكثر من صديق. وأنت من ناحية أخرى لم تخيه، لأنك
تحبينه، مهما قلت، ولو كان لنا أن نتحد (أشكر، أيتها الاكتاف!)،
فسوف يتم ذلك على مستوى آخر لا ينتمى إلى مجال نفوذه.
والنتيجة هى أن هذا الموضوع، لعله ألا يكون موضوعا كلية، حتى
يبقى سرا، ولعله ليس عذابا، مطلقا، وخوفا، وألما، وحسرة - (لقد
أخفتنى رسالتك بسبب الهدوء النسبى الذى لا يزال باقيا من
اجتماعنا معا والذى ربما تحول الآن مرة أخرى إلى دوامة ميران،
على الرغم من وجود أسباب قوية تقف فى وجه العودة إلى أحوال
ميران) - غير أنها الصراحة - ، التى يتبدى بها ارتباطنا الواضح
ثلاثتنا، حتى لو فضلنا أن نلتزمى الصمت بعضا من الوقت، إننى،
أيضا، أعارض التفكير الذى تدفع إليه الاحتمالات - إننى أعارضه
لأننى أحس بأنك لى، فلو أننى كنت وحدى لما أمكننى أن أتوقف عن
التفكير فى الأمر - لوزج المرء بنفسه الآن فى خضم المستقبل
بالفعل، فكيف سيتسنى للأرض الخراب أن تحمل بيت المستقبل؟
لست أعرف المزيد فيما يتعلق بذلك الآن، هذا هو يومى الثالث فى
مقر عملى، ولم أكتب بعد سطرًا واحدا. ولعل الأمر أن يتحسن الآن.

(١) عن الزوج.

فى الحقيقة، لقد زارنى ماكس ، بينما كنت أكتب هذه الرسالة، كان صمته أمرا يمكن للمرء أن يعول عليه، يعرف الجميع ما عدا شقيقتى، ووالدى، والفتاة، وهو إننى قد حضرت إلى هنا عن طريق لنتس.

ف

هل يمكننى أن أرسل إليك بعض النقود؟ ربما عن طريق ل. الذى سأقول له إننى كنت قد اقترضت بعض النقود منك فى فيينا، والذى سيرسل لك هذه النقود مع مكافأتك عن الكتابات التى ينشرها لك.

(فى الهامش الأيسر) إننى خائف بعض الشيء أنا أيضا مما أعلنت أنك تكتبينه إلى عن الخوف.

(١٢) الجمعة

تبدو لى الكتابة عبثاً كلها - وإنها كذلك بالفعل، إن ما يمكننى أن أقوم به ربما كان الحضور إلى فيينا لى أخذك بعيداً، وربما فعلت ذلك، أيضاً، على الرغم من معارضتك الشديدة له. يوجد فى الحقيقة احتمالان فقط كل منهما أجمل من الآخر، فإما أن تحضرى إلى براغ أو إلى ليبتزج. إن الريبة فى تراث اليهود القديم، قد بعثتها بالأمس فى نفس ل. فقد لحقت به مباشرة قبل رحيله إلى ليبتزج، وكانت معه رسالتك إلى شتاشا، إنه شخص ممتاز، مرح، صريح، ذكى، يأخذ بذراع المرء، ويتحدث فى رقة، وهو على استعداد لكل شيء، ويفهم كل شيء، وربما فهم أكثر قليلاً، مما يلزم. كان ينوى

(١) لكاتب والناشر الكاثوليكي المعروف، وابن زوجة ليون بلوين، وكانت شتاشا تعمل لديه فى ذلك الوقت

الرحيل برفقة زوجته إلى فلوريان^(١) الذى يعيش على مقربة من برنو، ومن هناك إليك فى فيينا. فى هذه الظهيرة يعود هو ثانية إلى براغ. وهو بسبيله لأن يحصل على رد شتاشا، وسوف ألتقى به فى الثالثة بعد الظهر، وسأبرق لك بعدها. اغفرى لى اللغو الذى جاء فى رسائلى الإحدى عشرة، إلق بها جانبا. والآن تأتى الحقيقة التى هى أكبر وأفضل. إن الشيء الوحيد الذى يخشاه المرء الآن هو، فيما أظن، حبك لزوجك، ويقدر ما يتعلق الأمر بالعبء الجديد الذى كتبت لى عنه، فإنه بلاشك أمر صعب، لكن لا تبخسى قدر الطاقات التى أعطانيها قريبك. ومع أننى لم أكن نائما منذ وقت قريب، إلا أننى أكثر هدوءا مع ذلك، مما كنت أظنه فى إمكانى، فى الليلة الماضية بعد أن تسلمت رسالتك (كان ماكس موجودا بالصدفة، الأمر الذى لم يكن طيبا بالضرورة، ذلك أن الأمر كان فى النهاية، أمرا يخصنى وحدى، أه، هنا بالفعل تبدأ غيرة الرجل الذى لايفار. يا ميلينا المسكينة!)، كذلك أمدتني برقيتك التى أرسلتها اليوم بشيء من تجدد. لثقة. لا أشعر بخصوص زوجك فى هذه اللحظة، فى هذه اللحظة على الأقل، بالكثير. لا أحس انزعاجا بالغا. لقد أخذ على عاتقه عبئا هائلا، وقد أنجزه جزئيا، وربما كان قد أنجزه كلية، بأمانه. وأشك فى أنه يمكنه أن يطبق احتمال ذلك العبء أكثر من ذلك، ليس لأنه لايمكك لقوة (فما هى قوتى بمقارنتها بقوته؟)، بل لأنه يحمل أعباء ثقالا للغاية، ولأنه بالغ الأسى، ولأنه يفتقر تماما إلى التركيز المطلوب لذلك، بسبب كل ما ظل يحدث حتى الآن، ربما أمكن، بصرف النظر عن كل شيء آخر، أن يكون فى هذا عزاء له ؟ فلماذا لا أكتب إليه؟

ف

بضع كلمات قلائل عن رسالة شتاشا - ذلك أن العم، مع أنه بالغ السحر حقا، إلا أنه مزعج الآن إلى حد ما، مازالت تتبقى أمامي. حسنا، إن رسالة شتاشا هي رسالة ودية، ولطيفة، غير أن بها بعض الخطأ، مع ذلك، - بعض الأخطاء البسيطة -، ربما الشككية (لا أعنى أن الرسائل التي لاتتضمن أخطاء من هذا القبيل تكون أكثر ودا، بل العكس هو الصحيح). وعلى أية حال فثمة شيء ينقص تلك الرسالة، أو لعل شيئا ما يزيد عن الحاجة فيها. ربما كان ذلك الشيء هو قوة الانعكاس، الذي يبدو بالمناسبة أنه قد انعكس عن زوجها، ذلك أنه كان قد تحدث إلى بالأمس على هذه الصورة، لكن كيف يتحدث حقا على هذا النحو هؤلاء الناس الطيبون؟ الغيرة، إنها في الحقيقة هي الغيرة، لكنني أعدك يا ميلينا، بأنني لن أعذبك بعد ذلك بغيرتي هذه، سأعذب نفسي فقط، سأعذب نفسي فقط. يبدو ثمة سوء فهم، مع ذلك، في الرسالة - فأنت، في نهاية الأمر، لست في حاجة إلى نصيحة شتاشا، ولست في حاجة إلى أن تذهب لتتحدث إلى زوجك. إن ما تريدينه منها حقا في هذه اللحظة -، هو شيء لايمكن استبداله بأي شيء آخر سواه: هو حضورها، أو على الأقل هذا ما بدا لي.

ما زلت أمل في الحصول على شيء ما منك اليوم. إن المرء هو بالصدفة رأسمالي لا يدرك كل الأشياء التي يمتلكها. في هذه الظهيرة عندما كنت أسأل عبثا عن أخبار في المكتب، تسلمت رسالة منك كانت قد وصلت في الحال بعد رحيلي عن ميران. وكانت قراعتها تبدو لي غريبة.



هذا سيء، أمس الأول وصلتني رسالتك التبعيستان، وأمس فحسب وصلتني البرقية (على الرغم من أنها كانت تعيد تأكيد ذلك، فإنها كانت مرممة مع ذلك إلى بعضها قليلا، كما هي طبيعة التلغرافات عادة)، ولم يصلني منك اليوم شيء بالمرّة. ولم تكن هذه الرسائل، في نهاية الأمر، مريحة بالنسبة لي. على أي وجه من الوجوه، وأوضحت هذه الرسائل أنك ستكتبين ثانية في الحال، لكنك لم تكتبي. ومنذ ليلتين أرسلت لك برقية عاجلة نفقات ردها خالصة، وكان على الرد أن يصلني منذ وقت طويل. وأعيد نصها: لم يكن أمام المرء ما يفعله سوى هذا، فكوني هادئة، فأنت هنا في منزلك، ج. وزوجته قد يصلان إلى فيينا في خلال أسبوع، كيف يمكنني أن أرسل النقود؟ إلا أن الرد على هذا لم يصلني. قلت لنفسى: «أذهب إلى فيينا»، لكن ميلينا لا ترغب في ذلك، إنها لا ترغب في ذلك بصورة مؤكدة. عليك أن تتخذ قرارا، إنها لا تريدك، إنها تقلق، وتنتابها الوسواس، وهذا هو ما يجعلها تريد شتاشا. وعلى الرغم من هذا فقد رغبت في السفر، غير أنني لست على ما يرام. على الرغم من أنني هادئ، هادئ نسبيا، هدوءاً لم يحدث خلال تلك السنوات الأخيرة أن ساورنى الأمل في أن أجربه ثانية، وإننى أسعل مع ذلك سعالا سيئا في أثناء النهار، وفي الليل أحيانا لمدة ربع ساعة في المرة الواحدة. وربما كان الأمر هو فحسب تكرار هذه الأيام الأولى، التعود من جديد على مناخ براغ، وعواقب الأوقات العصيبة في ميران قبل أن أعرفك، وقبل أن أتطلع إلى عينيك. كم أصبحت فيينا مظلمة، وكانت قد تألقت ذلك التألق لمدة أربعة أيام. ما الذى كان

يدبر لى هناك وأنا جالس هنا، وبينما أقطع كتابتى لكى أضع وجهى بين راحتى؟

فـ.

* [فى الهامش الأيسر] لا، أنت لا تفهميننى، أيضا، يا ميلينا، فلقد كانت (لمسألة ليهودية) على أية حال مجرد نكتة سخيفة.

ثم تطلعت إلى أعلى بينما كنت جالسا فى مقعدى عبر النافذة المفتوحة خلال المطر. وبدا لى عدد من الاحتمالات - أن تكونى مريضة، أو متعبة، أو مستلقية فى فراشك، وأن السيدة شتاشا كان يمكنها أن تتوسط، ثم عندئذ، وعلى نحو بالغ الغرابة، كان أكثر تلك الاحتمالات اقترابا من الواقع، وكان أكثرها وضوحا هو أن - يفتح الباب وأن تكونى أنت واقفة فى فتحته.

الاثنين

(١٥)

مر يومان بالغا الإزعاج، هذا أقل ما يمكن قوله فى وصفهما، لكننى أرى الآن أنك كنت بريئة، غاية البراءة، ذلك أن شيطاننا خبيثا كان يعسك كل رسائلك، منذ يوم الخميس حتى الآن. تسلمت يوم الجمعة برقيتك فقط، ولم أتسلم شيئا يوم السبت، لم أتسلم شيئا أيضا يوم الأحد، وتسلمت اليوم أربع رسائل، هى رسائل الخميس والجمعة والسبت، وإننى لفى غاية التعب، حتى إننى لا يمكننى أن أكتب كما ينبغى. فى غاية التعب حتى أستخلص من الرسائل الأربع، من جبل اليأس هذا، جبل العناء والحب، ما يتبقى لى منه. إن المرء يكون بالغ الأنانية عندما يكون متعبا، وقد استهلك نفسه لمدة يومين

وليلتين مستغرقا في أشد الأفكار إرعابا. لكن على الرغم من ذلك - ويعود هذا مرة أخرى إلى قدرتك على منح الحياة، أيتها الأم ميلينا على الرغم من ذلك ، فإنني أساسا لست متضعضا تماما كما لعلى كنت خلال تلك السنوات السبع الأخيرة، فيما عدا تلك السنة التي قضيتها في القرية.

لماذا لم توجد أية إجابة على برقيتي العاجلة، في مساء الخميس، هذا ما لست أفهمه حتى الآن. ثم أرسلت برقية إلى السيدة ك. ولم أتلق ردا أيضا. ليس لك أن تخافى من أن أكتب إلى زوجك، فليست لدى بالفعل رغبة شديدة في أن أفعل ذلك. إن الرغبة الوحيدة التي تتملكني، هي رغبتى في أن أحضر إلى فيينا، إلا أنني لن أفعل هذا أيضا، حتى ولو لم تكن هناك تلك العقبات، من قبيل اعتراضك على تلك الرحلة، ومصاعب جواز السفر، وعلى الرسمى، والسعال، والإرهاق، وعقد قران شقيقتى (الخميس). على أية حال سيكون من الأفضل أن أرحل، بدلا من أن أمر بمثل فترات الظهيرة تلك التي من قبيل ظهيرتى السبت والأحد. ففي ظهيرة السبت: تجولت قليلا مع عمى، وتجولت قليلا مع ماكس، وكنت أمضى إلى مقر عملى كل نحو ساعتين لأسأل عن البريد، وفي المساء كانت الأحوال أفضل، فقد مضيت لزيارة ل. ، فلم أجد لديه أخبارا سيئة منك، وذكر رسالتك التي جعلتني سعيدا، واتصل تليفونيا بـ ك. الذي يعمل في (الصحافة الجديدة الحرة)، فلم يكن يعلم هو أيضا أى شىء، لكنه لم يشأ أن يستفسر عنك من زوجك، وكان من المفروض أن يتصل الليلة تليفونيا مرة أخرى، وعلى هذا فقد جلست مع ل. وسمعت اسمك يذكر عدة مرات، وكنت مدينا له لهذا بالكثير.

إنه ليس أمرا سارا، من ناحية أخرى، ولا سهلا، أن أتحدث معه، فهو كالطفل ، كطفل غير بالغ التائق، فهو يتباهى، ويكذب، ويبدو أبله كالطفل، ويشعر المرء، شعورا بالغا، بالخبث، ويعدم الإخلاص، بصورة مقززة، عندما يجلس المرء هناك هادئا يستمع إليه. وخصوصا وأنه ليس طفلا فقط، ولكنه فى كل ما يتعلق بالخير، والحب، والميل للمساعدة، هو شخص كريم، وشخص مسئول بصورة جادة للغاية. ليس ثمة سبيل إلى التوفيق بين هذه الأحاسيس المتناقضة، ولولا أن المرء كان يقول لنفسه طوال الوقت: «مرة أخرى، مرة أخرى فقط، أرغب فى أن أسمع اسمك!» لكنت قد رحلت منذ وقت طويل. ولقد تحدث أيضا عن عقد قرانه (الثلاثاء) بنفس الطريقة.

أما يوم الأحد فقد كان أشد الأيام سوءا. كنت فى البداية أنوى الذهاب إلى الجبانة، وكان هذا هو الشيء الحق الذى يصح فعله، لكننى قضيت فترة الصباح كلها فى فراشى، وكان على فى الظهيرة أن أذهب إلى حموى شقيقتى، حيث لم أذهب إليهما من قبل، وكانت الساعة قد بلغت السادسة، عندما عدت مرة أخرى إلى مقر عملى لأسأل إن كان ثمة برقية تنتظرنى. فلم أجد شيئا. فى العمل عندئذ؟ قلت لنفسى، اذهب وألق نظرة على برنامج المسرح، ذلك أن ج. فى عجلته، كان قد ذكر على نحو عارض تماما أن شتاشا ستذهب لمشاهدة أوبرا لفاجزر يوم الاثنين، وها أنا أقرأ الآن أن البرنامج يبدأ فى الساعة السادسة، وفى السادسة كان موعدنا. سييء، وما هو العمل الآن؟ أذهب وأطلع إلى ذلك المنزل فى معر الفاكهة. إنه ساكن، لا أحد يدخله، ولا يخرج منه، وينتظر المرء برهة إلى جانب المنزل، ثم فى الجانب الآخر، ولاشيء، مثل هذه البيوت، تبدو أكثر

حكمة من الناس الذين يتطلعون إليها!

والآن، فى داخل مبنى لوسيرنا حيث جرت العادة على أن يقام معرض (دويرى ديلى)^(١). قلم أجد ثمة معرض هناك. وعلى هذا فأبلى شتاشا، وهى مغامرة يمكن القيام بها حيث أنها ليست فى منزلها الآن بكل تأكيد. منزل هادىء جميل، وحديقة صغيرة خلفه، وفوق باب الشقة قفل، وعلى هذا ففى وسع المرء أن يرن الجرس دون خوف من العقاب، وفى أسفل الدرج جرت مناقشة قصيرة مع حارسة الباب لمجرد أن أنطق الكلمات «لييتزج». و«ج» ذلك أنه «يا ميلينا» لم يكن هناك للأسف أدنى فرصة، والآن؟ الآن يقع أشد الأمور غباء على الإطلاق، لقد ذهبت إلى مقهى (أركو)^(٢)، حيث لم أذهب منذ سنوات طويلة، لعلى أجد أحدا يعرفك، ولحسن الحظ لم يكن هناك أحد، وكان فى مقدورى أن أغادر المكان فى الحال، لا تكثرى من مثل أيام الأحاد هذه، يا ميلينا!

هـ

(فى الهامش الأيمن) لم أستطع بالأمس أن أكتب، كل ما فى قلمي كان شديد التجهم أمامى.

(١٧) الثلاثاء، بعد ذلك بوقت قليل

كم يبدو عليك التعب البالغ من رسالتك التى وصلتني مساء السبت. كان لدى الكثير مما يمكننى أن أقوله لتلك الرسالة، لكننى لن أقول شيئا منه اليوم لتلك الفتاة المتعبة فأنا أيضا متعب، وقد أحسست بالفعل منذ مجيئى من قينا للمرة الأولى برأسى المرهقة إرهاقا شديدا، رأسى المعذبة. لن أخبرك بشيء، بل سأجلسك فى

(١) أتليه لفن التطبيقى.

(٢) مقهى فى (ميسيرنسا أو ليتشى)، يؤمه الكتاب والفنانون.

المقعد ذي المساند (أنت تقولين إنني لم أكن رقيقا معك إلى حد كاف، لكن هل يمكن أن يكون هناك المزيد مما أحظى به من الحب والشرف، أكثر مما تحظين به أنت منهما بجلوسك هناك، وسماحك لي بالجلوس أمامك، وبأن أكون في صحبتك). وهكذا فأنا أجلسك الآن في مقعدك ذي المساند، ولست أرى كيف يمكنني أن أنال تلك السعادة بالكلمات، والعيون، والأيدي، والقلب البائس، والسعادة بآنك هنا، وأنت تنتمين إلي. ولعلك لست أنت من أحبها حقاً، بل هو الوجود الذي وهبته يداك.

عن ل. لن أذكر شيئاً اليوم، ولن أذكر شيئاً عن الفتاة، سوف يأخذ هذا كله مجراه على نحو ما - كم يبدو هذا كله بعيداً.

ف

كل ما تقولينه عن «عازف الكمان البائس» صحيح. وعندما قلت أنها لا تعني شيئاً بالنسبة لي، قلته فقط بدافع الحذر، ذلك أنني لم أكن متأكداً كيف سيمكنك أن تمضي بها إلى نهايتها، وأيضاً لأنني كنت خجلاً من القصة، وكأنني قد كتبتها بنفسى، لقد بدأت بالفعل بداية خاطئة، إن بها عدداً من الملاحظات الغريبة، الهابطة - الخاطئة وبها فقرات متكلفة تجعل المرء يحمر خجلاً (يلاحظ المرء ذلك خاصة عندما يقرأها بصوت عال، يمكنني أن أشير لك إلى تلك الفقرات)، وهذا النوع من التمرين الموسيقي، هو حقاً اختراع غريب بائس، يكفي لكي يستفز الفتاة حتى تلقى - في غضب زائد، سوف يشاركها فيه العالم كله، وأنا قبل الجميع - نحو تلك القصة، بكل شيء تصل إليه يداها في حانوتها، حتى تتلاشى تلك القصة التي لا تستحق شيئاً أكثر من ذلك، وتتحلل إلى عناصرها الأولى. ويجب الاعتراف كذلك، بأنه ليس هناك مصير لقصة أجمل من أن تختفى

هذه القصة، وأن تختفى على هذا النحو. إن القاص أيضا، هذا المحلل النفسي، غريب الأطوار، سوف يوافق في أعماقه على ذلك، فلهذا أن يكون هو ذلك العازف الحقيقي البائس، الذي عزف هذه القصة، بغاية ما أمكنه من التشاز، فقال على ذلك ثناء مبالغا فيه، بالدموع التي ندت عنها عيناك.

الازبعاء

لقد كتبت تقولين - نعم ، أنت على حق، إننى أحبه، لكننى أحبك أيضا يا فرانتس، إننى أقرأ هذه الجملة بغاية العناية، كر كلمة- خاصة تلك الـ «أيضا»، وأتوقف قليلا. كل شيء على ما يرام، إنك لن تكونى ميلينا حقا، إن لم يكن كل شيء على ما يرام، وأى وجود سيكون وجودى، لو لم توجدى، كما أنه من الأفضل أيضا أنك قد كتبت هذه الرسالة من فيينا ، ولم تكتبيها من براغ. كل هذا أفهمه حق الفهم، وربما كنت أفهمه أكثر مما تفهمينه أنت، وإن كنت لشيء من الضعف، لم أستطع أن أحس بشيء من الألفة مع هذه الجملة، إن قراءتها لا تكاد تنتهى، وإننى أكتبها لك مرة أخرى أيضا، حتى يتاح لك أن تتطلعى عليها، ونتمكن من قراءتها معا، بينما يتلامس خداننا (شعرك يلامس خدى)

كنت قد كتبت هذا عندما وصلتني كل من رسالتيك المكتوبتين بالقلم الرصاص ، هل تتخيلين أننى لم أكن أعرف أنهما ستصلان؟ كنت فى أعماقى أعرف هذا حقا ، غير أن المرة لايعيش دائما هناك، ويفضل بدلا من ذلك أن يعيش فوق الأرض، كأشد المخلوقات بؤسا. لست أدري لماذا تخشين من أن أفعل شيئا بمفردى، ألم أكتب لك بوضوح كاف فى هذا الشأن؟ و أننى بعد كل شيء قد أبرقت فقط

السيدة ك. ولأننى كنت على الأغلب طوال أيام ثلاثة تعسة، بلا أخبار، ولارد على برقيتى، وكنت مدفوعا على الأغلب إلى أن أعتقد بئلك كنت مريضة.

ذهبت بالأمس لزيارة طبيي، فوجدنى على نفس حالتى التى كنت عليها قبل ذهابى إلى ميران، إن الشهور الثلاثة قد مرت بالرئة نون أن تترك أثرا، على الأغلب. يوجد المرض فى أعلى الرئة اليسرى نشطا كما كان من قبل. وقد اعتبر الطبيب هذه النتيجة، فشلا، ورأى أننى فى حالة حسنة، ذلك أننى كان من الممكن أن أكون فى حال أسوأ، لو أننى كنت قد قضيت المدة نفسها فى براغ! وهو يظن أن وزنى لم يزد مطلقا، وأيا كان الأمر، فقد ازددت، وفقا لحساباتى، نحو ثلاثة كيلو جرامات. وسوف يقوم الطبيب فى الخريف بتجربة بعض الحقن، وإن كنت لا أظن أننى سأحتمل ذلك، عندما أقارن هذه النتيجة بالصورة التى بدت بها صحتك أنت أيضا - ذلك أننى لا أكاد أجدنى بحاجة إلى أن أضيف ذلك، لأسباب ضرورية جدا، بالطبع - يبدو لى أحيانا، عندئذ، أننا سنتمكن بدلا من الحياة معا، أن نستلقى فحسب فى رضا، أحدهنا بجانب الآخر لكى نستقبل الموت، لكن مهما يحدث من أمر، فسيكون ذلك إلى جوارك.

أعرف - فى الحقيقة، خلافا لما يراه الطبيب أننى لكى أشفى إلى حد ما، فإننى أحتاج فقط إلى الهدوء، وإن يكن نوعا خاصا من الهدوء، أو، لو نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى، لبدأ لى أن ما أحتاجه هو نوع خاص من القلق.

إن اليوم، هو يوم عيد فرنسى قومى، وفى الشارع تحتى، قوات

راجعة من الاستعراض^(١)، إن لها وأحس بهذا وأنا أتنسم نفحات رسائلك - شيء ما يوحى بالعظمة، ليس هو الأبهة، ولا الموسيقى، ولا الخطرات العسكرية، ولا المظهر التقليدي الذي يتخذه الرجل الفرنسي، وأنه قد خرج لتوه من قالب (شمع ألماني)، في سراويله الحمراء، ومعطفه الأزرق، وهو يتقدم فرقته، لكن ثمة مظهراً للقوة، ينادي من الأعماق: «ومع ذلك، أيتها المخلوقات الخرساء، المتحركة السائرة التي توحى بالثقة إلى درجة العبودية مع ذلك لن نتخلى عنك مهما اشتدت حماقتك، بل إننا لن نتخلى عنك بسبب حماقتك قبل أي شيء آخر» ويحديق المرء بعينين مغلقتين في تلك الأعماق، على حين يكون غارقاً فيك.

لقد أحضروا لي أخيراً كومة الملفات التي ظلت تتراكم في انتظاري. تصوري، لقد كتبت منذ عودتي إلى مكتبتي ست رسائل عمل بالضبط، ولقد صبروا على ذلك. ومما يرضيني رضا بالغا، أنني لم أتمكن من أن أبدأ كل ذلك العمل الذي ينتظرني حتى اليوم بسبب الكسل الذي انتشر في المؤسسة حتى تراكم كل ذلك العبء في انتظاري لكن ها هو العمل أمامي الآن. لاشيء من هذه المسائل، رغم انشغالي بها، قد حرمني من أن أنال قسطاً كافياً من النوم. اليوم، مع ذلك، ما يزال الأمر سيئاً إلى حد ما.

ف

الخميس

سأكتب سطوراً آخر قبل الذهاب إلى عملي، فلم أكن أقصد إلى ذكره. ذلك أنه كان يمسك بخناق طوال ثلاثة أيام، لم أقصد أن

(١) كان يحتفل بيوم ١٤ يوليو أيضاً في براغ.

أذكره لك الآن على الأقل، بينما تخوضين أنت هذه المعركة الرهيبة هناك. لقد تعمدت أن أبقى صامتا، غير أن هذا بدا مستحيلا، إنه جزء منها، وهى على أية حال معركتى، ولعلك قد لاحظت أنني لم أتذوق طعما للنوم ليالى عديدة. إنه «الخوف» ببساطة، إن ذلك حقيقة أمر يجربنى من إرادتى ، ويطوح بى هنا وهناك كما يحلو له. لم أعد أستطيع التمييز بين الأعلى والأسفل ولا بين اليسار واليمين، وبالإضافة إلى ذلك، فإن رسالتك الأخيرة تتضمن ملاحظتين أو ثلاثاً أسعدتنى، وإن كنت سعيدا فقط بصورة يائسة، ذلك أن ما ذكرته أنت فى هذا الصدد قد أقتنع العقل فى الحال، والقلب، والجسد، وإن كان هناك ثمة مكان أبلغ عمقا، لست أدري مكانه، لا يمكنه فيما يبدو أن يقتنع بأى شيء . كما أن ما يساعد، أخيرا، على إضعافى هو ذلك الأثر المهدىء، ذلك التأثير المقلق العجيب الذى يبعثه فى قربك الجسدى الذى يتلاشى بمرور الأيام. فلو أنك فقط كنت هنا إلى جانبي بالفعل! لكن لما لم يكن شيء من هذا، فإننى وحدى هنا الآن، لا أحد معى سوى الخوف، وحيدين نتخبط معا خلال الليالى، ثمة ما هو هام للغاية، فى الحقيقة، فى أمر هذا الخوف (الذى يبدو وكأنه قد اعتاد دائما أن ينزع نحو المستقبل فحسب. لا، ليس هذا صحيحا)، شيء يمكن تفسيره، بمعنى ما، بتلك الحقيقة التى يشير لى إليها باستمرار، وهى ضرورة التسليم التام: إن ميلينا، هى أيضا، مجرد كائن بشرى. إن ما تقولينه فى هذا المجال، هو فى الحقيقة قول بالغ الجمال، وصادق حتى أن المرء يود لو لم يسمع شيئا آخر سواه مطلقا، بعد أن استمع إليه، غير أن تصريرك بأن ما يحدث هنا ليست له أهمية بالغة، هو تصرير ما يزال موضع

خلاف شديد. ليس هذا الخوف، مع ذلك، هو خوفى كله - إنه مجرد جانب منه فقط. ومما يؤسف له أنه حقا كذلك - وإن يكن أيضا هو الخوف الذى يلازم كل أشكال الإيمان منذ بدء الخليقة. إن استمرارى فى الكتابة لك عن هذا، يبعث البرودة فى رأسى بالفعل.

الخميس، بعد قليل

وصلتني رسالة الليل و- «الديك الأبيض»^(١)، ورسالة الاثنين، والرسالة الأولى هى رسالتك الأخيرة فيما يبدو، وإن لم يتأكد لي ذلك تماما. لقد قرأتها فقط قراءة أولى مسرعة. ويجب على أن أبعث إليك بالرد فى الحال، وأن أسألك ألا تسيئنى الظن بى. ليست هى الغيرة، إن الأمر لا يخرج عن أن أفكرى تتواثب حولك، لأننى أردت أن أمسك بك من كل الجوانب، ومنها جانب الغيرة أيضا، وإن كان ذلك أمرا سخيفا، إن يحدث مرة أخرى، فمرجع ذلك فقط إلى الأحلام المرضية التى تسببها الوحدة. وتساورك أيضا الأفكار الخاطئة عن ماكس، بالأمس أبلغته أيضا على الرغم منى تحياتك إليه (انظرى إلى ما سبق!) ذلك أنه كان يتلقى تحياتك باستمرار. ولما كانت لديه التفسيرات لكل شيء، فقد قال إنك ربما كنت ترسلين إليه بتحياتك المتصلة، فقط لأننى لم أبلغك من قبل بتحياته الحارة لك. وكان على لهذا أن أبلغك أخيرا بتحياته، على حين، أؤكد لك هذا مرة أخرى، قد أعود إلى إهمال هذا الواجب، على أننى سأحاول أداء هذا الواجب ما أمكنتنى.

(١) «الديك الأبيض» هو مطعم فى فيينا، كانت ميلينا تتناول فيه وجباتها من حين لآخر.

أما في غير ما يتعلق بهذا، فلا تقلقى على بحال من الأحوال، فسوف يكون قلقك على هو القشة الأخيرة. فلو لم يكن ذلك «الخوف» الذى ظل يمسك بخناقى لعدة أيام، والذى شكوت لك منه هذا الصباح، لكنت على الأغلب، على غاية ما يرام. بالمناسبة، ماذا كان السبب، فى قولك، عندما كنا معا فى الغابة، إنك أيضا، لم تكونى قد تصورت الأمر على نحو يخالف ذلك؟ كان ذلك هناك فى الغابة، فى اليوم التالى. إننى أرتب الأيام فى وضوح - كان اليوم الأول هو الشك، وكان الثانى هو الثقة البالغة، والثالث كان الشعور بوخز الضمير، وكان اليوم الرابع هو أجمل تلك الأيام الأربعة.

على الآن أن أذهب لحضور حفل عقد قران شقيقتي - لماذا، بالمناسبة، أكون كائنا بشريا فى الوقت الذى أتحمّل فيه كل عذابات هذا الوضع بالغ الاضطراب، الذى يرزح تحت هذه المسؤولية المرهقة؟ لماذا لا أكون ، مثلا، ذلك الدولاب السعيد فى حجرتك، ذلك الدولاب الذى يتطلع إليك مباشرة عندما تجلسين فى المقعد ذى المساند، أو عندما تجلسين إلى مكتبك، أو عندما تستلقين، أو تأوين إلى النوم (نوما هنيئا)، لماذا لا أكون أنا ذلك الدولاب؟ ذلك لأننى سأنهار تحت وطأة الأسى، لو أننى اطلعت على آلامك، فى خلال تلك الأيام الأخيرة الماضية، وربما حدث لى ما هو أكثر من ذلك - هل تغافرين قبيحا.

فـ

إن شعورى بأنك ستحصلين قريبا على جواز سفر، يعزىنى كثيرا.

الخميس

وضعت بعد الظهر، زهرة ريحان، فى عروة سقرتى، وكنت فى حالة عادية تقريبا على الرغم من رأسى المرهق (الفراق، الفراق) أحسست بالآلفة، خلال وليمة العرس، وسط شقيقات زوج أختى الطبيبات. ولقد تحطمت، مع ذلك ، الآن.

أية حياة سهلة تلك الحياة التى سئمضيها معا - تصويرى الكتابة عن حياتنا هذه معا، إننى لست سوى شخص أحق! - سؤال وجواب، وأحدنا فى مواجهة الآخر. والآن على أن أنتظر على الأقل حتى يوم الاثنين حتى يصلنى ردك على رسالتى التى كتبته لك صباح اليوم.

حاولى أن تفهمينى، واحتفظى بى فى قلبك.

ف

الاثنين

لقد أسأت فهم عدة أمور ، يا ميلينا:

أولا: أنا لست مريضا إلى هذا الحد ، وعندما استطعت أن أنام قليلا، أحسست بتحسن لم أحسه فى ميران. إن أمراض الرئة هى عادة، أحب الأمراض جميعا. وخاصة فى صيف دافئ. كيف سيتسنى لى أن أقاوم الخريف القادم، هذا سؤال آخر أيضا. لدى فى هذه اللحظة بضع شكاوى قليلة بسيطة منها، مثلا، أننى لا أستطيع القيام بأى عمل رسمى فى المكتب. وعندما لا أكون جالسا للكتابة إليك، فإننى أستلقى فى مقعدى ذى المساند، وأحدق من خلال النافذة. وتتاح لى الرؤية الواضحة، لأن المنزل الذى يواجهنى يتكون من طابق واحد فحسب لا يمكننى أن أزعم بأننى أحس انقباضا

خاصا عندما أتطلع من خلال النافذة على هذا النحو - لا، لست أشعر بشيء من هذا مطلقا، إن ما أشعر به هو أنني لا أستطيع أن أخلص نفسي من مواصلة التطلع عبر النافذة على هذا النحو.

ثانياً إنني لست في حاجة مطلقا إلى النقود، إن لدى منها ما يزيد عن حاجتي، بعض هذه النقود- النقود المخصصة لإجازتك مثلاً - تضايقتني فعلاً، بوجودها معي.

ثالثاً: إنك تسهمين مرة أخرى مساهمة فعالة في شفائي، وأنت تواصلين الإسهام بذلك كل لحظة، في رعايتك لي بأفكارك.

* (في الهامش الأيسر): عليك بعد هذا، أن ترتاحي مطمئنة، كاطمئناني. سابقى منتظرا في آخر يوم، كما انتظرت في اليوم الأول.

رابعاً إن كل ما قلته أنت في شيء من الشك عن رحلة براغ، كان حقاً بالفعل. كان «حقاً» كذلك ما أبرقت لك به، على الرغم من أن ذلك كان يدور حول حديثك إلى زوجك، وأن ذلك كان بالفعل هو الشيء الوحيد الذي كان «يحق» لي أن أفعله. اليوم، في الصباح الباكر، مثلاً، انتابني «الخوف» فجأة، «الخوف» بدافع الحب. انتابني «الخوف» ألبالغ من أن تحضري فجأة إلى براغ، يدفعك إلى ذلك وهم طارئ. لكن هل يمكن حقاً لوهم أن يدفعك أنت يا من تعيشين حياتك بهذا العنف، إلى أن تحسمي أمراً، أنت يا من يدفعك العنف الذي تعيشين به حياتك إلى أعماق أعماق هذه الحياة؟ إن وهما لم يكن ليضلك حتى في أيام قميننا. فهل لم يكن لنا حتى عندما كنا هناك، أن نعرّو أموراً كثيرة إلى أملك اللاشعوري في رؤيتك^(١) ثانية في المساء؟ ليس لدى المزيد مما يمكنني أن أقوله في هذا الشأن. أو

(١) عن الزوج.

أن لدى هذا فحسب حقيقتان جديدتان علمت بهما أخيرا من رسالتك: أولهما خطة هيدلبرج، و الأخرى، خطة باريس، وفكرة البنك^(١). يتبين لى من الأولى أننى أنتمى فى نهاية الأمر إلى صفوف «المنفذين» و «المغتصبين»، وإن كنت من ناحية أخرى لا أنتمى إلى صفوف هؤلاء. ويتبين لى من الأخرى أن هناك أيضا، على الرغم من كل شيء، حياة مدخرة للمستقبل - خططا، واحتمالات، وأمالا، وأمالك أيضا.

خامسا جانب من تعذيبك البالغ لنفسك- وهو العذاب الوحيد الذى انعكس على - لست من كتابتك إلى كل يوم. قللى من كتاباتك إلى، وسوف أواصل كتابة بضعة سطور كل يوم لك، لو شئت. وسوف يتحقق لك أيضا مزيد من الهدوء اللازم للعمل الذى يوفر لك المتعة. أشكرك على رواية (يوناديو)^(٢) (هل يمكننى أن أرسل إليك بعض الكتب؟) لعلنى لن أتمكن من قراءتها الآن، وهذه أيضا شكوى صغيرة أخرى: لا أستطيع القراءة، وإن كان هذا من ناحية، لا يضايقنى بصفة خاصة، إن القراءة مستحيلة بالنسبة لى وحسب. ثمة مخطوط ضخمة كتبه ماكس بعنوان (اليهودية، والمسيحية، والوثنية - كتاب رائغ) على أن أقرأه، وهو يلح على بالفعل لى أقرأه، إلا أننى لم أكد أشرع فى قراءته، حتى جاعنى اليوم شاعر شاب بخمس وسبعين قصيدة، بعضها يستغرق صفحات عديدة، وإن أشك فى أننى سأجعل منه عدوا لى مرة أخرى، كما اتفق لى أن أثرت عداوته لى مرة من قبل.

(١) خطة الزرج، فقد كان موثقا فى أحد البنوك، لكنه لم يكن راضيا عن عمله فيه. *

(٢) (مارى يوناديو) رواية لتشارلس لويس فيليب.

إننى أضمن رسالتى هذه رد الفتاة ، الذى يمكنك على ضوئه أن
تعيدى بناء رسالتى من جديد، وعلى هذا يمكنك أن تتبينى إلى أى
حد قد خُذْتُ - وليس معنى هذا أنه لم تكن لدى البصيرة بذلك.
إننى لا أقدم بعد مزيدا من الردود.

لم يكن ظهر الأمس أفضل كثيرا عن ظهر يوم الأحد الماضى، لقد
بدأ الأمر بالفعل بداية طيبة للغاية وعندما غادرت المنزل لكى أذهب
إلى الجبانة، كانت درجة الحرارة قد بلغت ٣٦° فى الظل، وكان
عمال الترام قد قاموا بإضراب، وإن كنت قد ارتحت لهذا بصفة
خاصة لأننى كنت أنوى السير على الأغلب، كما سبق أن قطعت
الطريق سيرا على قدمى يوم السبت ذاك إلى الحديقة الصغيرة التى
بجوار البورصة. لكننى عندما بلغت الجبانة لم أتمكن من العثور على
المقبرة، وكان مكتب الاستعلامات قد أغلق أبوابه، فلم أجد موظفا
واحدا، ولا عثرت على امرأة تعرف أى شىء. فلجأت إلى كتاب، غير
أنه لم يكن الكتاب المطلوب، وعلى هذا أنفقت بضع ساعات متجولا
فى أرجاء الجبانة وأخذتنى الحيرة من طول قراعتى للنقوش التى فوق
شواهد القبور، ثم غادرت الجبانة، والحيرة ما تزال تسيطر على.

ف

الثلاثاء

أمامى الآن البرقيتان اللتان بعثت بهما إلى. إلا أن ما هو أهم
من ذلك هو أننى أخيرا، بعد ليلة قضيت أغلبها ساهرا، أجلس أمام
تلك الرسالة التى أرى لها أهمية بالغة بالنسبة لى. لم يكن لى أن
أكتب لك رسالة واحدة من تلك الرسائل التى كتبتها لك من براغ، أو
أنه لم يكن لى على الأقل أن أكتب رسائلى لك التى كتبتها لك أخيرا

بصفة خاصة. هذه الرسالة هي فقط الرسالة الوحيدة التي كانت يجب على أن أكتبها لك، أو أنه كان ينبغي لى أن أكتب إليك، ما كتبت من رسائل، قلن يغير هذا من الأمر شيئا. غير أن هذه الرسالة ستظل على رأس تلك الرسائل جميعا ولن أتمكن لسوء الحظ من أن أقول لك أقل جانب مما قلته لك بالأمس، أو ما قلته لك فى أثناء الليل أو فى هذا الصباح، ومع ذلك، فإن الأمر الرئيسى هو: أيا كان ما قد يقوله عنك الآخرون الذين يلتفون حولك فى حلقة واسعة فى وحشية مهما اتسم قولهم بالحكمة الرفيعة، (وإن كانت الوحوش لاتتخذ هذا المظهر)، وفى إلحاح، وفى تعاطف شيطاني، ومحبة مدمرة - فإننى أعرف، يا ميلينا، أعرف، حتى آخر قطرة من دمي، أنك مهما تفعلين، فإن ما تفعلينه لن يكون سوى الصواب، سواء بقيت فى ثيينا أو قدمت إلى هنا، أو ظللت تحلقين بين براغ و ثيينا، أو تفعلين الآن ذلك، وذاك بعد حين. ماذا يمكننى، فى النهاية، أن أفعل معك إذا لم أعرف ذلك؟ إن الحال معك، كما هو الحال مع البحر العميق، فلا توجد أقل بقعة فى أعماقه لايقع عليها دائما نفس الضغط الرهيب و هذا هو حالك، غير أن أية حياة أخرى هى غار، ينتابنى السقم عندما تمر بخاطرى؛ حتى ظننت أخيرا أننى لن أستطيع أن أحتمل الحياة، أو أخلق الناس، وكنت أشعر بالخجل البالغ من ذلك، لكنك تؤكدين لى الآن أنها لم تكن الحياة، تلك التى بدت لى غير محتملة

لك

(فى الهامش الأيسر) إننى فى غاية الامتنان لخطه شيكاغو، على شرط أن يكون ثمة مكان هناك أيضا للصبية الذين يعهد إليهم بإداء الخدمات التى لا يستطيعون القيام بها.

بعد الظهور

لقد نجحت في الانصراف عن هذه الرسالة في أثناء الوقت الذي قضيته في مقر عملي، إلا أن العناء الذي تكبدته في محاولة انصرافي عنها لم يكن يسيرا. ففي هذه المحاولة كنت قد استهلكت تقريبا طاقتي كلها، فلم يتبق لدى منها شيء أبذله في العمل.

عن رسالتك إلى شتاشا: جاء ج. صباح الأمس لزيارتي، وقال إن رسالة منك قد وصلت، وأنه قد رآها موضوعة فوق المائدة عندما غادر منزله في وقت مبكر من الصباح، إلا أنه لم يعرف بعد ما الذي تتضمنه، وأن شتاشا ستخبرني بذلك في المساء. لقد أحسست بشيء من عدم الراحة أمام صداقته، على حين كنت أفكر في كل الأشياء، التي كنت السبب فيها على نحو ما، والتي قد تكون واردة في رسالتك، وقد اتضح في المساء، مع ذلك أنها كانت رسالة ودية، وأنها قد بعثت فيهما الرضا، على الأقل إلى الحد الذي كانت توحى به لهجتها الودودة (إنني لم أطلع على الرسالة)، وفوق هذا كان ثمة كلمة شكر للزوج، لعلها قد ذكرت أمامي فقط من باب العلم، ولقد أسعدت هذه الكلمة شتاشا حقا، وتآلفت لها عيناها إلى حد أكثر قليلا من المعتاد. وعلى أية حال، ينبغي لي أن أقول إنهما شخصان رقيقان، وأن شتاشا بدت غاية في الجمال للخطأ، عندما راحت تتأمل صورتك الفوتوغرافية، للخطأ بدت فيها طويلة بصورة غير معقولة وكان يسيطر عليها الانتباه كذلك، والصمت، والجدية. ربما ذكرت لك المزيد عن هذه الأمسية في وقت آخر، لقد كنت متعبا، خاويا ضجرا، مستسلما للهزيمة، فاتر الهمة، وكنت منذ البداية لا أرغب في شيء قدر رغبتى في الذهاب إلى الفراش (لقد طلبا مني أن أرسل إليك القصاصة

المرفقة، وهو رسم رسمته شتاشا، بصحبة تفسير كتبه ج - كنا نتحدث عن وضع الحجرات فى شقتك).

نصحتك بالأمس بعدم الكتابة إلى يوميا، وما يزال هذا هو ما أراه اليوم وسوف يكون هذا خيرا لكينا، ومرة أخرى أعود إلى هذا الاقتراح اليوم، وفوق ذلك فإننى أطلبه بمزيد من الإلحاح - فقط، أرجوك يا ميلينا ألا تلتزمى بهذا الاقتراح، بل اكتبى إلى يوميا، على الرغم من ذلك، قد تكتبين فى اختصار شديد، رسائل أقصر من الرسائل التى ترسلينها إلى الآن، سطرين فقط، أو سطر واحد، المهم هو أن حرمانى من هذا السطر الواحد، سيكون معناه عذابى الرهيب.

ف

الأربعاء

يستطيع المرء أن يحصل على نتائج خاصة، فى نهاية الأمر، لو أن المرء توفرت له فقط الشجاعة اللازمة لذلك
أولا لعل جروس^(١) ليس مخطئا إلى هذا الحد، بقدر ما أفهمه، فقد بلغه على الأقل إننى ما زلت على قيد الحياة، على الرغم من أننى، تبعا للتوزيع الخاص الذى توزعت عليه قوى الداخلية. كان ينبغي لى أن أكون قد مت بالفعل منذ وقت طويل .

ثانيا كيف ستتطور الأمور فيما بعد ، ليست هى المشكلة، كل ما يمكننى أن أقول إننى متأكد منه هو أننى بعيدا عنك لا يمكننى أن أحيأ إلا بالاستسلام للخوف، والاستسلام له أكثر مما يلزم، وهذا

(١) آرثر جروس محال نفسى، وفيلسوف كان يعيش فى فيينا فى ذلك الحين.

ما أفعله عن طيب خاطر، بكل الفرح أصعب نفسي في الخوف.
إنك على حق في لومك لى باسم الخوف، على سلوكي في قبيينا،
غير أن الخوف في هذا المقام هو أمر غامض حقاً، لا أعرف قوانينه
الخاصة، كل ما أعرفه هو قبضته وهي تضغط على حنجرتي وهذه
هي حقاً أشد الأمور التي مرت بى أو يمكن أن تمر بى إزعاجاً.
ربما نتج ذلك عن أننا متزوجان كلانا، أنت في قبيينا، وأنا متزوج
هنا في براغ من خوفاً، وأنت لست وحدك فقط الموثوقة بزواجك في
غير طائل، بل إننى موثوق إليه أنا أيضاً في غير طائل، ذلك أنك
لست أنك يا ميلينا، لو أنك كنت مقتنعة بى تماماً في قبيينا (وحتى لو
أنك كنت توافقينى على تلك الخطوة التي ترتابين في حكمتها)، فإنك
حينئذ لن تكونى موجودة بعد في قبيينا على الرغم من كل شيء، أو
أنه لن يكون هناك بالأحرى معنى لكلمة «على الرغم من كل شيء».
ذلك أنك ببساطة ستكونين في براغ، وسيكون كل ما تعزين به نفسك
في رسالتك الأخيرة، هو في نهاية الأمر مجرد عزاء، ألا تظنين هذا ؟
فلو حدث أن حضرت إلى براغ في الحال، أو لو قررت على الأقل
أن تحضرى إليها في الحال، فلن يكون هذا بالفعل برهاناً لك، فليست
في حاجة إلى براهين لك، فأنت أبعد وضوحاً و يقيناً بالنسبة لى، بل
سيكون ذلك برهاناً كبيراً لى من كل شيء آخر، وهذا ما أفتقده الآن.
على مثل هذا الخاطر يتغذى الخوف أيضاً، من وقت لآخر. وربما
كن الأمر، في الواقع. أسوأ من هذا، كأن أكون أنا (المنقذ)، أكبك
في قبيينا على نحو لم يفعله سوى من قبل.
(إذن فقد كانت تلك هي العاصفة التي كانت تهددنا طوال الوقت،
عندما كنا في الغابة في ذلك اليوم، غير أننا كنا سعيدين مع ذلك،

فلنواصل حياتنا إذن تحت تهديدنا، طالما أنه لا يوجد أمامنا مفر آخر.
لست أدري ما الذى تتخذه على رسالة الفتاة. إن هدفها،
ولاحول أن أدفعك قليلا إلى الغيرة، قد تحقق فى نهاية الأمر. فماذا
إذن ؟

فى المستقبل، سوف أخترع من وقت لآخر، رسائل مثل تلك
الرسالة، وأكتبها لك بنفسى، وقد أخترع لك رسائل أفضل من تلك
الرسالة، لكنها لا تتضمن رفضا قاطعا.

أرجوك أن تكتبى لى بضع كلمات عن عملك ! كستا ؟ لييا ؟ كمن ؟
بوليتيكا^(١) ؟ ثمة شيء آخر أردت أن أقوله، لكن شاعرا ناشئا كان
هنا مدة أخرى ،لست أدري لماذا إن يحضر إلى شخص ما حتى
أتذكر مستنداتى، ولا أستطيع طوال الزيارة أن أفكر فى أى شيء
آخر - إننى مرهق، ولا أستطيع أن أفكر فى أى شيء، وأريد فقط أن
أدفن وجهى فى صدرك، وأحس بيدك، وهى تمسح على رأسى، وأن
أظل هكذا إلى نهاية الأبدية.

للك

نعم، هذا هو ما أردت أن أقوله: ثمة حقيقة هائلة (بين غيرها من
الحقائق) فى رسالتك «أنك أساسا شخص ليست لديك أدنى فكرة
عن تلك الأشياء التى هى من قبيل...» إن هذا حق بكل ما فيه. فلم
يكن كل شيء سوى قذارة، وبغضاء وضبيعة، وهبوط إلى الجحيم،
وإننى لهذا أقف بالفعل أمامك وكأننى طفل قد أتى أمرا بالغ السوء،
وهو يقف أخيرا أمام أمه يصيح، ويصيح ويعدها قائلا: لن أفعل هذا
مرة أخرى، غير أن الخوف إنما يستمد قوته من كل هذا قائلا:

(١) مجلات تشيكية وصحف كانت تصدر فى ذلك الحين.

«بالضبط ، بالضبط » إنه لا يدرى شيئا ! إن شيئا لم يحدث بعدا
وعلى هذا فما يزال من الممكن إنقاذه!»

أفرغنى رنين التليفون! إنها مكالمة من المدير ! هذه هى المرة
الأولى التى أدعى فيها منذ رجوعى إلى براغ إلى عمل رسمى . لقد
انتهى الغش الآن أخيرا! إننى لم أفعل شيئا طوال ثمانى عشرة يوما
سوى كتابة الرسائل، وقراءة الرسائل، ثم أتطلع بعد هذا عبر النافذة
وأرفع الرسائل فى يدى، ثم أضعها، ثم ألتقطها مرة أخرى، وأستقبل
أيضا بعض الزوار، ولا شئ غير ذلك. غير أننى عندما هبطت الدرج
فى طريقى إليه، وجدته ودوا، كان يبتسم، وذكر لى شيئا يتعلق
بالعمل وإن كنت لم أفهمه، ثم ودعنى لذهابه فى إجازة - رجل رقيق
على نحو لا يصدق (همممت أنا فى الحقيقة قائلا فى غير وضوح إننى
قد فرغت تقريبا من إنجاز كل شئ وسوف أشرع فى الغد، فى
إملائه)، وها أنا الآن أخط سريعا تقريراً بهذا كله إلى ملاكى
الحارس.

السبت

إنك تسيئين فهمى يا ميلينا إلى حد ما: إننى أوافقك على الأغلب
موافقة تامة، وإن أوضح لك هذا بالتفصيل.

لا يمكننى أن أقول بعد إن كنت سأحضر إلى شيينا، أو أننى
بالأحرى أظن أننى لن أحضر، فبينما كانت لدى ذات مرة أسباب
عديدة تمنعنى من الحضور، فإن لدى اليوم سببا واحدا فقط هو
الذى سيمنعنى - هو أن ذهابى قد يكون فوق طاقتى الروحية على
الاحتمال، وعلى هذا يكون من الأفضل لنا جميعا، وربما كان هذا

سببا آخر يترتب على ما سبقه، أن نبقي على ما نحن عليه، لكن يجب على أن أضيف قائلا بأن بقاءنا على هذه الحال سيكون بقدر الإمكان - لا، إن الأمر سيكون فوق طاقة احتمالي لو أنك حضرت إلى فيينا الآن على الرغم من الظروف التي أوضحتها بنفسك، « حتى يكون هناك من ينتظرك»

لست أشعر بحاجة ماسة إلى أن أعرف ما أردت أن تخبرني به عن لشهور الستة. إنني مقتنع بأنه أمر مزعج، وإنني مقتنع أيضا بأنك قد جربت أو حتى آتيت أمورا مزعجة، ومقتنع بأنني كشريك لك في هذا لم أكن لأحتمل ذلك (على الرغم من أنه كان يمكنني أن أحتمل كل شيء تقريبا، حتى منذ سبع سنوات)، وإنني مقتنع أيضا بأنني لن يمكنني أن أحتمل ذلك حتى في المستقبل باعتباري شريكا - حسنا، لكن ما هي أهمية هذا كله؟ فهل ما يهمني هو أعمالك وتجاربك أو أن ما يهمني بالأحرى ليس هو شخصك أنت؟ لكنني أعرفك معرفة تفوق كثيرا معرفتي لنفسى بصرف النظر حتى عن التقرير، الذي لا أقصد من خلاله أن أقول إنني لست معتادا على الحال التي تبدو عليها يداي. إن رسالتك لاتعارض اقتراحي، بل هي على العكس من ذلك، لأنك تقولين: «إن أفضل ما يروق لي هو أن أجد طريقا ثالثا لخلاصى، طريقا لا يؤدي إليك، ولا يلزمنى بالسير إلى جانبه، طريقا ينتهى بى على نحو ما إلى الوحدة». إنه اقتراحي أنا ولعلك قد كتبت في نفس اليوم الذى كتبت فيه إليك.

لاشك في أنه إن يمكنك، لو كان المرض قد بلغ هذه المرحلة أن تتركى زوجك ولو مؤقتا وإن كان ذلك في نهاية الأمر، كما قلت أنت ليس مرضا بلا نهاية، لقد تحدثت عن بضعة شهور، انقضى منها

الآن بالفعل ما يزيد عن الشهر، لكنه قد يصبح فى غنى عنك بعد شهر آخر لبعض الوقت، حينئذ سنكون فى شهر أغسطس، أو سبتمبر على الأكثر.

أعترف بالمناسبة أن رسالتك هى من تلك الرسائل التى لا أستطيع أن أقرأها فى الحال ولو أنني كنت على الرغم من ذلك قد التهمت سطورها أربع مرات المرة بعد الأخرى لما أمكنتى على الأقل أن أنتهى الآن إلى رأى فيما جاء بها ومهما يكن من أمر، فإننى أعتقد أن ما كتبته الآن له نصيب من الصحة.

لئ

الأحد

بالإشارة إلى ما كتبته إليك بالأمس:

أحاول فيما يتعلق برسالتك أن أرى الموقف كله من زاوية أخرى كنت قد تجنبته حتى الآن؛ من هذه الزاوية يبدو كل شيء غريبا: لم يكن الأمر، أننا كنا نتقابل أنا وزوجك من أجلك، إن هذا القتال قد قام فقط فى نفسك فلا كان القرار يتوقف على قتال بينى وبين زوجك ، لكان كل شيء قد تقرر منذ زمن بعيد. (اننى لا أبالغ فى قدر زوجك على الإطلاق، بل لعلى أن أكون أقل من قدره إلا إننى أعرف شيئا واحدا فلو أنه أحببني فإن حبه لى سيكون شيئا من قبيل حب الثرى للفقر (وهو شيء لا تخلو منه أيضا علاقتك بى). فلست حقا بالنسبة للحياة التى تعيشينها معه، سوى «الفأر» فى «الدار العامرة» لا يتاح له سوى مرة واحدة فقط فى العام، أن ينطلق فوق السجادة على هواه.

هذا هو النحو الذى يبدو عليه الأمر، وإنه لأمر غريب، وإن كان لا يدهشنى، إن ما يدهشنى وربما بدا لى أمرا لا يمكن فهمه مطلقا هو حقيقة أنك أنا يا من تعيشين فى هذه «الدار الكبيرة» وتنتمين إليها بكل حواسك، وتستمدين منها أقوى ما فى حياتك، وتمارسين إحساسك بأنك ملكة عظيمة فى إطارها -- قد تجدين، مع ذلك، (وأدرك هذا على وجه اليقين)، القدرة ليس فقط على أن تحببني، بل أكثر من هذا، على أن تكونى لى، وأن تنطلقى بسرعة فوق سجادتك أنت.

غير أن هذا مع ذلك ليس هو غاية ما يدهشنى، فما يدهشنى ينحصر فى حقيقة أنك لو كنت قد رغبت فى المجيء إلى، وأنك على هذا لو كنت قد رغبت -- بعد تدبر مترن للأمر -- فى أن تنبذى العالم بأكمله فى سبيل أن تهبطى إلى، إلى تلك الأعماق التى لن يتراعى لك فيها، عندما تتطلعين إليها من مكانك الممتاز، ليس فقط القليل، بل إنها سوف تتكشف لك بالفعل عن لاشيء، وأنك لهذا الغرض -- ويا للغرابة، يا للغرابة الشديدة -- لن يكون عليك أن تصعدى إلى تلك الأعماق السفلى، بل سيكون عليك أن تتجاوزى ذاتك ، على نحو يفوق طاقة الإنسان العادى ، ستجاوزين نفسك بغاية القوة، حتى إنك وأنت تفعلين هذا، قد تتمزقين إلى أشلاء، وتتعثرين، وتتلاشين (وسوف يحدث لى هذا ، معك أيضا بلاشك) . كل هذا، لكى تبلغى مكانا لا يتمتع بأية جاذبية، هو المكان الذى أستقر أنا فيه، فى غير سعادة أو تعاسة، بلا فضل ، ولا جريرة، وإنما أستقر فيه فحسب، لأننى وجدتنى قد وضعت فيه. لست أحسب نفسى فى وضع يخالف فى قليل أو كثير، وضع يقال، قبل الحرب، فى إحدى الضواحي التى

تحيط بك، بالنظر إلى مراتب البشر (لست عازفاً أيضاً، حتى هذا لا أحسبني منه فى شيء). فلو أُنْتِ كُنْتُ قد حصلت على مكانى هذا بالقتال - ولم يحدث لى أن قاتلت لبلوغه - فلن يعد هذا فضلاً بحسب لى.

إن ما كتبتَه إلى عن الجذور، شيء بالغ الوضوح، إنه يبدو لى كذلك حقاً. ذلك أن الواجب الرئيسى فى (تورناو) لم يكن سوى البحث أولاً عن الأقرع، وانتزاعها. فإذا ما تم العثور فى لحظة ما على الجذر الأساسى. عندئذ يكون العمل الحقيقى قد تم إنجازَه حقاً، ذلك أن كل ما على المرء أن يفعله لم يكن حتى الآن سوى أن يواصل ضرب هذا الجذر بجاروف ، وأن يفرغ من تحطيمه تماماً. وما يزال فى وسعى حتى الآن أن أسمع صرير تحطمه يتردد فى أسمعائى. فى ذلك الوقت كان انتزاعه سهلاً بالطبع ، ذلك أنها كانت شجرة يعرف المرء أنها سوف تواصل نموها مترعرة فى تربة أخرى، على أنها لم تكن على أية حال شجرة بعد، بل كانت طفلاً.

تحدثت بالأمس مرة أخرى إلى ل. وأظن أننا قد اتفقنا فى الرأى، بقدر ما سمحت له به درجة ارتباطه بالأمر. ثمة أشياء عديدة تحسب له، منها مثلاً أنه كان يلم شتات نفسه على نحو ما عندما كان حديثنا يتناولك، نعم ، إن له على أية حال، قلباً طيباً. ما الذى قاله لى؟ حسناً، لقد التقيت به مرتين، وقد ذكر لى أساساً فى كلتا المراتين نفس القصة، بكثير من التفاصيل الثانوية. وموضوع قصته هى فتاة، مخطوبة لشخص ما، جاءت بقصد الزيارة، وعلى الرغم من ضيقه

البالغ بها، بقيت معه فترة تتراوح بين ثماني وعشر ساعات (فتاة في شقته الخاصة في الصباح، والآخرى في مكتبه الصحفى ليلا، هذه هى طريقته فى توزيع الأضواء). أوضحت له أنها لابد أن تناله ، وأنه إن رفض ذلك فسوف تلقى بنفسها من النافذة. وقد رفض هو طلبها فى الحقيقة، وأفسح لها الطريق إلى النافذة. وبالرغم من أن أياً من الفتاتين لم تقفز من النافذة. فإن شيئاً مخيفاً بدلا من ذلك قد حدث، انتابت إحدى الفتاتين نوبة من الصراخ الهستيرى، على حين أن الفتاة الأخرى - لقد نسيت الآن فى الحقيقة ماذا جرى لها ... ولست أنكر فى نهاية الأمر أن يكون هذا كله، أو حتى ما هو أسوأ منه، قد حدث بالفعل، غير أن الشيء الوحيد الذى لا يمكننى أن أفهمه هو لماذا بدا لى ذلك أمرا يبعث على الضيق.

ثمة فقرة جيدة. بالمناسبة، قد وردت فى تلك الحكايات التى تدور حول فتاته المخطوبة تلك. فوالدها يعانى منذ سنتين من داء السوداء، وتقوم هى على تمريره. وكان لابد أن تبقى نافذة حجرة المريض مفتوحة دائما، لكن ما إن تمر بها إحدى العربات حتى يتحتم إغلاقها بسرعة للحظة، ذلك أن الأب لا يحتمل الضوء، وكانت الابنة هى التى تقوم بإغلاق تلك النافذة. أضاف لى . عندما ذكر لى هذا قائلا: «تصور! أخصائية تاريخ الفن هذه!» (إنها بالفعل متخصصة فى تاريخ الفن)

وقد أطلعنى كذلك على صورتها الفوتوغرافية، فرأيت فيها وجها يهوديا، قد يكون جميلا، وإن بدا لى سوداويا، ذا أنف مفرطحة، وعينين متماثلتين، ويدين طويلتين ورققتين، وكانت ملابسها غالية. تساليننى عن الفتاة، ولست أعرف شيئاً جديدا عنها، منذ أن

سلمتني رسالتها إليك لم أرها حتى الآن. ولقد كنت بالفعل على موعد معها، لكن كان ذلك عندما بدأت تصلني رسالتك الأولى التي تتناول مناقشاتك مع زوجك. لم أجد ما يدفعني إلى الجديث إليها. ولهذا أرجأت لقائي بها، موضحا لها الأسباب الحقيقية التي دفعتني إلى ذلك، وإن كنت قد أوضحت لها تلك الأسباب بصورة ودية كما بدا لي. ثم كتبت إليها فيما بعد رسالة أخرى، لكن اتضح لي أنها قد أسأت فهمها. فلقد تلقيت منها ردا عبارة عن رسالة تهذيبة كرسائل الأمهات (طلبت مني فيها، بين أشياء أخرى أن أخبرها بعنوان زوجك) ولقد أرسلت إليها في الحال ردى الذى يقتضيه ذلك بالبرق حدث هذا بالفعل منذ أكثر من أسبوع، ولم يصلني منها شيء آخر بعدئذ، وعلى هذا فلست أعرف حتى ما الذى رددت به أنت عليها، ولا ماذا كان وقعه عليها.

تقولين في رسالتك أنك قد تحضرين إلى براغ في الشهر القادم. وأحس على الأغلب برغبتي في أن أقول لك لا تحضرى،، امنحيني الفرصة كي أعيش على أمل أنك ، لو قدر لى ذات مرة أن أطلب منك أن تحضرى، عندما تمس حاجتى إليك، سوف تحضرين فى الحال، لكن من الأفضل ألا تجيئى الآن، فمجيئك الآن معناه فقط أنك سوف ترحلين ثانية.

* (فى الهامش الأيسر) أعرف ردى لكنتى أرغب فى أن أراه كتابة.

فيما يتعلق بأمر المتسولة، لم يكن بلاشك ثمة ما هو حسن أو ما هو سيء ، فقد كنت ببساطة إما شاردا غاية الشرود، أو كان

يستغرقنى الانشغال بأمر ما، حتى أسلك على نحو آخر، سوى سلوكى الذى يتصل بذكريات غامضة. بين ما أنكره فى هذا الشأن، على سبيل المثال، ما يقول «لاتعط المتسولات الكثير، فسوف تندم على ذلك فيما بعد» حصلت ذات مرة، عندما كنت صبيا صغيرا جدا، على قطعة عملة من فئة الـ (زشرل)^(١)، وأحسست برغبة شديدة فى أن أعطيها لمتسولة عجوز كانت تجلس بين الساحتين الكبيرة، والصغيرة. لكن المبلغ بدا لى ضخما، مبلغ لعل متسولة لم تتلق مثله من قبل مطلقا - لهذا أحسست بالخجل وأنا أقف أمام المتسولة لإقدامى على الإتيان بأمر كهذا لم يسمع بمثله من قبل. لكننى كنت أحس بأنه لابد لى من أن أمنحها إياه. لهذا استبدلت تلك القطعة بعشرة كرويتسرات، ومنحت المتسولة واحدا منها، ثم أسرع، فدرت حول مبنى مجلس المدينة الهائل دورة كاملة، واخترقت البواكى القريبة من الساحة الصغيرة، وعدت من الناحية اليسرى، وكأئنى محسن جديد آخر، ومنحت المتسولة قطعة أخرى من العملات الصغيرة، وانطلقت أجرى مرة أخرى، وقمت بهذه الجولة بالفعل عشر مرات (ولعلنى لم أتم ثورأتى عشرا بالضبط، ذلك أن المتسولة فيما أعتقد نفد صبرها بعد ذلك واختفت). كنت ، على أية حال، قد أرهقت قوى إرهاقا شديدا، عندما كنت أوشك على إتمام مهمتى، ورغبته فى الإحسان كانت قد خبت هى أيضا، حتى وجدتنى أتجه مباشرة إلى منزلى ، ورحت أصرخ حتى أعطتنى أمة قطعة أخرى من نفس الفئة عوضا عن تلك التى فقدتها.

ترين من هذا أننى ساء الحظ مع المتسولات، لكننى مع ذلك أصرح لك بأننى على أتم الاستعداد لأن منح كل ثروتى الحاضرة

(١) قطعة عملة تساوى ١٠ كرويتسر، فى عهد الحكم النمساوى الهنغارى.

والمقبلة. بعد إبدالها بأنصغر العملات الورقية المتداولة فى قيينا. لمتسولة تقف على باب الأويرا، على شرط أن تكونى أنت موجودة عندئذ. وأن أحس بقربك.

فرانتس

الثلاثاء

بين الإملاعات التى انتهت منها أخيرا اليوم: تسلمت رسائلك القصيرة، المرحمة أو التلقائية على الأقل، كرسالتيك اللتين تسلمتهما اليوم. فى هاتين تفوح بالفعل فى الغالب (فى الغالب، فى الغالب، فى الغالب، فى الغالب) رائحة الغابة، وريحها فى أكمامك، فيهما كذلك لمحة من قيينا. ما أجمل أن أكون برفقتك يا ميلينا!

أرسلت الفتاة لى اليوم رسالتك دون أدنى تعقيب، فقط خطت تحت بضعة أسطر قلائل منها بالقلم الرصاص. من الواضح أنها غير مقتنعة بها - حسنا؛ مثل كل الرسائل المغطاة بالعلامات المكتوبة بالقلم الرصاص، كان بهذه الرسالة بعض الأخطاء، وعند التطلع إليها بدا لى كم كان مستحيلا ذلك الذى طلبته منك الفتاة بتلك الرسالة، وأسألك المرة بعد المرة أن تغفر لى، سوف أسألك أن تغفر لى فى الحقيقة، هى أيضا، ذلك أنه أيا كان النحو الذى كتبت عليه تلك الرسالة فإنه كان مقدراً له أن يؤلها. وعندما كتبت أنت مثلا، بغاية الحرص: «لأنه لم يحدث له مطلقا لا أن كتب لى عنك، ولا تحدث عنك إلى» فلا بد أن ذلك قد سبب لها أذى؛ كما يمكن أن يسبب لها عكس ذلك؛ الأذى هو أيضا. اغفر لى، مرة أخرى.

لقد ساعدتني بالمناسبة مساعدة بالغة برسالة أخرى، هى رسالتك إلى شتاشا،

الخميس

إنها ملاحظة بالغة السحر، تلك الملاحظة التي أيدتها شتاشا، وإن يكن فى غير استطاعة المرء أن يستنتج من تلك الملاحظة أنها كانت تختلف فى تلك الأيام عما هى عليه الآن. فلا أثر لوجودها الشخصى فى هذه الملاحظة إنها تتحدث نيابة عنك، وثمة رباط لا يكاد يصدقه المرء بينها وبينك. رباط يكاد يكون مقدسا، مثلها كمثّل شخص، لأنه هو نفسه لا يكاد ينعكس عليه أدنى أثر (ذلك أنه لا يجرؤ على أن يكون أكثر من مجرد وسيط) ينقل ما قد سمعه، وما ينقله بالطبع - إن هذا الشعور هام، وإليه يرجع كبرياء وروعة الأمر كله - ليس سوى ما كان مسموحا له بأن يسمعه وأن يدركه. غير أننى لا أظن أنها قد تغيرت منذ تلك الأيام؛ ويمكنها فى ظروف مماثلة أن تكتب ملاحظة كهذه الملاحظة التى كتبتها اليوم.

غريب أمر ما يتعلق بتلك القصص. ليس كونها قصصا يهودية هو ما يحزننى، ولا أنا حزين لأن الطبق إن وضع ذات مرة فوق المائدة، تعين على كل يهودى أن يتناول نصيبه من الطعام المخيف السام، ذلك الطعام المشترك القديم أيضا، والأبدى أساسا - ليس هذا هو السبب فى أن تلك القصص تحزننى. ألا تمدين لى يدك على الرغم من هذا كله، وأن تتركها فى يدي وقتا طويلا، طويلا؟

عثرت بالأمس على المقبرة. لو أنك بحثت عنها بخوف فإنه ليستحيل عليك على الأغلب أن تعثرى لها على أثر. إننى لم أتحقق من أنها مقبرة أقارب والدتك، كما أنه ليس فى مقدور المرء أن يقرأ النقوش على شاهدها - لقد كاد الذهب أن يتقشر تماما على الأغلب - ما لم ينحن المرء إلى أسفل فى اهتمام. ولقد أنفقت وقتا طويلا

هناك، إنها مقبرة جميلة لا تبدو أحجارها قابلة للبلل؛ وهى تفتقر من ناحية أخرى إلى الزهور افتقاراً تاماً؛ على أنه ما نفع كل تلك الزهور على المقابر - إننى لم أتمكن مطلقاً من أن أفهم تلك النقوش التى على شاهدها فهماً تاماً.

لقد وضعت بعضاً من القرنفل متعدد الألوان على حافة المقبرة مباشرة. ولقد أحسست بالراحة فى الجبابة على نحو لا أحسه فى المدينة؛ ودام هذا الإحساس أيضاً؛ ولوقت طويل واصلت سيرى عبر المدينة كما لو كنت أسير عبر جبابة.

بينتشيك، هل كان هذا هو شقيقك الصغير؟

وهل أنت حقاً على ما يرام؟ فى تلك الصورة الفوتوغرافية التى من (نويه فالديج) تبدين حقاً مريضة؛ ربما كان ذلك مبالغاً فيه؛ لكنه يبقى مع ذلك أمراً مبالغاً فيه فحسب. مازلت أفتقر إلى صورة فوتوغرافية جيدة لك، ففى إحدى الصور، تبدين فتاة صغيرة متميزة، رقيقة، حسنة الملبس؛ يبدو عليها أنها سرعان ما ستغادر الدير فى خلال عام أو عامين (إن زوايا الفم فى الحقيقة؛ تبدو مرفوعة إلى حد ما، غير أن هذه هى مجرد علامة على السمو والطاعة الدينية)؛ أما الصورة الثانية فهى صورة دعائية مبالغ فيها: «هذا هو الحال الذى نعيش عليه فى قيينا»، بالمصادفة فى هذه الصورة الثانية تبدين مرة أخرى شديدة الشبه بصديقى الأول الغامض، سأحدثك يوماً ما بشأنه.

لا، لن أحضر إلى قيينا؛ ظاهرياً؛ من الممكن أن يتم هذا بكذبة، بإبلاغ العمل بأننى مريض، أو أنه يمكن أن يتم خلال إجازة لمدة يومين متتابعين؛ غير أن هذه هى فقط عقباتك الظاهرية يابنى

(مناجاة ذاتية) [عبر الصفحة بعيل]: لقد كتبت لك يومياً ولعلك تتسلمين الرسائل
مانزالين.

البرقية؛ شكراً؛ شكراً؛ شكراً؛ إننى أسحب كل ما أوجهه من
سلام؛ ذلك أنه لم يكن ملاماً؛ وإنما هو مجرد ريت يظهر اليد، وقد
كانت لتثير الحسد لوقت طويل. كان الشاعر والفنان الحفار (فى
الحقيقة هو موسيقى أساساً) معى الآن للتو؛ إن الفنان الحفار يتردد
على دائماً، واليوم أحضر لى قطعتين من الحفر على الخشب
(تروتسكى والقطعة الأخرى اسمها بشارة «بشرى»؛ ترين من هذا
أن عالمه ليس محدوداً)؛ وحاولت لأجل خاطره؛ أن أبدو مهتما بعمله
اهتماماً أكبر؛ بأن أسرعت فاقمت صلة لك بالامر؛ وأخبرته بأننى
سوف أرسلها إلى صديقة لى فى فيينا، فكان من نتيجة ذلك غير
المقصودة أن حصلت على نسختين بدلا من نسخة واحدة (سأحتفظ
لك بنسختك هنا، أم هل تودين أن أرسلها فى الحال؟). ثم وصلتني
عندئذ برقيتك، وبينما كنت أقرأها، وأعيد قراءتها، ولا أستطيع
لفرحتى وامتنانى لك أن أفرغ منها، شرع هو يتحدث بلا انقطاع
(على أنه فى الوقت نفسه لم يكن يقصد إزعاجي بحديثه ذاك، لا؛
مطلقاً، فعندما أقول إننى مشغول؛ عندما أقولها بصوت مرتفع حتى
يتاح له أن يفيق إلى نفسه فإنه يصمت فى الحال فى منتصف جملة،
ويسرع بالابتعاد، دون أن يفضب بالمرّة).

أخبارك كلها بلا شك غاية فى الأهمية؛ لكن التفاصيل ستظل
أكثر أهمية. لكن فوق هذا كله: كيف يتسنى لك أن تتخلى عن نفسك؟
إن ذلك لمن المستحيل بالتأكيد؛ بالنسبة لى على الأقل لا يمكن لطبيب
أن يقول شيئاً أكثر من هذا افتقاراً إلى المعنى. آه، إنه لامر سى

بلاشك، لكن على أية حال، شكرا، شكرا.

السبت

لمدة حوالي نصف الساعة الآن بالفعل كنت مستغرقا في قراءة الرسائلتين والبطاقة البريدية، (بصرف النظر عن المظروف - إننى ليدھشنى أن مصلحة البريد بكامل هيئتها لم تحضر لكى تعتذر لك)، وتحققت الآن فقط من أننى كنت مستغرقا فى الضحك طول الوقت، فهل وجد هنالك ثمة فى تاريخ العالم بأكمله امبراطوراً كان أسعد حالاً منى؟ فهو يدخل حجرته، ليجد هنالك الرسائل الثلاث؛ وكل ما ينبغى عليه أن يفعله هو فحسب مجرد أن يفضيها - يا للأصابع المتكاسلة! - وأن يضطجع إلى الخلف - وليس ذلك لكى يكون فى وسعه أن يتأكد من أن ذلك الحظ السعيد؛ إنما يتحقق له هو. لا؛ إننى لم أضحك طوال الوقت؛ لن أقول شيئاً عن «حمل الأمّعة» لأننى لا أصدق ذلك؛ ولو أمكننى تصديقه؛ فلا يمكننى أن أتصور ذلك، ولو أمكننى أن أتصور ذلك؛ فإنك ستكونين بالغة الجمال عندئذ - لا، لم يكن ذلك مجرد جمال فحسب؛ لقد كان ذلك تحولاً من السماء على غير توقع - كما فى يوم (الأحد)؛ وإننى لأفهم (السيد) (فلعله كان قد دفع عشرين كرونيّنا، وانتظر أن يرد إليه ثلاثة كرونيّات)^(١). على أننى مازلت لا أصدق ذلك، وحتى لو كان ذلك قد حدث؛ فإننى أقر بثئه لأبد كان مزعجاً بقدر ما كان رائعا. لكن بخصوص أنك لم تتناولى طعاما بالمرّة، وأنت جائعة (بينما أنا أطمع هنا إلى درجة التخمّة بدون أى شهية)، وأن لديك تحت عينيك بوانثر

(١) (فى أثناء التضمخ) كانت النساء تعملن (حاملات للأمّعة) فى محطات شيتا.

(وأنه لا يمكن لهذه الدوائر رغم كل شيء أن تظهر بواسطة المصور الفوتوغرافى)، ذلك أنها تذهب بنصف السعادة التى تنطق بها الصورة، على الرغم من أنه ما يزال يتبقى ما يكفى، وما أحب بسببه أن أقبل يدك طالما أنك لن تكونى قادرة - فى حياتك مطلقا على أن تستخدمها مرة أخرى لا فى الترجمة ولا فى حمل الأمتعة من المحطة - هذا لا يسعنى أن أغفره - لن أغفر لك، ولا بعد مائة عام حتى، منذ الآن؛ وسوف أوجه لك نفس اللوم؛ بينما نكون جالسين أمام كوخنا، لا إننى لست أمزح، ثم ما هو هذا التناقض؟، إنك تصرحين بحبك لى، وتكونين (لى) بناء على هذا؛ بينما أنت تتصورين أمامى، على حين توجد النقود التى لا جدوى منها هنا؛ وهناك يوجد (الديك الأبيض) = (حيث تتناول ميلينا طعامها).

ما تقولينه عن رسالة الفتاة سوف أغفره لك فى الحال؛ ذلك لأنك تنادينى (أخيرا) بالسكرتير (إننى أدعى سكرتيرا لأن كل ما أفعله هنا منذ ثلاثة أسابيع هو أمر غاية فى السرية)؛ وإلا فإنك أيضا على حق. لكن هل يكفى أن تكونى على حق؟ وفوق ذلك كله: فلست أنا محقا، أفلا تريدان على هذا أنت أيضا أن تتحملى جانبى صغيرا من خطئى - من الممكن ذلك، أعرف ذلك؛ إنها فحسب مسألة قوة إرادة - وذلك بأن ترسلى إلى تلك الرسالة اللامبالية التى أرسلتها الفتاة؛ وبأن تستخلصى منها خطئى ذلك المسطور هناك فى كلمات هائلة وقوية؟ وبصرف النظر عن هذا فإننى أنا أيضا راغب فحسب فى ألا أستمع إلى المزيد عن هذه المراسلات التى تسببت فيها نون روية. لقد أعدت إليها رسالتك مع بضعة سطور ودية. وطالما أنه لم يصلنى أى

شيء؛ لم أستطع أن أحمل نفسي على أن أقترح لقاء ما؛ وأمل أن ينقشع كل شيء في صمت؛ وبصورة ودية.

أنت تدافعين عن رسالة شتاشا، وقد كنت أنا من يتوجب عليه أن يشكر من أجلها. هل كنت في (نويه فالديج)؟ وأنا أيضاً كنت هناك مراراً، من الغريب أننا لم نتقابل على أنك كنت تتسلقين، وتطلقين في الجرى بغاية السرعة، حتى أنك ربما حدث وانزلت أمام ناظري كما حدث في قيينا؛ يا لهذه الأيام الأربعة من أيام لابد أنها كانت غريبة! معشوقة خارجة من السينما، وحمالة أمتعة بسيطة تقف على الرصيف - وكان مقدراً لها أن تكون أياماً أربعة؛

سيحصل ماكس على رسالتك اليوم. لم أقرأ منها ما يزيد عما يمكن اختلاسه منها اختلاصاً.

نعم إن حظك سيئ، مع (لاندراو)^(١)، ومايزال حظك حسن في الألمانية؛ ما الذي جنيت منها أيتها الطفلة البائسة (ولا أقول أيتها الطفلة الصغيرة لا سمح الله!) تعذبت واضطربت بك الحال كما فعلت بك الرسائل؟ ألست على حق في قلبي بأن رسائلني تسبب لك اضطراباً؟ لكن أي نفع يمكن أن يوجد فيها حتى تكون كما ينبغي أن تكون عليه الرسائل؟ إنني أكون بخير ما حصلت على رسائل، وينطبق هذا أيضاً على كل شيء آخر، أما إذا لم تصلني رسائل فإنني لن أكون بخير، كما أنني لن أكون معبوداً بين الأحياء، ولن أكون أي شيء بالمرّة.

نعم؛ الحضور إلى قيينا!

(١) (الكاتب المعروف، وأحد المشتركين في جمهورية ميونيخ الاستشارية، قتل عام ١٩١٩).

أرجوك أن ترسلى لى الترجمة، فلا يمكننى أن أجد بين يدى الكثير من نفحاتك.

الجمعة

أنت دائماً تريدين أن تعرفى يا ميلينا! ما إذا كنت (أنا) أحبك، غير أن هذا السؤال هو من أصعب الأسئلة فى نهاية الأمر، لا يمكن الإجابة عليه فى رسالة (ولا حتى فى رسالة الأحد الماضى) سأخبرك بالرد على هذا السؤال عندما نلتقى فى المرة القادمة بلا شك، بشرط ألا يخوننى صوتى. لكن لا يجب عليك أن تكتبى عن رحلتى إلى فيينا، فأبغى لن أحضر، وإن كانت أية إشارة إلى هذه الرحلة أحسها وكأنها شعلة صغيرة من النيران تقربينها من جلدى العارى، إنها (محرقة) بالفعل، لا تحترق لكنها تظل تدخن ما وسعها ذلك؛ بنفس قواها! بل بقوى زائدة فى الحقيقة؛ وهذا ما لا ترغبين فى حدوثه.

إننى فى غاية الأسف بخصوص الزهور التى وصلتك، إن الأسف ليمنعنى حتى عن توضيح أى نوع من أنواع الزهور كانت. والآن فإن تلك الزهور توجد فى حجرتك. فلو أننى حقاً كنت أنا البواب؛ لكنت جرجرت نفسى خارجاً من الحجرة إلى ضوء النهار الساطع؛ على الأقل كنت أبقى فى حجرة الانتظار المقابلة حتى تدبلك تلك الزهور. لا، ليس هذا حسناً. إن هذا كله لبعيد بعداً بالغا، وإن كان مقبض بابك قريباً أمام ناظرى فى مثل قرب محبرتى.

حسناً، ليكون لقد تسلمت برقيتك التى أرسلتها بالأمس، التى أرسلتها أمس الأول، لكن حتى وقتئذ لم تكن الزهور قد دبلت بعد،

ولماذا أنت مسرورة بها إلى هذا الحد؟ فلو كانت هذه الزهور هي زهورك (المفضلة)، لكان ينبغي أن تسرك كل مثيلاتها من الزهور التي توجد على وجه الأرض، لماذا إذن تسرك فقط هذه الزهور وحدها؟ على أنه ربما كان هذا أيضاً سؤالاً صعباً غاية الصعوبة؛ وأنه يمكن الإجابة عليه فقط شفويّاً. لكن أين أنت؟ في شيينا؟ وأين ذلك؟ لا، لا يمكنني أن أتخلص من الزهور - شارع كيرتنر - حسناً، إنها لقصة خرافية أو أنها حلم في يوم كانه الليل، غير أن الزهور هي زهور حقيقية، وإنها لتملأ الفازات؛ «لاجدوى» تقولين هذا، وتضمينها إلى صدرك - والمرء ليس له حتى؛ أن يلقى بها؛ لأنها بعد كل شيء هي زهورك (المفضلة). فانتظري إذن أيتها الزهور، فسوف أحملك خارجاً في اللحظة التي تغادر فيها ميلينا الحجرة، وألقى بك أيتها الزهور في الحوش.

لماذا أنت مكتئبة إلى هذا الحد؟ هل حدث شيء؟ ولم تحدثيني عنه؟ لا، ليس هذا ممكناً.

في الهامش الأيسر: ولماذا أنت حزينة؟

إنك تسألينني عن ماكس، لكنه قد رد عليك منذ وقت طويل، وإن كنت لا أعرف بماذا، غير أنه أرسل الرسالة يوم الأحد في وجودي. هل وصلتك بالمناسبة رسالتى التى أرسلتها يوم الأحد؟. كان الأمس يوماً قلقاً للغاية، لم يكن قلقة معدّباً، لكنه قلق وحسب، ولعلنى أن أخبرك بذلك قريباً. فوق كل شيء، لدى برقيتك فى جيبى، وأن أتجول وهى فى جيبى أمر يمنحنى إحساساً غريباً. ثمة

رقة إنسانية خاصة لا يعلم عنها الناس شيئاً. يتمشى المرء مثلاً تجاه
 قنطرة تشيك، ويتنزع البرقية، ويقرأها (إنها جديدة دائماً، وبعد أن
 يتشربها المرء تصبح الورقة بيضاء» ولكن ما إن يضعها المرء ثانية
 فى جيبه حتى تصبح مكتوبة مرة أخرى. وهى فى مكانها هنالك
 بأسرع ما يمكن)، ثم يتطلع المرء حوله ويتوقع أن يرى وجوها
 غاضبة، ليست حاسدة تماماً، ولكنها على الرغم من ذلك تسدد إلى
 نظرات تقول: «ماذا؟» أنت بون الناس جميعاً قد تسلمت هذه
 البرقية؟ سوف نرسل تقريراً عن هذا فى الحال إلى هناك! فثمة
 زهور على الأقل (ملء حوض منها) سوف ترسل فوراً إلى فيينا.
 ونحن على أية حال مصممون على ألا نتساهل فى أمر البرقية.
 وبعيدا عن تلك النظرات فإن كل شئ هادئ بقرر ما تمتد أمامك
 الرؤية، فالصبيان بالسنانير يواصلون صيدهم، ويواصل المتطلعون
 تطلعهم، والأطفال يلعبون كرة القدم، ويجمع الرجل الجالس عند القنطرة
 الكرويتسات. وبالمراقبة عن كثب أكثر يكتشف المرء توقراً ما، ذلك أن
 الناس إنما يرغبون أنفسهم على أن يركزوا على ما يقومون به من أعمال
 حتى لا يتسنى لهم أن يشوا بشئ من أفكارهم. على أن مجرد تلك
 الحقيقة، حقيقة أنهم يرغبون أنفسهم على هذا النحو على الانصراف إلى
 ما يقومون به من أعمال؛ لهى جذيرة بالحب إلى غير حد. إن ذلك الصوت
 الذى يتحدث بلسان حالهم كله إنما يقول: «من الصحيح أن البرقية
 تخصك، إنما نوافقك على هذا، إنما لا نجادل فى حقك فى أن تحصل
 عليها، إنما سنغلق أعيننا عنها؛ ويمكنك أن تحتفظ بها»، ثم قد يظن
 أحدهم، متى انتزعها ثانية من جيبى بعد فترة قصيرة أن ما يسخطهم
 على أننى على الأقل قد بقيت هادئاً، وأننى لم أختبئ.

لا؛ إنهم ليسوا ساخطين؛ وإنما هم يبقون على حالتهم التى كانوا عليها.
(فى الهامش الأيسر): ولماذا أنت حزينة؟

فى المساء تحدثت ثانية إلى يهودى فلسطينى. أظن أنه من الممكن فى رسالة أن أجعلك تدركين أهميته بالنسبة لى - رجل ضئيل، نحيف على الأغلب، هزيل، ملتج، أعور، غير أن تذكرى له قد كلفتى نصف الليلة. سأحدثك بالمزيد عن هذا الأمر فى الحال.
إذن فليس لديك جواز سفر، وإن تحصلى على واحد؟

الخميس

ميلينا، أيتها المجتهدة، إن حجرتك تتغير فى ذاكرتى، المكتب، ويبدو على كل شئ أنه غير معتاد على أن يحب العمل كثيراً، لكن يوجد ثمة الكثير من العمل الآن. ويمكننى أن أشعر بذلك، وإنه ليرضينى، ولا بد أن كل شئ فى حجرتك يبدو دافئاً على نحو رائع؛ ومنعشاً ومرحاً. فقط يبقى الدولار أخرق كما هو دائماً، وأحياناً لا يعمل القفل، ولا يسمح بالحصول على شئ من داخل الدولار، وإنما يبقى بمجهود هائل مغلقاً، ويرفض أن يسمح بخروج الثوب الذى كنت ترتدينه يوم (الأحد). إن هذا ليس دولاراً على الإطلاق، فلو راودتك مرة أخرى فكرة أن تشرعى فى تأسيس منزل؛ فإن علينا أن نلقى به خارجاً.

إننى آسف لعدة أمور قد كتبتها لك أخيراً، فلا تتخذىها ضدى. وأرجوك ألا تعذبى نفسك طوال الوقت بفكرة أن تلك الغلطة هى غلطتك كلية؛ أو أنها حتى غلطتك بالمرة؛ إنك لا يمكنك أن تحررى

نفسك منها. إنها غلطتى أنا أكثر مما هي غلطتك، وسأحدثك عن هذه الغلطة يوماً ما.

الخميس بعد ذلك

لهذا، ولكى لا يكون ثمة شك يا ميلينا:

ربما لم تكن حالتى هذه حتى؛ هي أفضل الحالات الممكنة، وربما كنت أحتمل ما أزال المزيد من السعادة، والمزيد من الأمان، والمزيد من الوفرة - وعلى الرغم من أن هذا ليس مؤكداً على الإطلاق، على الأقل من براى - رضى أية حال فبالنظر إلى المعدل الذى يسير عليه الحال؛ أقول إننى أشعر بالتحسن والمرح، والحرية؛ التحسن الذى لا أستحقه بالمرة، التحسن المضيف، كما لو كانت الأحوال الحاضرة لتبقى لفترة قصيرة بدون اضطرابات هائلة للغاية، وتلقيت كلمة منك كل يوم دون أن أراك معذبة من خلالها إلى هذا الحد، وهذا وحده لعله أن يكون كافياً عندئذ لكى يؤدى بى إلى منتصف طريق العودة إلى الصحة.

والآن يا ميلينا أرجوك، لا تعذبى نفسك بعد ذلك، أما فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية فإننى لم أفهمها البتة بحال من الأحوال (أكثر ما فهمته منها هو ما يدور حول العمود النارى، تلك هي الفيزياء، أفليست كذلك في نهاية الأمر؟) ومقاييس العالم النسبية) - بى ما لم أفهمها أيضاً، ولا شك أن تلك المقاييس قد فهمتتى هي أيضاً بدورها بقدر ما فهمتها (ما الذى يمكن أن تقطعه مثل تلك النسب الهائلة بوجودى الذى لا يتجاوز ٥٥ كيلو جرام عارياً، إن تلك النسب قد لا

تلاحظه، فهو وجود أقل مما يلزم لكى تحركه هذه النسب) وإننى لأتواجد هنا تماما كما كنت فى قيينا ويداك فى يدي بقدر ما تتركينهما فى يدي.

(فرانتس) خطأ، (ف) خطأ، (ك) خطأ، ولا شئ آخر، الصمت، أعماق الغابة، تبدو قصيدة (فيرفل) كصورة تحقق فى كل من يتطلع إليها، إنها تحقق فى أنا أيضا، وفوق كل شئ تحقق حتى فى ذلك (الشرير) الذى كتبها هو نفسه.

لم أستطع أن أفهم تماما ملاحظاتك عن العطله، إلى أين ستذهبين.

الجمعة

لا، إنها لم تكن حقا بهذا السوء، وعلى أية حال كيف يتسنى للروح أن تخلص نفسها على نحو آخر، من عبء ما، إن لم يكن ذلك بواسطة خدعة صغيرة؟، وعلاوة على ذلك؛ فإننى أعتبر كل شئ كتبته صحيحا. لقد أخطأك فهم بضعة أشياء منها على سبيل المثال ما يتناول «العناء الوحيد» ذلك أن (عناك الشخصى) لهو هذا «العناء الوحيد»، وليست رسائلك التى تعطينى كل صباح القوة لأن أحتمل مواجهة اليوم، ولكى أحتمل مواجهته على أحسن وجه، حتى أننى لا يسعنى أن أنبذ رسالة واحدة من رسائلك تلك، (ولا رسالة واحدة من تلك الرسائل، وهذا واضح) فى يوم من الأيام.

ولست غيورا على الإطلاق، صدقيني، لكن يصعب على أن أدرك أنه (لا جدوى) من أن أكون غيورا. إننى أنجح دائما فى ألا أكون غيورا، لكن فقط فى أحيان أنجح فى فهم (عقم) الغيرة.

والآن فى النهاية لدى شئ أقوله لماكس. هو نقدك الحقيقى القصير لكتابه العظيم، إنه بالمناسبة يسأل عنك طوال الوقت، كيف حالك، وما الذى يحدث لك - كل شئ يتعلق بك يهتم به من قلبه، غير أنه لا يكاد يوجد لدى شئ أخبره به، ولحسن الحظ أن اللغة وحدها تجعل ذلك مستحيلا. لا يسعنى مجرد أن أتحدث عن أية ميلينا فى فيينا، ثم أواصل حديثى قائلا (إنها) تعنى، وتقول، وتفعل هذا وذاك. ذلك أنك فى نهاية الأمر لست (ميلينا)، كما أنك لست (هى)، إن هاتين الكلمتين هما محض هراء، وكنتيجة لذلك لا يمكننى أن أقول أى شئ.

إن هذا طبيعى للغاية حتى أننى لا أسف له. نعم، أن أتحدث عنك إلى الغراء، لاشك أن هذا ما لا يمكننى أن أفعله، وإن يكن ذلك فى الوقت نفسه يعد أحيانا متعة رائعة. فلو سمحت لنفسى أن أجعل من حديثى ذاك عنك قطعة كوميدية صغيرة، وإنها لمغرية غاية الإغراء، فإن المتعة لتكون أعظم عندئذ. لقد قابلت منذ فترة ليست بالطويلة (رودلف فوخس)^(١). إننى أحبه، غير أنه من الطبيعى ألا تكون متعة لقائه هى تلك المتعة البالغة، ولا أنا استطعت أن أضغط على يده بمثل تلك الحرارة. وعرفت فى الوقت نفسه أن النتيجة لن تكون هائلة للغاية - قلت لنفسى، حسنا حتى لو كانت النتيجة بسيطة! وتطرق الحديث فى الحال إلى فيينا، والمجتمع الذى زاره هناك، ولقد كنت مهتماً بسماعه يذكر الأسماء، ولقد بدأ يعددها؛ إننى لم أقصد أن أسمعه يعددها لا إننى لم أقصد أن أسمعه يعددها على هذا النحو، لقد رغبت فى سماع ما يتعلق بأسماء النساء» نعم، يوجد هناك -

(١) (شاعر من براغ، ومترجم يارغ الشعر التشيكى وخامسة أشعار برتسينا ويتسروك).

على سبيل المثال - ميلينا -، التى أظن أنك تعرفها، (نعم، ميلينا)، كررت ذلك وأطرقت إلى أسفل، إلى شارع فرديناند، لكى أنظر ما الذى يمكن أن تقوله (هى) لذلك الشارع، ثم تعاقبت أسماء أخرى، وانتابتنى نوبة السعال العتيدة ثانية، وأخفق الحديث، «فكيف السبيل إلى إحيائه؟» (هل يمكنك أن تخبرنى فى أى سنة من سنوات الحرب كنت أنا فى فيينا؟)، «١٩١٧»، «ألم يكن (إ.ب.)»^(١) فى فيينا؛ فى ذلك الحين؟»، «لا»، وهكذا جرى الحديث بيننا. وبعدها كان بوسعى أن أجعله يخبرنى بالقليل عنك، غير أننى لم أجد لدى القوة اللازمة لذلك.

ما الذى تفعلينه بخصوص (أقراص الدواء) هذه الأيام؟ إنك تكتبين للمرة الأولى عن نوبات الصداع من جديد.

هل يمكنك أن تقولى بضع كلمات قلائل عن خطتك بخصوص باريس؟ وإلى أين ستذهبين الآن؟ (وهل هو مكان جيد الاتصال البريدى؟) ومتى؟ ولكم من الوقت؟ ستة شهور؟.

أرجوك أن تخبرينى دائما فى الحال عن المجلات التى تظهر بها بعض كتاباتك.

كيف خططك بالفعل لتنفيذ رحلتك التى تستغرق يومين إلى براغ؟ (إننى أأسأل فقط بدافع الفضول)

شكرا لتعبير (مع ذلك) كلمة سحرية، تتجه مباشرة إلى مجرى دمانى.

(١) نذج ميلينا.

بعد ظهر الجمعة

وجدت هذه الرسالة فى المنزل، لقد عرفت الفتاة لوقت طويل، ولعلنا أن يكون أقرباء من بعيد أو أن يكون لنا نسب مشترك، ابن العم ذلك الذى نكرته، ذلك الذى كان مريضاً للغاية فى براغ حيث كانت ممرضه لمدة شهور هى وأختها، إنها غير مقبولة لى من الناحية الجسدية، فإن لها وجها مستديرا ضخما للغاية، ذا خدين محمرين وجسدا صغيرا مستديرا وحديثاً هامساً يثير السخط، لكننى قد سمعت عنها أشياء طيبة خلافاً لذلك، أعنى أن الأقارب قد قبحوا فيها من خلف ظهرها.

منذ شهرين كان ردى على مثل تلك الرسالة سيكون ببساطة هو: لا، لا، لا، بينما لا أجد لدى الحق فى هذه الأيام لأن أقول ذلك. ليس بالطبع؛ لأننى أظن أننى أستطيع أن أساعدها بحال من الأحوال، كان بسمارك قد تعامل بالفعل مع مثل هذه الرسائل ذات مرة، وأشار إلى ذلك بقوله بأن الحياة هى مأدبة أسى إعدادها؛ خلالها ينتظر المرء فاتحات الشهية بفارغ الصبر، بينما يمر به الشواء الأساسى الضخم فى صمت، وأن على المرء أن يهين نفسه تبعاً لذلك. أه، كم تبدو هذه المهارة غبية، كم هى بالغة الفباء! إننى، لأجلى شخصياً أكثر مما هو لأجلها، أجدنى بسببلى لأن أكتب إليها، وأخبرها بأننى على استعداد للقائها. ثمة شئ ما قد وضعت أنت فى يدى، يا ميلينا، وأحس بأننى لا أجرؤ على أن أبقي مطبقاً عليه؛ فى يدى تلك!

غدا يرحل العم، وسأجدينى مرة أخرى فى الهواء الطلق، سأجدينى فى الماء سأجدينى فى خارج المدينة؛ إننى لفى أشد الحاجة إلى ذلك.

لقد كتبت هي تقول عساي أن أقرأ الرسالة فحسب؛ وقد استجبت لهذا الطلب عندما أرسلت الرسالة لك، أرجوك أن تمرقها. ثمة فقرة جيدة بها، بالمناسبة «إن النساء لا يحتجن إلى الكثير».

السبب، فيما بعد

مهما قلب المرء رسالة اليوم، هذه الرسالة الطوة الصادقة المرحمة، الموفقة فإنها مع ذلك رسالة (منقذة)، ميلينا ضمن (المخلصين)؛ (فلو كنت أنا أيضا ضمنهم، ولو أتاح لها هذا إذن أن تكون معي؟ لا، لا شك أنها لن تكون معي عندئذ) ميلينا ضمن المخلصين، تلك التي تمارس التجارب طوال الوقت على نفسها، التجارب على أن المرء يمكنه أن ينقذ الآخر فقط بمجرد تواجده ولا شيء آخر سوى ذلك. ولقد أنقذتني بالفعل بوجودها وتحاول الآن بالإضافة إلى ذلك أن تفعل نفس الشيء بأدوية أخرى صغيرة لا حصر لها. لو أن شخصا أنقذ من الفرق شخصا آخر فإنه سيكون عملا عظيما بلا شك، لكن لو أنه بعد ذلك أعطى لذلك الشخص الذي تم إنقاذه على يديه اشتراكا في دروس للسباحة، فما هو الخير الذي سيتمخض عنه ذلك؟ لماذا يحاول المنقذ للآخرين أن يجعل الأمر بهذه البساطة بالنسبة لنفسه؟ لماذا لا يرغب في أن يواصل إلى الأبد إنقاذ الآخر بوجوده، بوجوده المستعد أبدا؟ لماذا يحاول أن يحوّل العبء إلى مدرب السباحة، أو إلى صاحب الفندق في (دافوس)؟ ثم إن ما هو أكثر من ذلك، هو أنني أزن ٥٥ كيلو جراما؛ فكيف يمكنني أن أطير مبتعدا عندما نكون متماسكين أحدا بالآخر باليدين؟ ولو أننا طرنا معا إلى البعيد، فما الذي سيحدث عندئذ؟ وعلى أية حال، فإن هذه

لهى الفكرة الحقيقية التى تختفى تحت الفكرة السابقة - لن أتحرك ثانية مطلقا إلى هذا الحد بعيدا عنك. وفوق هذا كله، فلقد وصلت الآن لتوى من مناجم رصاص ميران.

السبت، مساء

بعد أن تمت كتابة ما جاء أعلاه، فقد قصدت اليوم أيضا أن أكتب لك عن أشياء أخرى، لكن ليس لدى ثمة ما أقوله، لقد عدت إلى المنزل، ورأيت فى الظلام على المكتب: الرسالة غير المتوقعة، وألقيت نظرة متعجلة عليها، ودعيت فى الحال إلى العشاء، وأكلت شيئا ما كان لسوء الحظ لا يمكن له أن يختفى من الطبق إلا بالتهامه، ثم قرأت الرسالة بأكملها، متباطئا، متعجلا، مهتاجا، سعيدا، مندهشا، لا يمكن للمرء أن يصدق ذلك، غير أنها تقف هناك على حين لا يصدق المرء ذلك بعد، إلا أن المرء ليقع مغشيا عليه فوقها، وإن يكن هذا أيضا اعتقاده ما وأخيرا، يائسا، يائسا، يائسا تتسارع نبضات قلبه «لا يمكننى أن أحضر»؛ لقد عرفت هذا عند قراءة السطر الأول، وعرفته فى النهاية، لكن فيما بين هذا وذاك كنت قد وجدتني فى قيينا مرات عديدة، كما يحلم المرء فى ليلة مؤرقة ساهرة عشرة أحلام فى حوالى نصف دقيقة، ثم مضيت إلى مكتب البريد، وأرسلت لك بركة، وهدأت قليلا، والآن ها أنذا جالس هنا، أنا أجلس هنا مثقلا بعبء يرثى له، هو عبء أن أثبت لك أنني لا يمكننى أن أحضر. حسنا، أنت تقولين إننى لست ضعيفا، وإننى قد أنجح، قد أنجح بعد كل شئ فى اجتياز الأسابيع القادمة التى تحقق فى بتكشيرة، فى كل ساعة من ساعاتها، وإنها لتفعل ذلك الآن أيضا، متسائلة: «وطى هذا فأنت لن

تذهب إلى قيينا؟» أنت لن تذهب إلى قيينا؟، لقد تسلمت هذه الرسالة، ولم تذهب إلى قيينا؟» إتنى لا أفهم الموسيقى، غير أننى أفهم هذه الموسيقى لسوء الحظ، أفهمها أفضل مما يفهمها كل الموسيقيين مجتمعين.

لا يمكننى أن أحضر، لأننى لا يمكننى أن أكذب عليهم فى مكان عملى، يمكننى أن أكذب على من فى العمل لسببين فقط؛ إما بدافع الخوف (وإنها ميزة بالفعل من ميزات العمل، إنها ميزة تنتمى إلى من يعملون فى هذا المكان، فثنا هناك أكذب أكاذيب غير مجهزة سلفاً، أكاذيب من القلب، أكاذيب ملهمة)، أو... بدافع الضرورة الشديدة، مثلاً، لنفرض أن (إزا كانت مريضة) إلزا^(١)، لست أنت ياميلينا، إنك لا تسقطين مريضة، ذلك أن هذه ستكون ضرورة بالغة القسوة، ولن أتحدث عن هذا حتى مجرد الحديث) وعلى هذا فبدافع الضرورة يمكننى أن أكذب فى الحال، ثم إتنى لن أكون فى حاجة إلى إرسال تليفراف، إن الضرورة من الممكن أن يصادفها المرء فى مقر العمل. وفى هذه الحالة فإننى أرحل سواء أكان ذلك بتصريح أو بدون تصريح. لكن فى كل الأحوال، سيكون من بين الأسباب التى ستوفر لدى للكذب؛ سبب أيضاً هو السعادة، إن ضرورة السعادة لهى السبب الأساسى، حيث لا يسعنى هنا أن أكذب، لا يمكننى أن أفعل ذلك إلا بقدر ما يمكننى أن أرفع ثقلاً حديدياً يزن ٢٠ كيلو جراماً. فلو أننى ذهبت إلى المدير بتليفراف «إزا»، فإنه سوف يسقط بلا شك من يدى، ولو أنه سقط فلا شك أننى سأتجاوزها، سأتجاوز الكذبة، ويعد أن أفعل ذلك، فلا شك فى أننى سأنتقل جرياً راجعاً،

يحتمل أن يكون هذا اتفاقاً تليفرافياً «إزا مريضة» وقد تعنى «أحضر»!

تاركا المدير بون أن أسأله عن أى شئ: يجب عليك أن تتحققى يا ميلينا. إن مقر عملى ذاك ليس سوى مجرد مؤسسة غبية عتيقة (على الرغم من أنها كذلك؛ أيضا، وأن هذه الصفة تتوفر لها على نحو بالغ، غير أن هذا ليس هو الموضوع، فهى فى حقيقتها مؤسسة خيالية للغاية أكثر منها مؤسسة غبية)، لكنها كانت هى حياتى حتى الآن، ولا يمكننى أن أنتزع نفسى بعيدا عنها، ومع أن الأمر قد لا يبدو بالغ السوء على الرغم من ذلك، لكنها حتى الآن إنما هى حياتى، ولا يمكننى أن أعاملها بوضاعة، وأن أعمل أقل مما يعمل غيرى (وهو ما يحدث)، وأن ألقى العمل (وهذا ما يحدث)، وأن أنجح على الرغم من ذلك فى أن أبومهما (وهذا ما يحدث)، وأن أتعلم فى تعامللى أعلى اعتبارات التقدير التى يمكن تصورها فى مقر عملى ذاك، أن أتعلمها فى هدوء على أنها حق لى، - لكن الكذب، ومن أجل أن أسافر فجأة كرجل حر طليق، وأنا لست فى نهاية الأمر سوى مجرد موظف رسمى فحسب، أرحل إلى مكان ما، إلى حيث لا يوجد أى شئ آخر سوى (نبضات قلبى) الطبيعية التى تقودنى - حسنا، على هذا النحو؛ لا يسعنى أن أكذب. لكن ثمة شيئا أردت أن أقوله لك حتى من قبل أن أتسلم رسالتك - هو أنني بالفعل سأحاول هذا الأسبوع تجديد جواز سفرى أو أن أحصل بدلا من ذلك على تأشيرة على جواز سفرى الحالى تفيد صلاحيته، وذلك حتى يمكننى أن أحضر فى الحال، لو كان على أن أفعل ذلك.

إننى أنفحص هذا الذى كتبته، ولم أقصد فى الحقيقة أن أكتبه على هذه الصورة، ومن الواضح أنني لست «قويا» طالما أنني لم أكن قادراً على أن أعبر عن ذلك كما ينبغي (ثمة شئ بالإضافة إلى ذلك:

ربما كان من الأصعب بالنسبة لى أن أكذب فى مقر عملى على نحو أشد صعوبة مما يجده شخص ما (ومعظم الموظفين على هذه الحال) يؤمن بأنه يتعامل على نحو مجحف، ذلك أنه يعمل فوق طاقتة - فلو كان لى مثل هذا الاعتقاد، فإنه على الأغلب لن يعنى عندئذ سوى قطار سريع إلى قيينا - إن أى شخص يعتبر مكتب العمل مجرد آلة غبية دائرة - آلة عليه أن يديرها على نحو أفضل - آلة يعمل بها، نظرا لغباء الإدارة فى مكان غير مكانه الصحيح فهو تبعا لقدراته ينبغى أن يكون عجلة عليا - عليا وهكذا لكنه هنا عليه أن يدير طاحونة مياه سفلى وهكذا لكن بالنسبة لى وهذا ما كانت عليه المدرسة الابتدائية، والمدرسة الثانوية، والجامعة، والأسرة وكل شيء - بالنسبة لى فإن (مكان العمل) هو شخص حى يتطلع إلى حيث أكون بعيونه البريئة، شخص أرتبط به على نحو ما لست أعرفه، على الرغم من كونه غريبا بالنسبة لى أكثر من أولئك الناس الذين أسمعهم فى هذه اللحظة يعبرون الميدان فى سياراتهم إنه غريب بالنسبة لى إلى درجة اللامعقول، إلا أن هذه الغربة نفسها تتطلب اعتبارات ما، إننى لا أكاد أبذل أبنى مجهود لى أخفى حقيقة كونى غريبا - لكن متى تتحقق مثل تلك البراعة من هذا - وباختصار: (لا يمكننى أن أكذب) لا لست قويا، ولا أستطيع أن أكتب، لا يمكننى أن أفعل شيئا، والآن يا ميلينا، حتى أنت تستديرين مبتعدة عنى لن تبتعدى طويلا أعرف هذا لكن تذكرى أن إنسانا لا يمكنه أن يعيش طويلا بدون نبضات قلبه، فهل يمكنه أن ينبض طالما أنت بعيدة عنى؟ فلو اتصلت بى برقياً بعد هذه الرسالة؟ إن هذا لهو تعجب أعجب له فحسب، ذلك أنه ليس طلباً أطلبه فلو أنك استطعت أن تفعل

ذلك بمحض رغبتك. عندئذ فحسب قد تلاحظين أننى حتى لا أضع خطأ تحت هذه الكلمات.

لقد نسييت مناسبة ثالثة يكون الكذب فيها ممكناً لى: وذلك فى حالة مالى كنت أنت بجوارى، ذلك أنها ستكون أكثر صور الكذب براءة فى العالم، وذلك لأنه لن يكون هنالك شخص آخر سواك فى مكتب المدير.

الأحد

ما الذى ستقولينه رداً على رسالة مساء السبت، لست أعرف، ولن أعرف لوقت طويل، والآن على أية حال، فإننى جالس فى المكتب فى عملى ليوم الأحد (هى مؤسسة غريبة حيث يجلس المرء هنا أيضاً وآخرون كثيرون فى عملهم يوم الأحد، وهو عمل أقل من المعتاد، أما بالنسبة لى فالعمل كما هو بالنسبة لى دائماً). إن الجو كثيب، وأحياناً تحاول السماء أن تمطر، وأحياناً ما يضايقنى ضوء السحب فى أثناء الكتابة، حسناً، إن الجو تماماً كما هو، حزين، وثقيل، وعلى الرغم من أنك قد كتبت تقولين إن لى (تنوفا للحياة) فإننى اليوم لا أكاد أجد لها طعماً، ما الذى يحتفظون به لى - اليوم ليلة، واليوم يوم؟ أساساً لقد حصلت عليه، وإن كان القليل منها (الحياة) يبدو مع ذلك دائماً تعود مرة أخرى تلك الكلمة العزيزة) على السطح. وعلاوة على ذلك فإننى أحب نفسى إلى هذا الحد القليل. هنا أجلس أمام باب المدير، إن المدير ليس موجوداً، لكننى لن أدهش لو أنه خرج فجأة وقال لى: «إننى لست أحبك أنا أيضاً، وهذا ما أحب أن ألفت نظرك إليه»، وسأقول له «شكراً» إننى أريد أن أسمع هذا منك بفارغ

الصبر فهو يلزمنى لرحلة إلى قيينا وسوف يقول: «هكذا، الآن أنا أحبك من جديد، وأسحب ملاحظتي» وسأقول: «آه، الآن لا يمكننى أن أقوم بالرحلة»، وسوف يقول هو: «أوه - نعم، ذلك أننى مرة أخرى لا أحبك، وإلى هذا إنما ألفت نظرك» وهكذا ستظل القصة بلا نهاية...

فى الليلة الماضية فكرت للمرة الأولى منذ أن أصبحت فى براغ، حلمت بك، حلماً استمر حتى الصباح، قصيراً، وعميقاً - سوف أنال قسطاً من النوم بعد ليلة سيئة. وأتذكر القليل من ذلك الحلم، لقد كنت أنت فى براغ، وكنا نسير معاً فى شارع فرديناند فى مواجهة (فيليميك) أو نحو ذلك، فى اتجاه الميناء، وقابلنا على الجانب الآخر من الشارع بعض معارفك يسировون فى عكس اتجاهنا، واستدردنا بعد ذلك، وتحدثت أنت عنهم، وربما كان ثمة حديث أيضاً قد تناهال (كراسا)^(١)، (أنه ليس فى براغ بعد مائة سنة) وسأل عن... وبعد تحدثت أنت على نحو عادى، لكن كان ثمة عنصر رفض خفى لا يدرك فى حديثك، إننى لم أذكر ذلك، لكننى لعنت نفسى، وبذلك إنما أظننت فحسب اللعنة التى حلت بى، ثم كنا فى مقهى، لعله مقهى الاتحاد (لقد كان فى طريقنا)، وإلى ماأنتنا جلس رجل وفتاة لا أتذكرها على الإطلاق، ثم رجل يشبه دستويفسكى تمام الشبه، لكنه أصغر سناً، ذو لحية وشعر أسود فاحم، كل شئ حتى الحواجب على سبيل المثال، وكان بناء عظم الوجه فوق العينين ناتئاً للغاية، ثم كنت أنت وأنا هناك، مرة أخرى لم يكن هناك ثمة ما يشى بهيئتك الراضية، غير أن الرفض كان موجوداً. كان وجهك - لم يكن يسعنى

(١) (هاجر كراسا، للموسيقى الذى مات فى أحد معسكرات التجميع).

أن أشيخ بعينى عن الغرابة المعذبة - مدهونا بالبودرة، ولقد كانت
البودرة مبالغاً فيها للغاية على نحو أخرق، وسيئ، وربما كانت أيضاً
ساخنة، وهكذا كانت كل الأشكال التى صنعتها البودرة على وجنتيك،
إننى مازلت أرى ذلك أمامى الآن، وانحنيت المرة بعد المرة إلى الأمام
لكى أسألك لماذا وضعت هذه البودرة، وعندما لاحظت أنت أننى على
وشك أن أسألك عن ذلك، تسألت أنت رغماً عنك - لم يكن يمكن
ملاحظة الرفض كما قد قلت - «ما الذى تريده؟» لكننى لم أستطع
أن أتساءل، لم أجرو، وفى نفس الوقت، خمنت أنا على نحو ما أن
وضع البودرة ذاك كان امتحاناً لى، امتحاناً حاسماً لى - ذلك أننى
كان على أن أتساءل، أن أتساءل، ولقد قصدت أن أفعل، لكننى لم
أجرو. وعلى هذا فقد تجاوزنى الحلم الحزين وفى الوقت نفسه كان
الرجل الشبيه بدستويفسكى قد عذبنى هو أيضاً. فلقد كان فى
سلوكه نحوى شبيهاً بك، لكنه كان مختلفاً فى سلوكه ذاك إلى حد
ما. وعندما سألته عن شئ ما، كان غاية فى الرقة، والمشاركة،
وانحنى إلى الأمام، كان صريحاً، لكننى عندما لم أستطع أن أفكر
فى شئ آخر أتساءل عنه أو أقوله - وهذا ما كان يحدث لى فى كل
لحظة - انسحب باهتزازة ما، واستغرق فى قراءة كتاب، ولم يعد
يدرى بأى شئ آخر عن العالم، وليس عنى فقط، اختفى فى شعر
ذقنه وشعر رأسه. ولست أدري لماذا لم أكن أحتمل ذلك، فالمرّة بعد
المرّة لم أستطع أن أحتمل ذلك، وكان على أن أجدب انتباهه إلى
سؤال، غير أننى فقدته المرة بعد الأخرى بسبب غلطتى.

وكان لدى عزاء صغير وحيد، لا يجب أن تتكره على اليوم: ذلك
أن (تريبونا^(١)) - كانت ملقاة أمامى، ولم يكن على حتى أن أشتريها

(١) (مجلة تشيكية أسبوعية شهيرة، كانت ميلينا تكتب فيها ضمن آخرين).

بنفسى خلافا للتعليمات، فقد استعرتها من زوج أختى، لا - لقد أعارنى إياها زوج أختى. أرجوك اسمح لى بهذه المتعة. فى تلك اللحظة لم أكن مهتماً حتى بما كانت تحتويه، لكننى كنت أسمع الصوت، صوتى من خلال جحر العالم، اسمح لى بهذه المتعة، والمقالة كلها أيضاً، مقالة بالغة الجمال، لا أدرى كيف حدث ذلك، قرأتها فحسب بعينى، فكيف عرف بى ذلك فى الحال، وحمله على الفور، وهو يحترق فى داخله؟ ولقد كان مرحاً كذلك أيضاً. إننى أنتمى إلى المجموعة الثانية بالطبع: هذا الثقل فوق القدمين هو ما أملكه غالباً، وإننى لست مسروراً على الإطلاق لأن شئونى الخاصة قد نشرت، لقد قل شخص ما ذات مرة، إننى أسبح كالبحجة، غير أنها لم تكن مدحاً قولته تلك. وإن يكن لها تأثير أيضاً، إننى أشعر وكأننى مارد يمنع عنك الجمهور بعيدا بذراعيه المفروبتين - ولقد مر به وقت عصيب، فلقد أراد أن يحجب الجمهور بعيدا عنك، ولم يرد فى الوقت نفسه أن يفقد كلمة واحدة، أو لحظة واحدة من وجودك - ربما كان هذا جنونا، وغباء مطبقاً، أما ما هو أكثر من ذلك، فإنها جماهير النساء اللاتى يصحن بلا شك: «أين هى الموضة؟» ألن تظهر «الموضة؟» إن ما قد رأيناه إلى أبعد مدى للرؤية لم يكن سوى «ميلينا» فحسب! فقط، وعلى هذه (الفقط) إنما أعيش أنا، أما بقية الدنيا فإننى أخذها كما أخذ مونشهاوزن مدافع جبل طارق، وألقى بها فى خضم البحر الهائل. ماذا؟ كل ما يتبقى؟ واقتراف الكذب؟ أنت لا يمكنك أن تكذب فى مقر العمل؟ حسنا، ها أنذا أجلس هنا، إن الجو لكثيب كما كان من قبل، وغدا أن تكون ثمة رسالة، وسيكون الحلم هو آخر ما يصلنى عنك من أنباء.

مساء السبت

حسناً، أسرعى، ذلك هو ما فى الإمكان، إننا نحصل على هذه
الإمكانية كل أسبوع، فتصورى أن ذلك لم يعن لى من قبل! بالطبع،
يجب على قبل كل شئ أن أحصل على جواز السفر، وليس هذا
بالسهولة التى تتصورينها، وبدون (أوتلا)^(١) سيكون ذلك مستحيلاً
على الأغلب: سأرحل من هنا بعد ظهر السبت بالقطار السريع،
وأصل فى حوالى (غداً سأستفسر عن الوقت المحدد للوصول) الثانية
صباحاً إلى فيينا. وفى تلك الأثناء ستكونين أنت قد اشتريت تذكار
قطار الأحد السريع إلى براغ يوم الجمعة، وتتصلين بى برقية
لتخبرينى بأنك قد حصلت على هذه التذكار، وبدون هذه البرقية لن
يمكننى أن أغادر براغ، وسوف تلتقين بى على المحطة، وسيكون
أماننا أكثر من أربع ساعات نقضيها معاً، وفى الساعة السابعة من
صباح الأحد أرحل ثانية.

وعلى هذا فهذا هو ما فى إمكاننا، قليل من الحزن، لكى نحصل
فقط ساعات أربع ليلية مرهقة معاً (وأين؟ فى فندق بالقرب من محطة
فرانتس - يوزيف؟)، لكنها مع ذلك إمكانية قد يمكن تحسينها
تحسيناً كبيراً - لكن هل هذه الإمكانية موجودة بالفعل؟ - بحضورك
إلى لنتقى فى جموند، ونقضى فيها الليل. إن جموند مدينة نمساوية
- أليست كذلك؟ وعلى هذا فأنت لست فى حاجة إلى جواز سفر.
سوف أصل إلى هناك فى حوالى العاشرة مساءً، وربما أصل إليها
قبل ذلك. وأغادرها يوم الأحد بالقطار السريع (أظن أنه من الممكن
أن يجد المرء مكاناً يوم الأحد بالقطار) فى الساعة الحادية عشرة

(١) شقيقة كافكا التى لعبت دوراً مهماً فى حياته.

صباحاً. وربما لو كان ثمة قطار ركاب مريح فيما بعد، فثأغادر جموند إذن فيما بعد. وإننى لأتساءل من ناحية أخرى كيف ستصلين أنت إلى هناك، وكيف ستعوبين، أخشى أننى لا أعرف كيف سيتم لك ذلك.

حسناً، ماذا تظنين فى ذلك؟ من الغريب أن أسألك الآن، بينما أنا أتحدث إليك طوال اليوم.
عنوان (كراسا) هو - مارينباد، فندق شتيرين.

الاثنتين

حسناً، لم تكن البرقية هى الرد، لقد كان الرد هو رسالة مساء الثلاثاء، وعلى هذا فقد كان ثمة جزء لما عانيت من أرق، وثمة عزاء للحرز المحض الذى عانيت هذا الصباح، هل زوجك على علم بأمر (انبثاق الدم)؟، لا يجب على المرء أن يهول المسألة، فلعل الأمر ألا يكون أمراً ذا بال، ذلك أن الدم ينبثق لأسباب متعددة، إلا أنه دم على أية حال، ولا يمكن للمرء أن ينسى ذلك، وأنت بالطبع تعيشين حياتك البطولية المرحية باندفاع فى اتجاه انبثاق الدم ذاك، إنك تعيشين كما لو كنت تغرين الدم بالانبثاق، كأنك تقولين له، حسناً، انبثق إذن؛ لتنبثق فى نهاية الأمر؛ وعندئذ بالطبع ينبثق الدم. أما ما يمكننى أن أفعله هنا فيبدو وكأنه لا يعينك بالمرّة، وأنت لست (طفلة) بالطبع، وتعرفين ماذا تفعلين، لكنك تريدننى أن أقف فى مكانى هنا على شاطئ براغ، بينما أنت تفرقين عامدة أمام عيني فى بحر فيينا. وإذا لم يكن لديك ما تأكلينه، أفليست هذه حاجة (فى حد ذاتها)؟ أم تظنين أن هذه حاجتى أنا أكثر مما هى حاجتك؟، حسناً، إنك على

حق إذن. وأنا لن أكون قادراً لسوء الحظ على أن أرسل لك نقوداً بعد ذلك، ذلك أننى سأذهب فى الظهيرة إلى المنزل لكى أضع النقود عديمة النفع فى موقد المطبخ.

وعلى هذا فيبدو أننا قد انفصلنا تماماً يا ميلينا كل فى ناحية، ويبدو أن الشئ الوحيد الذى نتقاسمه هو الرغبة الشديدة فى أنك يجب أن تكونى هنا، وأن وجهك ينبغى أن يكون فى مكان ما أقرب ما يكون إلى وجهى. لكن الرغبة فى الموت، نحن بالطبع نتقاسمها معاً هى أيضاً، تلك الرغبة فى موت مريح، على أن هذه الرغبة لى بالفعل تلك الرغبة التى يرغب فيها الأطفال الصغار؛ مثلى فى طفولتى، على سبيل المثال، عندما كنت قد رأيت المدرس فى أثناء حصّة الرياضيات، فى مكانه هناك يقلب صفحات كراسة مذكراته ربما، بحثاً عن اسمى، وقارنت أنا افتقارى إلى المعرفة ذلك الافتقار الذى لا يتصوره عقل، بذلك المشهد الذى يمثل القوة والرعب، والحقيقة. فلقد رغبت لخوفى فى شبه حلم؛ فى أن يكون فى استطاعتى أن أنهض من مكانى كشبح، وأن أندفع كما يندفع الشبح وسط المقاعد، ثم أنطلق طائراً مبتعداً عن المدرس بخفة كتلك الخفة التى تتميز بها معلوماتى فى الرياضيات، وأنسحب على نحو ما خارجاً من الباب، وفى الخارج ألم شتات نفسى لأصبح حراً فى الهواء الحبيب، هواء العالم كله ذلك الذى لا أجهله، ذلك الهواء الذى لا يعرف أشكال التوتر تلك التى تحتويها حجرة الدراسة، نعم كم كان ذلك ليبدو «مريحاً» غير أن الأمر لم يجر على هذا النحو. فقد تودى على، وكلفت بأداء واجب ما، كان حله يحتاج منى إلى كتاب اللوغاريتمات، وكنت قد نسيت كتاب اللوغاريتمات، لكننى كذبت قائلاً إنه موجود

بداخل درجى (لأننى ظننت أن المدرس سيعيرنى كتابه)، لكنه أرسلنى إلى مكانى لكى أحضره، ولاحظت بنذير حقيقى (لم يسبق لى أن أحسست فى المدرسة مطلقاً بنذير زائف) أنه لم يكن موجوداً ونادانى المدرس قائلاً (كنت قد قابلته أمس الأول): «أنت أيها التمساح» وأردفها فى الحال بكلمة: «البائس»، وكانت تلك الكلمة بالفعل قد أراحتنى، ذلك أننى كنت قد استقبلتها فحسب كتقرير شكلى، ومناف للعدل؛ علاوة على ذلك (فمع أننى كنت قد كذبت، إلا أن أحداً، لم يكن فى وسعه أن يثبت ذلك، فهل يعد هذا مجانباً للعدل؟) لكن بالإضافة إلى ذلك كله لم يكن لى أن أكشف عن جهلى المخجل، وعلى هذا فقد كان هذا أيضاً بالإضافة إلى الموقف بأكمله (مريحاً) تماماً، وقد أوضح أن المرء يمكنه فى الظروف الملائمة أن «يختفى» فى داخل الحجرة نفسها، وأوضح أن الإمكانيات اللازمة لذلك هى إمكانيات لا محدودة، وأن للمرء أن «يموت» حتى، وهو ما يزال على قيد الحياة.

(بالقلم الأزرق عبر هذه الكتابة، وعلى الصفحة السابقة): إننى أثررت على هذا النحو فقط لأننى، على الرغم من كل شئ، أحس التحسن بقربك.

إمكانية واحدة فقط لا وجود لها، ويتضح ذلك فوق ثرثرتى كلها - وهى إمكانية أن تدخل أنت فى هذه اللحظة، وتكونين هنا، ونناقش معا بصورة شاملة مسألة شفائك؛ إن مجرد تحقق هذه الإمكانية ستكون هى أشد الأمور إلحاحاً.

كنت قد قصدت اليوم أن أخبرك بأشياء كثيرة قبل أن أقرأ

الرسائل، لكن ماذا يمكن للمرء أن يقول عندما يواجه (الدم)؟ أرجوك أن تخبريني في الحال، بما قاله الطبيب، وما نوع شخصية ذلك الطبيب.

أنت تصفين الندم الذي يتعلق بمحطة السكة الحديدية وصفاً خاطئاً، فأننا لم نتردد لدقيقة واحدة، بل كان كل شيء طبيعياً للغاية، وحزيناً، وجميلاً، وكنا وحدنا تماماً، حتى أنه قد بدا مضحكا إلى حد لا يكاد يصدق كيف نهض الناس (الناس الذين لا وجود لهم في نهاية الأمر) فجأة بأسلحتهم مطالبين بأن ترفع الحواجز عن الرصيف.

لكن في مواجهة الفندق، كان الأمر حقاً كما تقولين. كم كنت أنت جميلة هناك! ربما لم تكوني أنت على الإطلاق تلك التي كانت هناك؟ ذلك أنه ل يبدو غريباً بالفعل لو أنك كنت قد نهضت مبكرة على ذلك النحو. لكن لو لم تكوني أنت، فكيف عرفت عن ذلك الأمر كل هذا.

الاثنين فيما بعد

أوه، وعلى هذا فهذه الكمية الكبيرة من المستندات قد وصلت الآن لتوها. ثم من أجل ماذا ترانى أعمل، أعمل برأس لم تذق للنوم طعماً فوق هذا كله! لأي هدف؟ أمن أجل موقد المطبخ.

ويجئ الآن فوق هذا كله نور الشاعر، الشخص الأول، إنه هو أيضاً حفرار على الخشب، ورسام حفار، وهو لن يرحل، وهو إلى هذا الحد مفعم بالحياة حتى أنه ليلقى إلى بكل شيء، ويرانى أرتعش لنفاد صبري، كم ترتعش يداي فوق هذه الرسالة، إن رأسي ليستلقى

بالفعل على صدرى، وهو لا يرغب فى الرحيل، إن الصبى المفعم بالحياة، السعيد، التمس الذى يعد استثناء، إلا أنه الآن بالذات ليس سوى ضوضاء مريضة بالنسبة لى، و... ينبثق الدم من فمك!

ونحن نكتب كلانا بالفعل نفس الأشياء طوال الوقت، أسألك فى مرة عما إذا كنت مريضة، ثم تكتبين لى عن ذلك، وفى حين آخر أكتب لك عن رغبتى فى الموت، ثم أريد الآن أن أصرخ أمامك كطفل صغير، وأنت أيضا تريدين أن تصرخى أمامى كطفلة صغيرة، ومرة، ومرات عشر، وألف مرة، وطوال الوقت أريد أن أكون معك، وأنت تقولين نفس الشئ، كفى... كفى...

وما أزال لم تصلنى رسالة عما قاله لك الطبيب، أنت أيتها العربية البطيئة، أنت أيتها الكاتبة السيئة للرسائل، أنت أيتها المشاغبة، أنت أيتها العزيزة، أنت - حسنا، ماذا بعد؟ لا شئ، سوى أن أستلقى هادئا على صدرك.

بعد ظهر الاثنين

سوف أكون كاذبا إذا لم أكن بسيلى لأن أقول أكثر مما قلته فى رسالة الصباح هذه، خاصة لك، من يمكننى أن أتحدث إليها بحرية لا يمكننى أن أتحدث بها إلى أحد سواك، ذلك أن أحدا سواك لم يضع نفسه فى مكانى بكل ذلك التفهم، وبكل تلك الرغبة كما فعلت أنت، على الرغم من كل شئ. أفصلى تلك (على الرغم من كل شئ) الهائلة، لتمييزها عن تلك (مع ذلك) الهائلة.

إن أجمل رسالتك كلها (وذلك يعنى أن الكثير منها رسائل جميلة، ذلك أنها جميلة كلها تقريبا فى مجملها، فى كل سطر من سطورها،

إنها أكثر ما صادفنى من أشياء جميلة فى حياتى كلها) هى تلك الرسائل التى توافقتينى فيها على خوفى، وتحاولين فى الوقت نفسه أن تفسرى لى أننى لست فى حاجة إلى أن أكون خائفاً إلى هذا الحد. ذلك أننى أيضاً، حتى ولو كنت أبىء فى بعض الأحيان وكأننى مدافع مرتشٍ عن (خوفى)، ربما أوافقك على ذلك فى أعماقى، إن خوفى حقاً لهو جزء منى، وربما كان هو أفضل الأجزاء. وبما أنه أفضل أجزائى، فربما كان أيضاً هو ذلك الجزء الوحيد الذى تحبينه فى؛ وإلا فما هو الذى يستحق الحب غير ذلك ويمكن أن يوجد لدى، لكن ذلك هو ما يستحق الحب.

وعندما سألتنى أنت ذات مرة كيف أمكننى أن أعد يوم السبت ذاك «يوماً طيباً» مع ذلك الخوف الذى فى قلبى، لم يكن من الصعب على أن أفسر لك ذلك. طالما أننى أحبك (وإننى لأحبك بالفعل، أنت أيتها الحمقاء، كما يحب البحر حصاه التى فى أعماقه، تلك هى الكيفية التى بها يفرقك حبنى تماماً)، - فهل لى بدوى أن أكون الحصة بالنسبة لك، لو تسمح السماء)، إننى أحب الدنيا كلها، ويشمل ذلك كتفك الأيسر أيضاً، لا، لقد كان هو كتفك الأيمن فى البداية، وأنا أقبله لهذا عندما أحس رغبة فى ذلك (فماذا لو تبلغ بك الطيبة حداً تجعلك تكشفى عنه البلوزة)، ويشمل ذلك أيضاً كتفك الأيمن ووجهك فوقى فى الغابة، واستنادى إلى صدرك الذى يكاد يكون عارياً تماماً، وهذا هو السبب فى أنك محقة فى قولك بأننا كنا بالفعل شخصاً واحداً، وأننى لست خائفاً من كوننا شخصاً واحداً، بل إنها لسعادتى الوحيدة، وإنه لزهوى الوحيد، وإننى لا أحد ذلك مطلقاً بحدود الغابة وحدها.

غير أنه بالذات بين (يوم الدنيا) ذاك، وتلك (النصف ساعة فى الفراش)، تلك التى قلت عنها ذات مرة باحتقار إنها (أمور الرجال)، بينهما إنما تكمن بالنسبة لى هوة لا يمكننى أن أجتازها ربما لأننى لا أريد ذلك. ذلك أن ثمة ما يتعلق بالليل فوق هذه الهوة، بالشمول، وبكل المعانى التى تتعلق بالليل: فيها هو العالم هنا وإننى لأمتلكه، ومن المقدر لى أن أقفز عبره إلى الليل لكى أمتلكه مرة أخرى فهل يمكن لامرؤ أن يملك أى شئ مرتين؟ أليس معنى هذا أن يفقده؟ ها هو العالم الذى أمتلكه هنا، وقد يتهى لى أن أقفز عبره سعياً إلى سحر شيطانى أسود، إلى الشعوذة، إلى حجر الفلاسفة، إلى السيمياء (الكيمياء الخرافية)، إلى خاتم الأمانى، سحقاً لها جميعاً؛ إننى أخافها أشد الخوف.

وأن يحاول المرء، ويتلبسه السحر الأسود ذات ليلة، بسرعة، وبأنفاس ثقيلة، وبلا حيلة، وفى ذهول: أن يحاول الحصول بواسطة السحر الأسود على ما يقدمه كل نهار للعيون المفتوحة؛ «ربما» لم يكن للأطفال أن يولدوا بطريقة أخرى، «وربما» كان الأطفال سحر أسود هم أيضاً. دعينا ندع جانباً هذه المسائل الآن. هذا هو السبب فى أننى أشعر بالامتنان إلى هذا الحد (لك ولكل شئ)، وطبيعى لهذا أننى أشعر (إلى جوارك) بالهوى البالغ، وأشعر بالقلق البالغ، أشعر بغاية الاستقرار، وبكل الحرية، وهذا هو السبب أيضاً فى أننى بعد هذا التحقق قد نبذت كل أشكال الحياة الأخرى، فلتتطلى إذن فى عيني!

إذن فقد كان يتبغى على السيدة ك. أن تخبرنى بأن الكتب قد انتقلت من المنضدة الجانبية إلى المكتب. لا شك فى أنه كان من

الواجب استشارتي أولاً عما إذا كنت أوافق على هذا التغيير. ولقد كنت سأقول: لا !.

وليكن لى امتنانك الآن، ذلك أنني قد كتبت بنجاح رغبتى فى أن أضيف شيئاً أحمق إلى هذه السطور الأخيرة (شيئاً غيوراً بحماقة). لكن يكفى هذا وأخبرينى الآن عن إميلي.

هساء الاثنين

إن الوقت يعد متأخراً الآن بالفعل، بعد يوم كان إلى حد ما كئيها على الرغم من كل شئ، وقد لا تصلنى رسالة منك غداً، ولقد تسلمت رسالة السبت، ورسالة كتبت يوم الأحد يمكن أن تصل فقط بعد الغد، وعلى هذا سيكون اليوم خالياً من التأثير المباشر لرسالة من رسائلك: كم هو غريب أن تذهلنى رسائلك ياميلينا. لقد أحسست لمدة أسبوع أو أكثر أن شيئاً قد حدث لك، شيئاً مفاجئاً، أو على مراحل، شيئاً أساسياً، أو عرضياً، شيئاً واضحاً، أو مجرد نصف واع، المهم أن شيئاً ما هنالك، وهذا ما أثق فى وجوده. لا يمكننى إلى حد بعيد أن أكتشف ذلك الشئ من التفاصيل التى تملأ الرسائل، على الرغم من أن هناك مثل هذه التفاصيل أيضاً، أما عن حقيقة أن رسائلك تملئ بالذكريات (وإنها لتملئ بكل الذكريات الخاصة)، ومن حقيقة أنه على الرغم من أنك تجيبين على كل شئ كالعادة، لكنك لا تجيبين تماماً على كل شئ، وإنك لحزينة بلا سبب، وتحاولين أن ترسلينى إلى (دافوس)، وأنتك فجأة بهذه الصورة تريدين هذه المقابلة (لقد تقبلت فى الحال نصيحتى لك بالآ تحضرى إلى هنا، ولقد صرحت بأن شيئاً لا تصلح للقاء، ولقد كتبت لى بأننا لا ينبغي لنا أن نلتقى قبل رحلتك،

وهذا التسرع الآن في رسالتين أو ثلاث رسائل)، ينبغي لى أن أكون فى غاية السعادة لهذا التسرع، لكننى لا أستطيع أن أكون كذلك، ذلك أنه فى مكان ما من رسائلك يوجد خوف غامض، لست أدرى ما إذ كان ذلك الخوف خوفاً على أو خوفاً منى.

وهناك خوف أيضاً فى هذه المفاجأة، وذلك التسرع اللذين بهما تريدان هذا اللقاء، وأنا على أية حال فى غاية السرور لأننى قد وجدت إمكانية ما، وأنه من المؤكد أنها إمكانية. ألن يكون فى مقدورك أن تقضى ليلة خارج قيينا، من الممكن أيضاً أن يتم ذلك لو أننا ضحينا معاً ببضع ساعات. تأخذين قطار يوم الأحد السريع إلى جموند فى حوالى الساعة السابعة صباحاً (كما فعلت أنا فى ذلك الوقت)، وتصلين إلى هناك فى الساعة العاشرة صباحاً، وسوف أقابلك ولما كنت سأرحل فقط فى الرابعة والنصف مساءً، فيكون أمامنا ماتزال ست ساعات نقضيها معاً. ثم تأخذين بعد ذلك قطار الليل السريع عائدة إلى قيينا، فتبلغينها فى الحادية عشرة والنصف، رحلة قصيرة ليوم الأحد.

واليك السبب فى أننى لا أشعر بالراحة، أو أننى بالأحرى لا أشعر بانعدام الراحة، فكم هى هائلة طاقتك. وبدلاً من كونى أشعر بالمزيد من بانعدام الراحة الذى يتجاوز راحتى القلقة، سببه أنك، فى صمت، تلزمين الصمت، فيما يتعلق بأمر ما، أو أن عليك أن تبقى صامتة، أو أنك تبقيين صامتة سهواً، وعلى هذا بدلاً من أن أصبح أكثر قلقاً لهذا السبب، فإننى أبقي هادئاً، فكم هى هائلة ثقتى فىك على الرغم من حالاتك التى تتبدلين عليها. فلو ظللت صامتة بخصوص أمر ما، فإن هذا الصمت أيضاً سيكون صواباً، فيما

أعتقد. لكننى بعد، لسبب آخر، سبب حقيقى، وغير عادى، أبقى هادئاً تجاه هذا كله. إن لك طوراً غريباً (وأظن أنه يكمن عميقاً فى طبعك، وإنه «لخطأ الآخرين» إن لم يحدث طورك الغريب هذا فعله فى كل مكان) طوراً غريباً لك لم أعثر بعد على مثيل له لدى أى شخص آخر، وإنه لهو حقاً هذا الطور الغريب، الذى رغم أننى قد عثرت عليه هنا، إلا أننى لا يمكننى فى الحقيقة أن أتصوره. إنها لغرابة طورك التى تتمثل فى كونك غير قادرة على أن تتسببى فى أن يعانى أحد، ولا يكمن دافع الشفقة وراء عدم قدرتك على التسبب فى دفع الناس إلى المعاناة، لكن السبب هو أنك غير قادرة على أن تفعل ذلك، لا، إن ذلك شئ خيالى؛ ولقد أنفقت فترة ما بعد الظهيرة كلها وأنا أفكر على الأغلب فى ذلك، لكننى الآن لا أجرو على أن أكون أفكارى. ولعل الأمر كله لا يزيد فى كثير أو قليل عن أن يكون مجرد علة واضحة الإخفاق تتضمن رغبتى فى أن أضحك إلى أحضانى.

والآن إلى الفراش وإننى لأعجب ماذا تراك تفعلين الآن فى الساعة الحادية عشرة، مساءً ؟

الثلاثاء

وهكذا عليك بالقليل من المعرفة البشرية، ياميلينا. لقد قلت هذا دائماً، لتكن إلزا مريضة، ربما أمكن هذا، وربما تمكن المرء لهذا السبب من أن يحضر إلى فيينا - لكن العمة كلارا مريضة (للغاية)؟ هل تتصورين أننى يسعنى بصرف النظر عن كل اعتبار آخر، أن أذهب إلى المدير لأخبره - دون أن ينتابنى الضحك، عن العمة كلارا (طبعاً، وإنك لتظهرين فى هذا شيئاً من المعرفة بالطبيعة البشرية،

طبعاً فيما يتعلق بأمر اليهود فإن لكل منهم عمة كلارا، لكنى عمتى أنا كلارا قد ماتت، منذ وقت طويل)، وعلى هذا فإن هذه الفكرة مستحيلة تماماً. ولا تحتاجها لحسن الحظ بعد الآن، فدعيها تموت، فهي ليست وحدها فى نهاية الأمر، ذلك أن أوسكار معها، ومن هو أوسكار، من ناحية أخرى؟، إن العمة كلارا هى العمة كلارا، لكن من هو أوسكار؟ على أية حال، إنه معها، فدعينا نأمل فى ألا يسقط مريضاً هو أيضاً، ذلك المنقب فى أحراش التراث!^(١)

رسالة بعد هذا كله، وبإلها من رسالة! إن ما قلته لك فى البداية ليس صحيحاً بالنسبة لرسائل المساء، لكن هذا الاضطراب (كما قلت: الهدوء)، ما إن يوجد ذات مرة، فإنه لا يمكن إقصاؤه، ولا حتى بهذه الرسائل.

كم هو طيب أننا سيري أحدها الآخر! ولعلنى أن أبرق إليك غداً أو بعد غد، (لقد ذهبت أوتلا لإعداد جواز السفر)، بما إذا كان فى وسعى أن أحضر إلى جموند هذا السبت (الوقت متأخر بالفعل للغاية بالنسبة لقيتنا هذا الأسبوع، ذلك أنه كان ينبغى أن يكون قد تم حجز تذكرة السفر بقطار السبت السريع)، ردى على برقية، إذا كان يسعك أن تحضرى أنت أيضاً) أرجوك أن تذهبي إلى مكتب البريد فى المساء أيضاً، حتى يمكنك أن تحصلى على البرقية فى الحال. إنها ستكون كما يلى: «إننى سأرسل برقية أقول فيها «مستحيل» ومعنى هذا أننى لا يمكننى أن أحضر هذا الأسبوع، فى تلك الحالة لن أتوقع منك رداً بالبرق، وسوف نناقش البقية عن طريق الرسائل (بالنسبة للأسابيع الأربعة المقبلة سوف يعتمد اللقاء بالطبع على

(١) كانت ميليتا قد اقترحت فيما يبدو أنها ستبرق قائلة: العمة كلارا مريضة للغاية، فاحضر فى الحال يا أوسكار.

المكان الذى ستذهبن إليه فى الريف، فربما رحلت بعيدا عن المكان الذى سأذهب إليه - حسنا، عندئذ لن يتمكن أحدنا من رؤية الآخر لمدة شهر). أو أننى سأرسل برقية بدلاً من ذلك قائلا: «هل يمكن أن يكون السبت فى جموند»، على هذا سأتوقع رداً إما بـ «مستحيل»، أو بـ «سيكون السبت فى جموند» أو «سيكون الأحد فى جموند»، فى الحالتين ستكون المشكلة قد تم حلها، وسوف لا تتطلب أية برقيات علاوة على ذلك، وسوف نرحل كلانا متجهين نحو جموند، ونرى أحدنا الآخر هذا السبت أو الأحد. إن هذا كله يبدو فى غاية البساطة.

لا، بل لكى أؤكد لك أن برقيتك قد وصلتني، فسوف أنوه بها، ساعتان على الأغلب قد ضاعتا، وكان على أن أضع الرسالة جانبا، لقد كان (أوتو - بيك) هنا،^(١) إننى مرهق، متى سبرى أحدنا الآخر؟ لماذا انقضت ساعة ونصف ولم يسمع المرء اسمك يتردد سوى ثلاث مرات فقط؟ أين أنت؟ على الطريق إلى القرية، أين يوجد الكوخ؟ إننى أيضا فى طريقى إلى هناك، إنها لرحلة طويلة. لكن أرجوك ألا ترهقنى نفسك بهذا الشأن، ومهما حدث فإننا فى طريقنا، ولا يمكن للمرء أن يفعل سوى أن يبدأ فى الرحيل.

الثلاثاء

أين هو الطبيب؟ إننى أفتش فى الرسالة دون أن أقرأها لمجرد أن أعثر على اسم الطبيب فيها، أين هو؟ إننى لست نائما، لست أقصد أن أقول إن هذا هو السبب فى أننى لست نائما، الناس العاديون الذين لا يحسون الموسيقى لا تسلبهم الهموم الحقّة نومهم كما

(١) شاعر من براغ، ومحرر جريدة براغ، وصديق قديم من أصدقاء كافكا.

تسلبهم إياها أمور أخرى، ومع ذلك فإننى لم أتم، هل الرحلة إلى
ثيينا قد مضى عليها الآن وقت طويل؟ وهل أنا أوفى حظى تقديرا
زائدا عن حقه؟ وهل اللين والزيد والسلطة سيئة وهل أحتاج حقا إلى
غذاء هو مجرد وجودك؟ ربما لا يكون السبب شيئا من هذا كله ولكن
الأيام ليست مبهجة، وعلاوة على ذلك، فلم يتح لى حسن الطالع لمدة
ثلاثة أيام حتى الآن أن أنعم بخلو الشقة، إننى أعيش فى المنزل (إن
هذا هو أيضا السبب فى أننى تسلمت البرقية فى الحال). ربما لم
يكن خلو الشقة هو الذى يوفر لى هذه الراحة، أو لعله على الأقل ألا
يكون هو أول الأسباب، بل لعل امتلاك شقتين إحداهما للنهار،
والأخرى أكثر بعدا عنها أخصصها للأمسيات والليل، هل تدركين
هذا؟ إننى لا أفهمه أنا نفسى، إلا أنه لكذلك.

نعم الدولار، ربما سيكون هو الموضوع الوحيد لقتالنا الأول،
وقتالنا الأخير، فسوف أقول «دعينا نلقيه خارجا» وسوف تقولين:
«يجب أن يبقى فى مكانه»، وسوف أقول «عليك أن تختارى أحدهما
أنا أو الدولار»؛ وستقولين فى الحال «فرانك وشرانك^(١)؛ ذلك أن
اللفظتين تحققان إيقاعا ما. إننى أختار الدولار»، وسأقول: «حسنا»،
وفى تثقل، أهبط الدرج (أى درج؟) وإذا لم أكن قد وجدت قناة
الدانوب، فسوف أبقي اليوم على قيد الحياة.

وإننى فى الحقيقة، لأقف كلية فى صف الدولار، فقط لا ينبغي لك
أن ترتدى ذلك الثوب، ذلك أنك سوف ترتدينه حتى يستحيل مزقا،
وما الذى سيبقى لى عندئذ؟

غريب، ذلك القبر، لقد بحثت بالفعل عنه فى ذلك المكان، لكننى

(١) (لفظة دولار بالألمانية).

فعلت ذلك فى وجل. ويدلا من ذلك وجبتى فى ثقة هائلة أقترّب أكثر فأكثر، وأخيراً برت دورات واسعة حوله، لأجندى فى نهاية الأمر قد قصدت مقصورة مختلفة كلية، ظننتها هى القبر المقصود.

إذن فسترحلين، وأنت لم تحصلى بعد على جواز سفرك أيضاً، (وبهذا يكون التأكيد لى بئك ستأتين فى حالة الضرورة فوراً) فهل مازلت تتوقعين منى الآن أن أنام؟ والطبيب؟ أين هو؟ ألم يعد له هنالك وجود بعد؟

لم توجد أية طوابع خاصة (بمجلس النواب)، لقد ظننت أنا أيضاً أنها لا بد أن توجد، وقد وصلتنى اليوم لخبية أملى البالغة طوابع (مجلس النواب)، إنها طوابع بريد عادية فوقها علامة (المجلس) البريدية، وهى حتى بحالتها هذه وبسبب هذه العلامة البريدية وحدها، كان من المفروض أن تكون ذات قيمة ما، إلا أن هذا ما قد لا يدركه الصبى. وسوف أضمن كل رسالة طابعا واحداً فى كل مرة، أولاً نظراً لقيمة هذه الطوابع، وثانياً، لكى يصلنى سطر يعرب لى عن الشكر كل يوم.

ترين أنك فى حاجة إلى رأس، لماذا لم نستفد أكثر من وقتنا فى قيينا؟ لماذا، لماذا لم نقض وقتنا كله فى (فندق المحطة)، لقد كان وقتنا رائعاً هناك، وكنا جد قريبين أحدهما من الآخر؟ وأمل ألا تكونى قد قرأت فكاهاتى السخيفة للدولاب بصوت مرتفع؟ فأتنا أحب فى نهاية الأمر كل شئ فى غرفتك، أحبه إلى درجة الشرود.

والطبيب ؟

وهكذا فأتت غالباً ما ترين جامع الطوابع البريدية؟ ليس هذا تساؤلاً خبيثاً، على الرغم من أنه يبدو كذلك فعندما لا ينام المرء نوماً طبيعياً، فإن المرء ليتساعل الأسئلة دون أن يدري عن ذلك شيئاً ويود المرء لو يظل يتساعل إلى الأبد، إن انعدام النوم لا يعنى شيئاً سوى التساعل: فلو أن المرء حصل على إجابة لنام.

وهذا التصريح بانعدام المسئولية الأخلاقية هو حقاً غاية فى السوء، أهل أن تكونى قد حصلت على جواز السفر؟

الثلاثاء

رسالة أحد أيام الجمعة: إذا لم يكن ثمة شئ قد تمت كتابته فى يوم الخميس، فليكن إذن، طالما أن شيئاً لم يفقد.

إن ما كتبتة عنى أراه غاية فى المهارة ، ولست أريد أن أضيف شيئاً، فليبق ما كتبتة، كما هو تماماً دون أن يمس، شئ واحد فقط، يتضمنه هو أيضاً ما قد كتبتة، وهو ما أود أن أقرره بمزيد من الوضوح إلى حد ما: ذلك أن سوء حظى هو أننى أعتبر كل البشر، وفوق الكل بالطبع هؤلاء الذين يبيون لى أكثرهم سمواً - أعتبرهم جميعاً طيبين، بعقلى وبقلبى أراهم جميعاً طيبين (وقد دخل الآن للتو رجل، كان مذعوراً، ذلك أننى شكلت فى الفراغ وجهها يعكس هذا الرأى، جسدى فقط لا يمكنه إلى حد ما أن يقتنع بأنهم حقاً يمكنهم عند الضرورة أن يكونوا طيبين. إن جسدى خائف، ولا يمكنه أن ينتظر (بهذا المعنى) نتيجة اختبار انعتاق العالم الحق ويفضل أن يزحف فى بطنه على الحائط.

إننى بسببلى مرة أخرى، فى ليلة أخيرة، إلى تمزيق الرسائل.
إنك غاية فى التعاسة من أجلي. ولعل ثمة أشياء أخرى تسهم فى
ذلك، ذلك أن كل الأشياء تؤثر فى بعضها البعض، فلتقولها إذن
بصراحة المرة بعد المرة، لأن ذلك لا يمكن أن يتم بالطبع دفعة واحدة.

ذهبت بالأمس لزيارة الطبيب، وعلى عكس توقعاتى لم يبين لى،
لا هو ولا الموازين التى يستخدمها إن كنت قد تحسنت! كما لم يبينوا
لى من ناحية أخرى أننى قد ازدت سوءاً أيضاً، لكنه يظن أننى
يجب أن أرحل، وعند ذكر جنوب سويسرا، التى أدرك فى الحال بعد
توضيحي أنها مستحيلة، أوصى للتو، بون أى تأثير من جانبي
بمصحاتين فى جنوب النمسا باعتبارهما أفضل المصحات، مصحة
(جريمينشتاين) (دكتور فرانكفورت)، ومصحة (فاينر فالد) (غابة
شينا)، مع أنه لم يكن يعرف وقتها العناوين البريدية لا لهذه ولا لتلك،
فهل يمكنك إذا وجدت الفرصة أن تستعلمى عنهما من إحدى
الصيدليات، أو أحد الأطباء، أو عن طريق دليل تلفرافى؟ لا داعى
للعجلة. كما أن هذا لا يعنى أننى سأذهب إلى أى منهما. إن هذه
المصحات هى مصحات صدرية بصفة خاصة، مساكن تسعل
بكاملها، وترتعد، وتتفصض بالحمى نهائياً وإيلاً، حيث يتناول فيها المرء
اللحم، وحيث يخلع الجلانون السابقون أذرع المرء إذا عن المرء أن
يقاوم الحزن، وحيث تجبن الأطباء اليهود الذين يريثون على لحاهم،
قساة على اليهودى قسوتهم على المسيحى، فتدبرى هذا.

فى أحد رسائلك الأخيرة، كتبت شيئاً (لست أجرو على أن أخرج

هذه الرسائل، ولعلنى بينما أجيل فيها البصر قد أسأت فهم أمر من الأمور، وهذا هو أكثر ما يبدو لى قريباً من الصحة)، كتبت أنت فى أحد رسائلك الأخيرة تلك شيئاً يفيد بأن موقفك هناك يقترب من نهايته الختامية. كم كان فى الكثير منها ما يبدو (أحزاناً تذكارية)، وكم كان فيها من الصدق الذى لا يتزعزع؟

مرة أخرى قرأت خلال رسالتك لأنسحب (منزعجاً)، وعند إعادة التفكير يتضح لى افتقاد بعض الأشياء، وتهويل للبعض الآخر، وعلى هذا فهى ماهرة تماماً. إنه لغاية فى الصعوبة حقاً للبشر أن يلعبوا لعبة (الاستخفاء) مع الأشباح.

هل رأيت (بلاى)^(١)، ما الذى يفعله؟ كان الأمر سخيلاً كله، فهذا ما يمكننى أن أصدقه تمام التصديق وأن المرء قد يبقى حائراً بين النقيضين بخصوص ذلك هو ما أعتقدك كذلك. وإن لم يكن ثمة شئ فى أنه كان هناك ما هو جميل فى الأمر، فيما عدا أنها كانت تبعد مسافة خمسين ألف ميل، وأنها ترفض الاقتراب، وأن أجراس سالسبورج لو أنها كلها بدأت تدق فإنها سوف تتراجع متباعدة، بدافع الحذر، بضعمة آلاف أخرى من الأميال.

هل تعرفين قصة هرب كازانوفا من زمرة (الرواد)؟ نعم، أنت تعرفينها، إن أكثر معانى السجن رعباً تجدينها موصوفة هنالك باختصار، ففي أعماق القبور فى الظلام وفى الرطوبة، وعلى نفس مستوى المستنقعات، يخر المرء على ركبتيه على أرضية ضيقة مخنوقة، يحاصرها الماء غالباً، وفى أوقات المد العالى، وأوقات الجزر (١) (الكاتب فرانكس بلاى).

يصلها الماء بالفعل، على أن أسوأ ما فى الأمر لهو فئران المياه الوحشية، وصرخاتها فى أثناء الليل ، ونشطاتها، وقرصاتها (أعتقد أن على المرء أن يصارعها انتزاعا لطعامه)، وفوق هذا كله انتظارها فارغ الصبر أن يسقط الرجل الواهن القوى من فوق أرضيتها الضيقة، هذا كما تعلمين هو ما تشبیهه تلك القصص التى تضمنتها هذه الرسالة. الإرعاب، وما لا يمكن إدراكه، وفوق ذلك كله تجدينها أقرب ما تكون وأبعد ما تكون فى وقت معا، كما يجد المرء ماضيه!

وهذا ينحنى المرء إلى حد لا يعود بعده ظهر المرء جميلا، وتتقلص قدما المرء فى تشنج، ويرتعد المرء، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا، سوى أن يرقب الفئران السوداء الضخمة بينما هى تحديق النظر إليه وسط ظلام الليل. وفى النهاية لا يعود المرء يعرف إن كان ما يزال جالسا هناك أعلاهم على أرضيته، أو أنه وسطهم بالفعل فى أسفل ، بينما تفح تلك الفئران بخراطيمها، المفخورة، وأسنانها المشرقة، هيا هيا، لاتعودى إلى ذكر أمثال تلك القصص، فما فائدتها؟ سوف أتركك مع مثل تلك الحيوانات الصغيرة لكن فقط على شرط أن تطارديها إلى خارج المنزل.

ولم يعد ثمة ذكر للطبيب على الإطلاق؟ وأنت قد وعدت وعدا حارا بأنك ستذهبين لزيارته على أنك تحفظين وعدك على الدوام فهل لمجرد أنك لم تعدى تلاحظين بعد أثر الدم، كان هذا هو السبب فى عدم ذهابك إليه؟ إننى لا أريد أن أتخذ من نفسى نموذجا تحتذينه، إنك أكثر منى صحة بما لا يقاس، وسوف أبقى أنا إلى الأبد السيد الذى يدع حقيقته تحمل عنه. وهو ما لا يشكل على الرغم من ذلك تغييرا فى المرتبة، ذلك أنه يجىء قبل كل شىء السيد الذى يدعو الحمال ثم يأتى الحمال، وبعد ذلك فحسب يأتى السيد الذى يسأل الحمال أن

يحمل حقيبتيه، وإلا فإنه سينهار إن لم يحملها عنه، حتى أنه حدث أخيراً - أخيراً بينما كنت أسير عائداً إلى المنزل من المحطة أن الحمال وهو يحمل حقيبتى قد شرع من تلقاء نفسه بون أن أشير إلى أى شئ يدعوه إلى ذلك شرع يعزىنى من تلقاء نفسه قائلاً، إنه متأكد من أننى أعرف كيف أقوم بأداء الأعمال التى لا يمكنه هو أن ينجزها، وأن حمل الحقائب كانت مهنته التى لم يكن قد قصد إلى أن يمتنها إلخ ... وكانت هناك فى حقيقة الأمر ثمة أفكار تمر بخاطرى كان حديثه ذاك جواباً - لا يكفي بالمرّة - للرد عليها؛ إلا أننى لم أكن قد عبرت عنها فى وضوح - وعلى هذا فإتنى لن أقارن نفسى بك فى هذا المقام، إلا أننى لا يسعنى أن أكف عن التفكير فيما حدث لى، وأن هذه الأفكار مرهقة، وعليك أن تذهبى إلى الطبيب. لقد كان ذلك منذ ثلاث سنوات مضت. ولم أكن قد أصبحت مصاباً بالسل بعد. ولم يكن ليدهقنى شئ، وكان يمكننى أن أواصل السير إلى الأبد، ففى تلك الأيام لم يكن السير ينتهى بى إلى حدود طاقتى (وكان التفكير يشغلنى من ناحية أخرى طوال الوقت)، عندما بصقت فجأة فى شهر أغسطس، وكان الجو حاراً، جميلاً، وكل شئ خارج رأسى كان غاية فى النظام، وبينما كنت فى حمام السباحة الأهلئ، بصقت شيئاً أحمر اللون. كان هذا شيئاً غريباً، ومثيراً، ألم يكن كذلك؟ ونظرت إليها لفترة؛ ثم نسيتها بسرعة. ثم حدثت مراراً بعد ذلك، وكان فى استملاعتى كلما أردت أن أبصق؛ أن أبصق شيئاً أحمر اللون، وكان ذلك يتوقف على رغبتى. ثم لم يعد ذلك الأمر مثيراً للاهتمام، بل لقد أصبح باعثاً على الضيق، ثم نسيته مرة أخرى، فلو أننى كنت فى ذلك الوقت قد ذهبت فى الحال إلى الطبيب، حسناً

ربما كان كل شيء قد أصبح على ما يرام كما قد كان الحال بدون الطبيب فيما لو أن أحداً فى ذلك الوقت لم يكن قد علم بأمر الدم؛ ولا حتى أنا نفسى كنت قد علمت بأمره فى الحقيقة، ولم ينزعج أحد، لكن ثمة شخصاً ما قد رُوِّعَ الآن، ولهذا أرجوك أن تذهبى إلى الطبيب.

غريب من زوجك أن يقول إنه سيكتب لى هذا وذاك، وماذا عن ضربى، وعن خنقى؟ إننى لست أفهم هذا، حقاً. إننى أصدقك بالطبع تمام التصديق، لكنه من المستحيل بالنسبة لى استحالة بالغة أن أتصور ذلك، حتى أننى كنتيجة لذلك لا يمكننى أن أشعر بشئ يتعلق بالامر، كما لو لم يكن الامر سوى قصة غريبة للغاية، وبعيدة. كما لو أنك كنت هنا وقلت «والآن، فى هذه اللحظة؛ إنما أنا فى فيينا، وأن هناك صرخات - وهكذا»، وأننا قد تطلعنا معا من النافذة فى اتجاه فيينا وبالطبع لم يكن لىوجد هناك أدنى سبب يدعو إلى الهياج. ثمة هناك شئ آخر: عندما أتحدث عن المستقبل، ألم يحدث لك أحياناً أن نسيت أننى يهودى؟ «فى وضوح، وبغير تعقيد». إن اليهودية لتظل خطرة، حتى وهى تحت قدميك.

الأربعاء

إننى سوف أتجاوز ما كتبته عن رحلتى بقولك: «إنك لتنتظر حتى تصبح ضرورية بالنسبة لك»، سوف أتجاوزه أولاً: لأنه أمر قد انقضى وقته، وثانياً لأنه أمر مؤلم، على الرغم من أن له فى الحقيقة بعض ما يبرره وإلا فلماذا إذن كانت رسائل مساء السبت وصباح الأحد يائستين إلى هذا الحد؟ وثالثاً: لأننا ربما يرى أحدهما الآخر

يوم السبت، (لا يبدو عليك أنك قد تسلمت أولى البرقيات الثلاث فى صباح الاثنين، وأمل أن تكونى قد تسلمت البرقية الثالثة فى حينها).
إننى أفهم اليأس الذى تعانينه بخصوص رسالة والدك بقدر ما يتاح لأية تأكيدات جديدة أن تحيى فى نفسك اليأس بشأن صلة الدم المباشرة هذه، اليأس إلى هذا الحد بالغ الإرهاق والذى استمر بالفعل لهذا المدى الطويل.

أنت لا يسعك حقا أن تقرأى فى هذه الرسالة حقائق جديدة، ولست أستطيع أنا نفسى، وأنا لم يحدث لى قط أن قرأت رسالة من والدك، أن أقرأ أى شىء جديد فيها. إنها تنحصر عن القلب، وإنها مستبدة، وأعتقد أنه لابد لها أن تكون مستبدة، وذلك لكى تفعم القلب ليس للتوقيع حقا سوى قليل أهمية؛ إنه لينوب عن الطاغية فحسب، وفوق التوقيع ، بالإضافة إلى ذلك تقوم لفظة (أسف) ولفظتا (حزين للغاية) وإنها لتمحو كل شىء.

وربما يكون قد أصابك الخوف من ناحية أخرى بسبب التفاوت بين هذه الرسالة وبين رسالتك، حسنا أنا لم أر رسالتك، لكننى أرجوك أن تلاحظى التفاوت بين تأهبه (الطبيعى) وبين عنادك (غير المفهوم).

والآن تساورك الشكوك بخصوص الرد؟ أو أن الشكوك بالأحرى لتنتابك بالفعل، ذلك أنك قد كتبت بأنك تعلمين الآن ما الذى ينبغي عليك أن تجيبى به على تلك الرسالة. إن هذا لغريب. فلو كنت قد أجبت عليها بالفعل، وكان عليك أن تسألينى: «ما الذى تظننى قد كتبتة رداً عليها؟»، لكنت أقول بلا تردد إننى أرى ما قد أجبت أنت به. ليس ثمة شك بالطبع فى أنه ليس ثمة أى اختلاف من وجهة نظر

والدك بين زوجك وبينى، ذلك أننا كلانا لنا فيما يرى الأوربيون نفس الوجه الزوجى؛ لكن بصرف النظر عن هذه الحقيقة التى ليس ثمة ما يمكن أن يقال بشأنها الآن على نحو محدد؛ لماذا كان لهذا أن يكون جزءاً من إجابتك (ردك على والدك)، ولماذا يكون من الضرورى أن تكذبنى؟

أعتقد أنه كان يمكنك أن تجيبى فقط بما يمكن للشخص - الذى يرقب حياتك باهتمام زائد، ويقلب نابض، ويكاد يلغى فى سبيل ذلك كل اهتمام له بأي شئ آخر - أن يقوله لوالدك، لو كان له أن يتحدث عنك بنفس المزاج؛ ذلك أن «كل الاقتراحات»، وكل «الشروط المحددة» ليس لها ثمة معنى، لأن ميلينا إنما تحيا حياتها، ولا يمكنها أن تحيا حياة أخرى غير حياتها هذه. فعلى الرغم من أن حياة ميلينا، إنما هى حياة حزينة، إلا أنها مع ذلك «حياة صحية وهادئة كالحياة فى مصحة؛ وأن كل ما ترجوه منك ميلينا هو أن تتقبل هذا، وإلا فإنها لا تسألك شيئاً - وإنها لا تنتظر منك قط (تدبيراً ما). إن الشئ الوحيد الذى تسألك إياه، هو ألا تنفلق على نفسك عنها عمداً، بل تسألك أن تتبع قلبك، وأن تتحدث إليها حديث إنسان إلى إنسان؛ حديث الند للند. لتفعل هذا مرة، وسوف تخلص ميلينا من الكثير من (الحزن) الذى يشيع فى حياتها، ولن يكون عليك بعد أن تكون (أسفاً) من أجلها».

ما الذى تعنيه بقولك إن توقيت ردك على والدك يصادف يوم عيد ميلادك؟ إننى بدأت أخاف حقاً من عيد الميلاد، وأرجوك سواء رأينا أحدنا الآخر يوم السبت أم لا؛ أن تتصلى بى بالبرق على أية حال

فى مساء العاشر من أغسطس.

لو أنك أمكنك فقط أن ترتبى الأمر بحيث يمكن لك أن تتواجدى
فى جموند يوم السبت أو يوم الأحد على الأقل!
إن ذلك لهو حقاً أمر ضرورى للغاية.

فى هذه الحالة ستكون رسالتى هذه هى بالفعل الرسالة الأخيرة
التي تتسلمينها قبل أن يرى أحدنا الآخر وجهاً لوجه، وستراك عينائى.
اللذان لا يشغلهم شئ لمدة شهر. (حسناً! نعم ستشغلهم قراءة
الرسائل، والتطلع من خلال النافذة).

إن المقال ليفضل كثيراً أصله فى الألمانية، على الرغم من أنه
لاتزال به بعض الفجوات، وإلا فإن المرء ليتقدم فى قراءته كما لو كان
يسير فى مستنقع، فكل قدم ترفع تشكل صعوبة بالغة. لقد قال لى
أحد قراء (تريبونا) أخيراً إنه يظن أن على أن أقوم بدراسات مطولة
فى مستشفى للأمراض العقلية، قلت له: «فى مستشفى الخاصة
للأمراض العقلية»، على حين أكمل هو حديثه قائلاً فى محاولة لدحى:
«مستشفى الخاصة للأمراض العقلية». (ثمة موضعان أو ثلاثة
يلتبس فيها المعنى فى الترجمة).

مساء الأربعاء

الآن فقط فى حوالى الساعة العاشرة مساءً، كنت فى المكتب،
وكانت برقيتك هناك. لقد وصلت بغاية السرعة! حتى لقد راودنى

الشك في أن تكون هي رذك على برقيتي التي أرسلتها إليك بالأمس. ومع ذلك فهي تقول: «إرسل الأربع ثمان، الساعة الحادية عشرة صباحاً»، ولقد كانت هناك بالفعل في الساعة السابعة صباحاً، وعلى هذا فقد استغرق وصولها ثمانى ساعات فقط. إن أحد أوجه العزاء التي تمنحني إياها تلك البرقية في حد ذاتها هي أننا على الأقل من الناحية الجغرافية، مازلنا قريبين تقريبا أحدهما من الآخر: ذلك أنني يسعنى أن أتسلم رداً منك في أقل من أربع وعشرين ساعة. وليس لهذا الرد أن يكون دائماً: لا ترحل.

يتبقى هنالك مايزال ثمة احتمال: ربما لم تتسلمى بعد رسالتي التي شرحت فيها أنه ليس عليك أن تقضى الليلة بعيداً عن فيينا، لكن عليك أن تحضري إلي جموند، لكن لعلك أن تكونى قد اكتشفت هذا بنفسك، وفي هذه الحالة فإننى مازلت أتعجب، ما إذا كنت بناء على هذا الاحتمال الضئيل سأحاول أن أضمن لنفسى تذكرة قطار سريع، وتأشيرة صالحة لمدة ثلاثين يوماً (هى رحلة عطلتك).

لعلنى لا أريد أن أفعل ذلك، فعلى الرغم من أن برقيتك بالغة التحديد، إلا أنه يبدو أن لديك ثمة اعتراضات على الرحلة، ليس من السهل أن تتحولى عنها فانتبهى الآن يا ميلينا، إن الأمر حقاً ليس بالغ الأهمية، فإننى وحدى لم يكن يسعنى أن أجرو (فى الحقيقة مجرد أننى لم يسعنى مطلقاً أن أقدر كيف يمكن بهذه البساطة، أن يتم ترتيب لقاء لنا)، لم يكن يسعنى أن أجرو على أن أحلم بمحاولة رؤيتك مرة أخرى (بالفعل) بعد أربعة أسابيع، فلو تم لقاءنا فنعزو الفضل فيه كلية إليك، وعلى هذا يكون لك الحق (بصرف النظر عن حقيقة أنك إن لم تحضري، فلن يمكن احتمال ذلك، وهذا ما أعلمه)

لهذا السبب فى إلغاء ذلك الاحتمال نفسه الذى خلقته أنت - هذا ما لا أجدنى فى حاجة إلى نكره. إن المشكلة هى فقط فى أنه إذا كان فى الإمكان أن يتم بمثل ذلك الفرح حفر ذلك السرداب المستقيم المؤدى إليك مُنطلقاً من الفجوة المظلمة، وأنه لو تسنى لكل ما يمكن أن يكون عليه المرء أن يكون قد تم إلقاؤه تدريجياً فى داخل ذلك السرداب الذى ربما (بل بالتأكيد، بالتأكيد، بقولها السرداب فوراً فى حماقة)، ربما يؤدى إليك، والذى قد يؤدى بى فجأة إلى جحر لا يمكن اختراقه، بدلاً من أن يؤدى بى إليك، أنت: فأرجوك إذن ألا تحضرى!، إذا كانت النتيجة التى ننتهى الآن إليها، أن المرء بكل ما قدر له أن يكون عليه، عليه مرة أخرى أن يقفل راجعاً فى تلك متسكعاً بطول السرداب (ذلك السرداب الذى كان قد تم حفره بتلك السرعة البالغة)، وأن يردمه، وهو يقفل راجعاً.

حسناً، إن فى هذا ما يؤلم إلى حد ما، إلا أنه لا يمكن أن يكون سيئاً إلى هذا الحد؛ ما دام يسمح للمرء بأن يتناوله بالكتابة تفصيلاً على هذا النحو. وسيصنع المرء ثانية ممرات جديدة فى نهاية الأمر ستحفرها دودة الخلد العتيدة تلك، التى هى أنا !

أسوأ من ذلك كثيراً حقيقة أن اللقاء سيكون لقاء بالغ الأهمية، لأسباب أعتقد أننى قد أشرت إليها بالأمس. وبهذا الخصوص لا يمكن استبدال اللقاء بأى شئ آخر. وهذا هو فى الحقيقة السبب فى أننى حزين بخصوص البرقية. لكن ربما تضمنت رسالتك إلى بعد الغد، شيئاً من العزاء.

لى طلب واحد فقط: فى رسالتك التى تسلمتها اليوم توجد

جملتان غاية فى القسوة الأولى - «وأنت لن تأتى لأنك تنتظر يوماً يكون حضورك فيه ضرورة بالنسبة لك»، هذه الجملة لها عذر ما، وإن كان أبعد من أن يكون مبرراً كافياً، أما الجملة الثانية فهي - «وداعاً، يا فرانتس»، ثم يعقب ذلك، حتى يمكنك فقط أن تتسمعى وقع الجملة: «وطالما أنه ليس ثمة فائدة هنالك ترجى من إرسال البرقية الزائفة، فإننى لن أرسلها» - [قلماذا أرسلتها إذن؟]، وهذه الـ (وداعاً يا فرانتس!) ليس لها أيضاً ما يبررها. هاتان هما الجملتان. فهل يمكنك يا ميلينا على نحو ما أن تسحبيهما؟ اسحبيهما رسمياً، ويمكنك أن تسحبي جملتك الأولى جزئياً إذا شئت ذلك، أما الثانية، فتسحبيها كلية مهما يكن من أمر!

لقد نسيت أن أرفق بهذا رسالة والدك هذا الصباح. اغفرى لى، وقد لاحظت أيضاً؛ بصورة عارضة إنها كانت رسالته الأولى إليك فى ثلاث سنوات، وفهمت الآن فحسب ذلك الانطباع الذى لابد قد تركته فى نفسك، إن هذه الحقيقة، تجعل رسالتك إلى والدك بالطبع، ذات مغزى أعمق، ولابد أن يكون ثمة ما هو جديد فيها أساساً فى نهاية الأمر.

نعم، ثمة هناك ماتزال جملة ثالثة فى رسالتك لعلها أن تكون موجهة ضدى، أكثر مما هى موجهة ضد هؤلاء الذين ورد ذكرهم فى رسالتك، إنها تلك الجملة التى تتحدث عن الحلوى التى تضايق المعدة.

الخميس

وعلى هذا فالיום؛ وعلى نحو غير متوقع بالإضافة إلى ذلك، هو يوم مذخور لا رسائل فيه. وعلى هذا فرسالتك يوم الاثنين كانت تعنى بغاية الجد أنه لم يكن ليسعك أن تكتبى فى اليوم التالى. حسنا، لقد اعتبرت برقيتك شيئا أؤساند إليه.

(فى الهامش الأيسر): لست أعارض مطلقا رحلة عطلتك، كيف يمكننى أن أعارضها، وما الذى يجعلك تظنين هذا؟

الجمعة

رهيبة بدون رسائلك. إذن لما كان ذلك صحيحاً، ذلك أنها لتكون مربعة الثقل فقط، كان ثقل السفينة بالغاً، وكانت جرتها فى المياه عميقة غاية العمق، ومع ذلك فلقد أبحرت مع تيارك عندما ارتد جزراً. شئ واحد فقط لا يمكننى احتماله يا ميلينا، دون عونك الخاص: ذلك هو «الخوف»، وإننى لضعيف غاية الضعف بالنسبة لهذا، حتى أننى لا أجدنى قادراً حتى على أن أرى نهاية ذلك الخوف الرحب، ذلك أنه يجرفنى بعيداً.

إن ما قلته أنت عن يارميلا، لهو مجرد نوية من نويات الضعف هذه التى تنتاب القلب، لقد توقف قلبك لدقيقة واحدة عن أن يكون مخلصاً لى، ثم إنك لتدركين فكرة من هذا القبيل. فهل مازلنا اثنين بهذا، «لعمري؟ وهل «خوفى» أنا يمكن أن يكون شيئاً ما من الأشياء، يختلف اختلافاً بعيداً عن خوف امتحان النفس؟

وها أنذا أقاطع استرسال الحديث مرة أخرى؛ ذلك أننى لن يسعنى أن أكتب لك بعد ذلك، أثناء وجودى فى مقر عملى.

إن الرسالة الكبيرة التى أعلنت عنها لتبعث الخوف فى نفس المرء، لو لم تكن هذه الرسالة مؤكدة كل هذا التأكيد، فما الذى سوف تتضمنه؟ إذا وصلتك النقود، فدعيني أعلم ذلك فى الحال، فإذا كانت قد فقدت، فإننى سوف أرسل المزيد، فإن فقدت هذه أيضاً فسوف أرسل المزيد مرة أخرى، وهكذا؛ حتى لا يتبقى لدينا منها شئ، وعندئذ فحسب، سيكون كل شئ على ما يرام.



إننى لم أحصل على الزهرة، ويبدو أنك فى اللحظة الأخيرة قد اعتبرت عدم حصولى عليها، أمر حسن للغاية بالنسبة لى.

الجمعة

وهكذا فأنت تشعرين بالمرض كما لم تشعرى به منذ أن عرفتك؟ وهذه المسافة التى لا يمكن اجتيازها، بالإضافة إلى ألامك لتجعلنى أشعر كما لو كنت أنا فى حجرتك وأنت لا تكابين تتعرفين على، وأننى أتجول بلا حيلة ذهاباً وجيئة بين الفراش والنافذة، ولا توجد لدى ثقة ما فى أى شخص، ولا فى أى طبيب، ولا فى أى علاج، ولا أعرف شيئاً، وأحرق فى السماء الكثبية التى بعد كل مرح السنوات المنقضية وبهجتها، تتبدى للمرة الأولى فى رأسها الحقيقى، عديمة الحيلة، مثلى تماماً. إنك تستلقين فى الفراش؟ فمن الذى يحضر لك طعامك؟ وما نوع هذا الطعام؟، وإذا سنحت لك الفرصة، اكتبى لى

مرعبة الثقل فقط، كان ثقل السفينة بالغاً، وكانت جرتها في المياه عميقة غاية العمق، ومع ذلك فلقد أبحرت مع تيارك عندما ارتد جزراً. شئ واحد فقط لا يمكنني احتماله يا ميلينا، دون هونك الخاص: ذلك هو «الخوف»، وإنتي لضعيف غاية الضعف بالنسبة لهذا، حتى أنتي لا أجدني قادراً حتى على أن أرى نهاية ذلك الخوف الرعب، ذلك أنه يجرفني بعيداً.

إن ما قلته أنت عن يارميلا، لهو مجرد نوبة من نوبات الضعف هذه التي تنتاب القلب، لقد توقف قلبك لدقيقة واحدة عن أن يكون مخلصاً لي، ثم إنك لتدركين فكرة من هذا القبيل. فهل مازلنا اثنين بهذا المعنى؟ وهل «خوفى» أنا يمكن أن يكون شيئاً ما من الأشياء، يختلف اختلافاً بعيداً عن خوف امتهان النفس؟

وها أنذا أقاطع استرسال الحديث مرة أخرى؛ ذلك أننى لن يسعنى أن أكتب لك بعد ذلك، أثناء وجودى فى مقر عملى.

إن الرسالة الكبيرة التي أعلنت عنها لتبعث الخوف فى نفس المرء، لو لم تكن هذه الرسالة مؤكدة كل هذا التاكيد، فما الذى سوف تتضمنه؟ إذا وصلتك النقود، فدعيني أعلم ذلك فى الحال، فإذا كانت قد فقدت، فإننى سوف أرسل المزيد، فإن فقدت هذه أيضاً فسوف أرسل المزيد مرة أخرى، وهكذا؛ حتى لا يتبقى لدينا منها شئ، وعندئذ فحسب، سيكون كل شئ على ما يرام.

ف

إننى لم أحصل على الزهرة، ويبدو أنك فى اللحظة الأخيرة قد

اعتبرت عدم حصولي عليها، أمر حسن للغاية بالنسبة لى.

الجمعة

وهكذا فأنت تشعرين بالمرض كما لم تشعرى به منذ أن عرفتك؟
وهذه المسافة التى لا يمكن اجتيازها، بالإضافة إلى آلامك لتجعلنى أشعر كما لو كنت أنا فى حجرتك وأنت لا تكادين تعرفين على،
وأنتى أتجول بلا حيلة ذهاباً وجيئة بين الفراش والنافذة، ولا توجد لدى ثقة ما فى أى شخص، ولا فى أى طبيب، ولا فى أى علاج، ولا أعرف شيئاً، وأحرق فى السماء الكثيية التى بعد كل مرح السنوات المنقضية وبهجتها، تتبدى للمرة الأولى فى يأسها الحقيقى، عديمة الحيلة، مثلى تماماً. إنك تستلقين فى الفراش؟ فمن الذى يحضر لك طعامك؟ وما نوع هذا الطعام؟ وإذا سنحت لك الفرصة، أكتبى لى شيئاً عن نوبات الصداغ هذه التى تتناوب. ذات مرة كان لى صديق، يهودى شرقى، كان يعمل ممثلاً، وكانت تتناوبه كل ثلاثة شهور نوبة صداغ تستمر أياماً عدة، أما فيما عدا ذلك فقد كان فى صحة جيدة. لكنه عندما كانت تداومه أيام الصداغ تلك، كان يحدث له أن يتوقف فى وسط الشارع، ويستند إلى حوائط المنازل، ولم يكن هناك ما يمكن للمرء أن يفعله من أجله سوى أن يتمشى ذهاباً وجيئة طوال نصف الساعة تلك، وأن ينتظره.

إن الرجل المريض ليهجره الصحيح، لكن الشخص الصحيح يهجره المريض أيضاً! هل هى متكررة بانتظام هذه الآلام؟ وماذا عن الطبيب؟ ومنذ متى أصابتك هذه الآلام؟ ولعلك تتناولين الأقراص الآن أيضاً؟ إن هذا لى، سئ ولعله ألا يكون مسموحاً لى حتى بأن

أقول: يا طفلتى الصغيرة.

مما يؤسف له أن رحيلك قد تأجل مرة أخرى، والآن فسوف ترحلين فقط يوم الخميس، أسبوع! حسنا، إنها لمتعة أن أراك تستردين صحتك هناك بين البحيرة، والغابة، والجبال، لن يكون من حسن طالعى أن أتمتع بهذا. لكن إلى أى حد أبعد من هذا ترانى أرغب فى الاستزادة من حسن الطالع، إنتى لرجل شره، شره؟ وإنه لما يؤسف له أنه سيكون عليك أن تواصلى تعذيب نفسك إلى هذا الحد البالغ، فى قبينا.

عن دافوس، سوف نتحدث فى وقت آخر، لست أريد أن أذهب إلى هناك لأن المكان بعيد غاية البعد، ويأهظ النفقات، ولأن الذهاب إلى هناك لا يشكل ضرورة قصوى. فإذا قدر لى أن أغادر براغ، ولربما غادرتها، فإن أفضل ما قد أفعله سيكون أن أذهب إلى إحدى القرى، ولكن من ذا الذى سيسضيفنى من ناحية أخرى؟ إنه ليتعين على مايزال أن أتدبر هذا، على أننى لن أرحل قبل أكتوبر.

التقيت الليلة الماضية بشخص يدعى (شتاين)^(١). ربما تعرفينه عن طريق المقاهى، طالما كان يقارن دائما بالملك ألفونسو. إنه مساعد المدعى العام الآن، قال لى إنه فى غاية السعادة للقائى، وكان فى حاجة إلى لى يتحدث معى حديثا يتعلق بمهنتنا، وقد انتوى أن يتعدت إلى تليفونيا، فى اليوم التالى: «حسنا، عن ماذا؟» - «عن حالة من حالات الطلاق، لك بها أنت أيضا ثمة علاقة» - أعنى أنه كان يسألنى أن أتمدخل. «كيف؟»، كان على حقاً أن أضع يدى على قلبى. ثم اتضح بعد ذلك أنها كانت حالة طلاق أحد والدى «الشاعر».

(١) (محامى من براغ، هو دكتور پاول شتاين).

وأن الأم التي لا أعرفها، قد طلبت من دكتور شتاين، أن يطلب إلى أن استخدم نفوذى لدى «الشاعر»، لكي يعاملها (الأم)، على نحو أفضل قليلاً، وألا ينتهرها بمثل تلك القسوة التي ينتهرها بها.

وإنه لزواج غريب بالمناسبة، تصورى، كانت المرأة قد تزوجت بالفعل مرة من قبل، وخلال ذلك الزواج السابق أنجبت طفلاً (هو نفسه الشاعر المذكور سابقاً) من زوجها الحالي. وعلى هذا يحمل الشاعر اسم الزوج الأول، ولا يحمل اسم والده. ثم تزوجا (تزوجت الأم بالآب)، وقد تم طلاقهما الآن ثانية بعد سنوات طويلة من حياتهما الزوجية، بناء على رغبة الآب، والد الشاعر، (ولقد تم التصريح لهما بالطلاق بالفعل): لكن لما كانت المرأة، فى ظروف أزمة المساكن الحالية، لم تتمكن من العثور على شقة، فإنهما يعيشان معا لهذا، كزوجين، إلا أن الزوج؛ وعلى الرغم من تلك الحياة الزوجية التي يمارسانها معاً (لعدم وجود شقة أخرى) يرفض الصلح معها، أو أنه يرفض حتى على الأقل أن يتخلى عن متابعة الإجراءات الخاصة بإتمام الطلاق؛ ألا تبلغ بنا عواطفنا نحن البشر درجة المهزلة؟

وإننى لأعرف الآب، وهو شخص رقيق، حساس، قدير للغاية، ورحيم!

ارسلنى إلى مهما كان الأمر قائمة بكل ما تريدينه، وكلما طالت محتويات تلك القائمة، كلما كان ذلك أفضل وسوف أتجول زاحفاً على صفحات كل كتاب تطلبينه، وسأتسلق كل ما سوف يرد فى قائمتك هذه، لكى يتسنى لى أن أرحل فى كل جزء منها إلى فيينا (ليس ثمة اعتراض لدى المدير على رجلي على هذا النحو)،

فاسمحي لى بكل إمكانيات الارتحال إليك بقدر الإمكان، ويمكنك أن تعبريني مقالاتك التى ظهرت أخيراً فى (ترييونا).

إن أمامى ما أنطلع إليه غالباً بالمناسبة ، وهو عطلتك تلك، فيما عدا الاتصال البريدى السيئ. سوف تكتين إلى باختصار، وتصفين لى تلك العطلة، ألن تفعلى ذلك - هل ستكتين لى عن حياتك، وعن شقتك. وعن نزهاتك، وعن المنظر الذى تطلين عليه من نافذتك، وعن طعامك، وذلك، حتى يتاح لى أن أشاركك حياتك، مشاركة ما، ولو صغيرة.

السبت

إننى شارد فى هذه اللحظة وحزين، فلقد فقدت برقيتك - أعنى أنها لا يمكن أن تكون قد فقدت، لكن حقيقة أن على أن أبحث عنها، لهى حقيقة سيئة بما يكفى. إلا أنها غلطتك أنت فى الواقع، فلو لم تكن البرقية بالغة الجمال إلى ذلك الحد لما ظلت ممسكا بها فى يدى طوال الوقت.

إلا أن ما ذكرته أنت فيها عن الطبيب هو فقط ما أراحنى، وعلى هذا فليس الدم أمراً ذا بال - حسن، لقد أعربت أنا نفسى عن ارتياجى بالمثل، وأنا رجل الطب العتيد. والآن ما الذى قاله الطبيب عن علة الرئة؟ إننى واثق من أنه لم يصف لك التصوير جوعاً، أو حمل الأمتعة كعلاج لها. أما عن مواصلتك العناية بأمرى، فهل وافقك هو على ذلك؟ أو أنه لم يرد نكرى على الإطلاق؟ لكن ماذا يمكن أن يرضينى إذا لم يكن الطبيب قد عثر لى على أى أثر؟

وهل الأمر ليس أمراً خطيراً حقاً؟ وهل لا يوجد لديه ما يمكن أن يقال فيما عدا أن يرسلك إلى الريف لمدة أربعة أسابيع؟ إنه لأمر هين

فى الحقيقة.

لا، ليس لدى المزيد مما يمكننى أن أعترض به على الرحلة أكثر مما لدى من أعترض على حياتك فى فيينا، فارحلى، ارحلى أرجوك! فلقد كتبت لى ذات مرة عن أملك الذى تعليقه على هذه الرحلة، وإن هذا ليعد مبرراً كافياً لى أنا أيضاً حتى أريد لك القيام بتلك الرحلة. ثم الرحلة إلى فيينا مرة أخرى. إن الأمر ليصبح أكثر سوءاً، عندما تكتبين إلى عنها جدياً، عندئذ تشرع الأرض هنا حقاً فى الارتجاج، وأجبنى أنتظر قلقاً لأرى إذا كانت ستقذف بى خارجاً. إلا أن شيئاً لا يحدث أما فيما يتعلق بالعقبات الخارجية - ذلك أننى لن أتحدث عن العقبات الداخلية، ذلك أنها وإن كانت أقوى، فهى لا تعوقنى، لا لأنى قوى، بل لأننى أبلغ من الضعف حداً لا يسعنى معه أن أتيج لها بأن تعوقنى - لقد كتبت الآن لتوى أن تلك الرحلة يمكن أن تتم بالفعل بمجرد كذبة، وأنا أخاف الكذب، ليس كما يخافه الرجل الشريف بل كما يخافه تلميذ، ولدى إحساس. بصرف النظر عن هذا، أو أننى أخمن على الأقل إمكانية احتمال أن يجرى وقت ما يكون على فيه - بدون شروط، وبصورة محتومة - أن أجيء إلى فيينا بناء على رغبتك أو بناء على رغبتى، لكننى مرة أخرى لا يمكننى أن أكذب، ولو حتى ككلمة طائش، وعلى هذا فإن التحفظ الذى أتحفظه لهو احتمال أن أكذب كذبة ما، وإننى لأحيا متحاشياً هذه الكذبة، كما عشت على وعدك بالحضور فى الحال! إن هذا لهو السبب فى أننى لن أحضر الآن؛ وبدلاً من اليقين الذى كان متوفراً فى هذين اليومين، وأرجوك ألا تصفيهما لى يا ميلينا، فإنك لتوشكين على تعذيبى بذلك (ذلك أنها لا تشكل بعد ضرورة ما، وإنما تشكل

احتياجاً بلا حد) - بدلا من ذلك اليقين الذى توفر لى فى اليومين المذكورين؛ لدى إمكانيتهما الأبدية.

أما عن الزهور؟ فإنها قد ذبلت الآن بالطبع؛ هل لم يسبق أن كانت لديك زهور (اتجهت فى الطريق الخطأ)، كما فعلت هذه الزهور فى حالتى هذه؟ إن هذا أمر لا يسر بالمرّة، ويمكننى أن أقول لك هذا. لا أريد أن أتدخل فى المعركة الدائرة بينك وبين (ماكس)^(١):

سأقف على جانب لأرى وجهة نظر كل منكما - وأبقى سالماً، لاشك أنك على حق فيما تقولينه، إلا أننا نتبادل أماكننا الآن. إن لك ووطنك، ويمكنك أيضاً أن تنبذيه، ولعل هذا أيضاً أن يكون هو أفضل ما يمكن أن يفعله المرء بموطنه، وخاصة طالما كان المرء لا يمكنه أن ينبذ فى وطنه تلك الأشياء التى لا يمكنه أن ينبذها. لكنه لا وطن له، ولهذا فليس لديه ما ينبذه، وعليه أن يفكر طوال الوقت فى البحث عنه أو إقامته، طوال الوقت، سواء كان يتناول قبعته من على مشجب، أو كان مستلقياً فى الشمس فى حمام السباحة، أو بينما هو يكتب ذلك الكتاب الذى يتعين عليك أن تقومى بترجمته - وربما يكون فى هذه الحالة أقل ما يكون توتراً، لكن بالنسبة لك أنت أيتها العزيزة البائسة، كم هو هائل عبء ذلك العمل الذى ترهقين به نفسك، إن عنقك عار، وأنا أقف خلفك، وأنت لا تدريين بذلك، أرجوك ألا تنزعجى لو أحسست بشفتى ثلثمان عنقك من الخلف، لست أعنى أن أقبلك ذلك أن حبنى لك إنما هو حب عديم الحيلة) - نعم، إن على ماكس أن يفكر فى ذلك طوال الوقت، وحتى وهو يكتب رسالة إليك.

والغريب هو أنك قد هزمت أمامه فى التفاصيل، على الرغم من

(١) (ماكس برود وهو صهيونى نشط على النوايا).

أنك بصفة عامة قد تحصنت ضده تمام التحصين، لقد كتب لك بوضوح عن حياتي مع والدي، وكتب لك عن دافوس. وما كتب في الحالتين خاطئ، لا شك أن حياتي مع والدي هي حياة سيئة، لكنها ليست الحياة اليومية فقط، ليست الاستكانة لتلك الحلقة من الحنان والحب - نعم إنك لا تعرفين شيئاً عن رسالتي إلى والدي - هذين الذبابة وهي على غصن الليمون. وعلى الرغم من أن لهذا أيضاً جانبه الطيب، فإنه لا يخرج عن أن رجلاً ما يحارب في الماراثون، بينما يحارب الآخر في غرفة الطعام. إن إله (الحرب) وإلهة (النصر) ليجدان في كل مكان، لكن ما هو الخير الذي يمكن أن ينطوي عليه الرحيل تلقائياً عن المكان، خاصة لو أنني واصلت تناول طعامي في المنزل وهو ما يبدو الآن بلا شك أفضل بالنسبة لي. أما عن دافوس فساكتب لك يوماً آخر. إن الشيء الوحيد الذي أؤيده فيما يتعلق بدافوس؛ إنما هو تلك القبة عند رحيلي.

السبت

عطوف، وصبور، هل هذه هي حقيقتي؟ إنني لست أدري حقاً أن مثل هذه البرقية قد أنعشت الجسد كله حقاً، إنني أعلم هذا، وإن الأمر لهو في النهاية مجرد برقية، وليست يداً ممتدة إلي.
إلا أن ذلك يبدو حزينا أيضاً، يبدو كصوت متعب صادر عن فراش المرض. وإنه لسيئ أيضاً، ولم تصلني منك رسالة، يوم آخر بلا رسالة، فمن الذي يضمن لي أنك قد أرسلت البرقية بنفسك، وأنت لا تنفقين اليوم بطوله في الفراش، هنالك في تلك الحجرة التي أعيش فيها أكثر مما أعيش في حجرتي؟

فى الليلة الماضية ارتكبت جريمة قتل من أجل خاطرك، حلم مخيف، وليلة سيئة، سيئة، وإن كنت لا أكاد أذكر شيئاً من التفاصيل.

والآن فحسب واصلتني رسالة فى آخر الأمر، وإنها لواضحة حقاً، حقاً إن الرسائل الأخرى لم تكن أقل وضوحاً منها، غير أن المرء لم يكن ليَجْزُ على أن يتخلل ثنايا وضوح تلك الرسائل. بالمناسبة، كيف أمكنك أن تكذبى؟ ليس هذا الجبن مما يمكنه أن يكذب.

إننى بالتاكيد لا أنحى باللائمة على ماكس، مهما كان ما تضمنته رسالته، فقد كان ما تضمنته خاطئاً، لا شئ، لا أحد، ولو كان هو أفضل الناس جميعاً، يمكنه أن يتدخل بيننا. إن هذا أيضاً لهو السبب فى أننى قد ارتكبت جريمة قتل فى تلك الليلة الماضية.

شخص ما، أحد أقاربي، قال فى سياق حديث لست أذكره، لكن يعنى بصورة أو بأخرى إن هذا الشخص أو ذاك لا يمكنه أن ينجز شيئاً - وعلى هذا فقد علق هذا القريب فى النهاية ساخراً بقوله: «حسنًا، لعل ميلينا يمكنها»، وعلى هذا فقد قتلتها على نحو ما، وحضرت إلى المنزل فى هياج شديد، بينما تجرى أمى خلفى طول الوقت، حيث كانى يجرى هنا أيضاً حديث مماثل، وفى النهاية صحت، وقد نال منى الغضب:

«لو قال أحدهم شيئاً سيئاً عن ميلينا، ولو كان هو (الأب) مثلاً، أبى فسوف أقتله هو أيضاً أو أقتل نفسى»، ثم استيقظت من النوم، غير أنه لم يكن نوماً، ولا كانت يقظتى منه يقظة.

وأعود ثانية إلى الرسائل السابقة، فهى أساساً تشبه شبها

شديدا تلك الرسالة المرسلة إلى الفتاة ، ولم تكن رسائل الأمسيات سوى أحزان على رسائل الصباح - وذات أمسية كتبت أنت أن كل شيء قد يكون محتملا فيما عدا فقداني لك - وكأن ما يلزم بالفعل ليس سوى ضغطة خفيفة، فيحدث المستحيل، ولعل هذه الضغطة كانت حقا في الإمكان، وربما كانت قد حدثت بالفعل.

على أية حال: إن هذه الرسالة لهي عزاء، وكان ثمة بين الرسائل الأولى رسالة كانت وكأنها قد دفنت حية، وإن كانت تظن أنه ينبغي على المرء ألا يحرك ساكنا؛ ذلك أنني ربما كنت ميتا حقا.

ولهذا فلا يدهشني هذا كله، إنني أتوقعه، ولقد هيأت نفسي بقدر ما يسعني، لكي أحتمله عندما يقع. والآن وقد وقع هذا فإن المرء بالطبع ليس على ما ينبغي من الاستعداد، ورغم عدم استعدادي فإنني لم أنطرح أرضاً، ومن ناحية أخرى فما كتبتك عن موقفك من الأمور الأخرى، وعن صحتك لهو أمر مزعج غاية الإزعاج، ويزيد كثيرا عن طاقتي على الاحتمال، حسنا اسوف نتحدث عن ذلك عندما تعودين من رحلتك، ولعل المعجزة التي تتوقعينها أن تحدث لك هناك بالفعل، أو تتحقق لك المعجزة الجسدية على الأقل.

ولدى بالإضافة إلى ذلك، في هذا الخصوص من الثقة فيك، ما أرغب معه في حدوث أية معجزات أخرى، وإنني لأستودعك أيتها المخلوقة المعجزة، المتدفعة، المصونة، إلى الغابة، وإلى البحيرة، وإلى الطعام ، إن لم أكن أستودعك حقا إلى كل شيء آخر.

وعندما أتمعن في رسالتك - فلقد قرأتها مرة فقط على أية حال - وما كتبتك عن حاضرك وعن مستقبلك، وما كتبتك عن والدك، وما

كتبته عنى فإنما يترتب على هذا فقط (ما قلته لك ذات مرة بوضوح تام) أن نكتبك الحقيقة ليست أحداً آخر سواى، سواى أنا وحدى - على حين أوضح أنا محدداً ذلك: بأننى أعتبر نفسى (سوء حظك) الخارجى فحسب - ذلك أننى لو لم يكن لى وجود، فلعلك أن تكونى قد غادرت قيينا بالفعل منذ ثلاثة شهور، فإن لم تكونى قد غادرتها منذ ثلاثة شهور مضت، فلعلك بلا شك كنت تغادرينها الآن. إنك لا تريدان أن تغادرى قيينا إننى لأعلم هذا وإنك لم تكونى لترغبى فى مغادرتها إذا لم أكن قد وجدت فى حياتك إلا أن المرء ليمكنه أن يقول عن هذا السبب بالذات - ناظرا إلى الأمر من قمة منظور عين الطائر - إنه سيكون بالطبع سببا ضمن أسباب أخرى، ذلك أن أهميتى العاطفية بالنسبة لك لتتألف من حقيقة أننى أجعل من الممكن لك أن تبقى فى قيينا.

إلا أنه ليس للمرء أن يبعد بهذا الشوط بعيدا كل هذا البعد، وليس له أن يستسلم لمثل تلك المزاوغات المعقدة، ذلك أنه ليكفى جدا أن يضع المرء فى اعتباره حقيقة أنك قد انفصلت بالفعل ذات مرة عن زوجك، وأنه فى وسعك تحت الضغط المتزايد الذى يضغطه عليك الحاضر؛ أن تنفصلى عنه بسهولة، لكنك ستنفصلى عنه بالطبع فحسب لمجرد الانفصال، وليس بسبب شخص ما آخر. على أن كل هذه الاعتبارات لا تؤدى حقا إلى أى شئ آخر سوى الصراحة.

سوف أحضر الأشياء طبعاً بكل سرور: أعتقد فحسب أنه سيكون من الأفضل لى أن أشتري (الصدرية) من قيينا، ذلك أنه سوف يلزمنى هنا إذن تصدير بخصوصها (فحتى الكتب لم يقبل إرسالها

أحد مكاتب البريد هنا أخيراً، بدون إذن تصدير، على حين أنهم يقبلونها في نفس الوقت في مكتب بريد آخر يوماً ضجيج) - حسناً، ربما أمكنتني أن أجد في المكتبة من أستاذيره في هذا الشأن - وسوف أضمن رسائلتي دائماً بعض النقود. وعندما تقولين (كفى)، فسوف أكف عن ذلك في الحال.

شكراً لتصريحك لي بقراءة (تريبونا). رأيت أخيراً، يوم الأحد فتاة تشتري (تريبونا) في ميدان فينتسل، طبعاً من أجل مقال (المودة)، لم تكن تبدو الاناقة على تلك الفتاة على نحو خاص، لا لم تكن بعد قد أصبحت أنيقة. ويؤسفني أنني لم أتفحصها بعناية أكثر، ذلك أنني قد لا يمكنني لهذا أن أرقب تطور أناقتها. لا، إنك مخطئة في استخفافك بقيمة مقالاتك عن (المودة). إنني لأشعر بالامتنان لك حقاً لأنني يتاح لي الآن قراءتها علناً (فلا بد من أن أقول، إنني كنت أقرأها مراراً في السر، وهو ما أخجل له الآن).

لقد عرفت للتو ما الذي سوف تتضمنه الرسالة، ذلك أن ما سوف تتضمنه كان موجوداً في خلفية رسائلتك، كان واضحاً في عينيك - فما الذي يمكن أن تصعب ملاحظته في أغوارها الصافية؟ - وهو كان مخطوطاً كله أيضاً على صفحة جيبك. ولقد أدركت ما سوف تتضمنه كما يدرك ذلك شخص كان قد أتفق النهار بطوله، يستغرقه حلم نائم خائف خلف مصراعى نافذة مغلقين، وعندما يقوم هذا الشخص بفتح النافذة في الليل، فلن يدهشه بالطبع شيء، ذلك أنه يكون قد عرف أن الليل قد حل، يكون قد عرف أنه قد هبط الآن الظلام - وأنه لظلام رائع عميق. وأرى كذلك فيما سوف تتضمنه تلك

الرسالة كيف تعذبن نفسك، وكيف تتلوين ألما. ولا تنعمين بالخلاص
و لنلقى اللهب فى داخل وعاء مسحوق البارود - وأنت، لن تنعمى
أبدا بالخلاص، وإننى لأرى ذلك، ومع ذلك، فلعلنى لا أقول لك.
ابقى حيث أنت. إلا أننى لم أقل عكس ذلك أيضا، وإنما أقف فى
مواجهتك، وأتطلع فى عينيك الغاليتين البائستين (نعم، إنها لتثير
الشفقة، تلك الصورة التى أرسلتها إلى، رغم كل شئ، وإنه لعذاب أن
يتطلع إليها المرء، عذاب يكابده المرء مئة مرة فى اليوم، ولا يزال،
للأسف، هو ما أملكه، وما أشعر بأن لدى القدرة لكى أنود عنه فى
وجه عشرة من الرجال الأشداء، وإننى لقوى حقا كما تقولين - ثمة
قوة لدى من نوع خاص، لو شاء المرء أن يصفها باختصار، وفى
غموض، لقال إنها إنما تكمن فى أننى لست منسجما متآلفاً كائتلاف
الموسيقى. غير أنها ليست بالغة قوتى تلك، على الرغم من ذلك حدأ
يحملنى على مواصلة الكتابة، على مواصلة الكتابة فحسب الآن على
الأقل ذلك أن فيضاً من الأسى ومن الحب يطبق بخناقى ويحملنى
بعيدا عن الكتابة.

ليلة الاثنين

شئ واحد ظل يزعجنى لفترة طويلة فى مجادلاتك، شئ يتضح
بصفة خاصة فى رسالتك الأخيرة، إنه خطأ لا يمكن إنكاره ويمكنك
أن تتفحصيه بنفسك .. عندما قلت إنك تحبين زوجك جداً (وهو أمر
حقيقى أيضا) وأنت لا يمكنك أن تتركيه (لو أن ذلك كان ليحدث
بسببى أنا فقط، أعنى أن ذلك سيكون مزعجا لى لو أنك فعلت ذلك
على الرغم من حبك له) فهذا ما أعتقد أنه أيضا، وأصدقك عندما

تقولينه. وعندما قلت إنك على الرغم من أنك يمكنك أن تتركه، إلا أنه على الرغم من ذلك يحتاجك في أعماقه ولا يمكنه أن يحيا بدونك، وأنت على هذا لا يمكنك أن تتركه، فأبني أصدقك عندئذ أيضا، وأوافقك أيضا عليه، لكنك عندما تقولين إنه فيما يبدو لا يمكنه أن يمضي في خضم الحياة بدونك، وأنت لهذا (وتجعلين من هذا سببا أساسيا) لا يمكنك أن تتركه، هنا تكونين قد قلت هذا إما لتغطية الأسباب السابق ذكرها (لا لتدعيم تلك الأسباب، ذلك أن تلك الأسباب ليست بحاجة إلى أدنى تدعيم)، وإما أن يكون ما قلته ليس سوى واحدة أيضا من تلك المداعبات العقلية (من قبيل تلك المزح التي كتبتها في رسالتك الأخيرة)، تلك المداعبات التي يتلوى تحت وطأتها الجسد، وإن لم يكن الجسد هو وحده ما يتلوى لإيلامها.

الاثنين

كنت على وشك أن أكتب المزيد في نفس سياق الأفكار التي أملت على ما سبق أن كتبتة، عندما وصلتني منك رسائل أربع، وإن لم تكن قد وصلت معا بالمناسبة، فقد وصلتني أولا رسالتك التي تأسفني فيها على أنك قد ذكرت لي خبر حالة الإغماء تلك التي أصابتك، ثم بعد ذلك بقليل تلك الرسالة التي كتبتها على الفور بعد أن أفقت من إغمائك، تصحبها تلك الرسالة - حسنا ، بصحبة تلك الرسالة باللغة الجمال، ثم أخيرا بعد ذلك تلك الرسالة التي تتعلق بإيميلي، ولم أستطع أن أتبين تسلسل رسالتك تلك في وضوح، فأنت لم تعودى بعد تذكيرين الأيام التي تكتبين فيها رسالتك.

حسنا، سأحاول أن أجيب على سؤال (الخوف - الرغبة)، وسوف يصعب على النجاح في ذلك من أول مرة، لكن لو أنني عدت إلى محاولة ذلك في رسائل عدة، فلعلني أن أوفق إلى ذلك، وسوف يساعدني على بلوغ ذلك مساعدة هائلة، أن تكوني قد قرأت رسالتي إلى أبي (وهي بالمناسبة رسالة سيئة ولا أهمية لها)... وربما أحضرها لك معي إلى جموند.

لو كان للمرء أن يحدد (الخوف) و(الرغبة) كما فعلت أنت في رسالتك الأخيرة، فلن يكون نفس السؤال سهلا عندئذ، بل ستكون الإجابة عليه غاية في البساطة ويحضرني (الخوف) في هذه الحالة، وذلك على النحو التالي:

أذكر أول ليلة، وكنا نسكن في ذلك الوقت في ممر (تسلتن) في مواجهة (محل أزياء)، اعتادت أن تقف في فتحة بابه فتاة تعمل بالمحل، وكنت أنا في الدور الأول - كنت قد تجاوزت العشرين من عمري بقليل - أتمشى ذاهبا وجيئة في الحجرة يشغل بالي إدراكي الذي يوتر أعصابي، بتراكم الحقائق، التي تبو لي فارغة من المعنى، والتي يلزمني استيعابها استعدادا لأول امتحان عام.

كان ذلك في الصيف، وكان الجو شديد الحرارة، ولا يكاد يحتمل، وكنت أتوقف بين كل فترة وأخرى أمام النافذة، وبين أسناني القانون الروماني المثير للقرف، حتى انتهينا أخيراً إلى التفاهم بلغة الإشارات. وكان على أن ألتقي بها في الساعة الثامنة مساء، لكنني عندما هبطت ذاهبا إليها في المساء، كان ثمة شخص آخر معها بالفعل - حسنا، لم يكن هذا قد غير من الأمر شيئا فقد كنت خائفا من الدنيا كلها، وعلى هذا فقد كنت خائفا من ذلك الرجل هو أيضا،

حتى لو لم يكن واقفا هناك، فقد كنت لأخافه أيضا. وعلى الرغم من أن الفتاة قد أمسكت بذراعه، فإنها قد أشارت لى مع ذلك بأن على أن أتبعهما. وعلى هذا فقد بلغنا جزيرة (شوتزن)، حيث احتسبنا البيرة، وكنت أجلس أنا إلى المائدة المجاورة لهما، ثم سرنا، وتبعتهما متباطئا، حتى بلغنا شقة الفتاة فى مكان بالقرب من (سوق اللحم)، وهناك قال لها الرجل إلى اللقاء، وأسرعت الفتاة تجرى إلى داخل المنزل، وانتظرت قليلا حتى خرجت ثانية، ثم مضينا إلى فندق فى (الساحة الصغيرة)، وكان هذا كله ساحرا، ومثيرا، ومرعبا حتى قبل أن ندخل إلى الفندق، ولم يكن الأمر يختلف عن ذلك عندما أصبحنا فى داخل الفندق. وعندما كنا فى طريق عودتنا والصباح يوشك على الطلوع (وكان الجو مازال حارا، وديعا). فوق قنطرة كارل، كنت سعيدا بالفعل، لكن تلك السعادة كانت قد جاءتني من حقيقة أنني أخيرا قد نعمت بشئ من السلام، حققه لى جسدى الذى لا تهدأ له أشواق. وكانت هذه السعادة فوق ذلك كله قد نشأت عن الارتياح لأن التجربة كلها لم تكن أكثر رعبا مما كانت عليه، ولأنها لم تكن بالغة الفحش. ووجدتني مع الفتاة مرة أخرى (بعد ذلك بليلتين فيما أظن) ومر كل شئ على ما يرام، كما مر فى الليلة الأولى، لكننى عندما رحلت بعد ذلك مباشرة لقضاء إجازات الصيف، حيث لهوت قليلا هنا وهناك مع فتاة أخرى، لم يعد فى استطاعتى بعد ذلك أن أتطلع إلى فتاة محل الأزياء فى براغ، ولم أتبادل معها أية كلمة أخرى، ذلك أنها كانت قد أصبحت (من وجهة نظرى) ألد أعدائى، مع أنها كانت فتاة حسنة الطبع، وبودة، وظلت تتابعنى طوال الوقت بنظراتها التى توحى بعدم استطاعتها إدراك ما يحملنى على تجنبها، ولن أقول إن

السبب الوحيد لعدائي لها كان حقيقة (وأنا واثق بأن هذا لم يكن هو السبب) أن الفتاة كانت قد أتت أثناء وجودنا معا فى الفندق، ببراءة تامة، أتت بحركة يسيرة مثيرة للاشمئزاز (وإن كانت لا تستحق الذكر) ، إلا أن أثر تلك الحركة اليسيرة ظل باقيا وقد عرفت فى تلك اللحظة أننى لن يمكننى أن أنسى تلك الحركة، وعرفت فى نفس الوقت، أو تهيأ لى أننى قد عرفت أن هذا السلوك المثير للقرف، وأن هذه البذاعة، وإن لم تكن ظاهرياً ضرورية، إلا أنها كانت باطنياً لازمة بالضرورة رغم ذلك، فى علاقتها بالأمر كله. وأن هذه الإثارة للاشمئزاز والفحش (التي كان عرضها الضئيل هو فقط مجرد تلك الحركة اليسيرة، وتلك الكلمة العارضة)، كانت هى، ما قد جرفنى بمثل ذلك الاندفاع الرهيب إلى داخل ذلك الفندق، الذى لولاها لكان لى أن أتجنبه بكل ما تبقى لدى من قوة.

ولقد ظل ذلك التأثير الذى انعكس على وقتئذ باقياً دائماً على ما كان عليه. على أن جسدى الذى قد يبقى هادئاً لسنوات طويلة، ليهتز ثانية مع ذلك إلى حد لا يمكننى أن أحتمله، تهزه هذه الرغبة، لشيء ضئيل، لحركة منكرة، ذات نوعية خاصة للغاية، يهتز رغبة فى شيء قليل من إثارة القرف، الارتباك، والفحش، وأنه حتى وسط القليل مما تبقى لى، ثمة شيء من ذلك ثمة أثر واهن لرائحة قنزة ما، أثر لرائحة شيء من الكبريت، شيء من الجسيم. إن هذا الدافع ليتضمن فى ثناياه شيء من اليهودى الأبدى المسحوب بلا إرادة، الضال بلا وعى، خلال عالم قبيح فاقد الوعي.

لكن كان ثمة بعدئذ أوقات أيضاً لا يكون فيها الجسد على هدوئه، عندما لا يكون ثمة شيء هادئ بالفعل، وإن كان ذلك يحدث بينما لا

يكون هنالك ثمة ما أعانيه من قسر. كانت حياة طيبة هادئة لا يقلقها سوى الأمل فحسب (هل تعرفين اضطرابات أخرى أفضل؟) خلال تلك الفترات، وعلى امتداد تلك الفترات، كنت وحيداً دائماً.

وها أنا الآن أمر بمثل تلك الفترات، لكنني لست وحيداً! هذا هو السبب في أن قربك الجسدي ليس هو فقط، بل هو فقط، بل أنت نفسك من تبعثين في الهدوء القلق. وهذا هو السبب في أنني لا أجد لدى أدنى رغبة في القبح (خلال النصف الأول من الفترة التي قضيتها في ميران، قمت على الرغم من إرادتي الحرة، ليلاً ونهاراً بتدبير خطط تدور حول الكيفية التي أستطيع بها أن أتمكن من إغراء خادمة الحجرة. وأسوأ من هذا، وقرب نهاية فترة إقامتي في ميران، اتفق أن صادفتني فتاة لديها استعداد بالغ، وأقول إنه كان لابد لي من أن أترجم كلماتها إلى لغتي أنا قبل أية محاولة من جانبي لكي أفهمها أساساً)، ولم أر ببساطة أية بذاءة هنالك، لم أعثر في حديثها على شيء يمكنه أن يحدث تأثيراً خارجياً، لكنني وجدت بدلاً من ذلك كل ما يمكنه أن يبعث الحياة من داخلها.

وباختصار كان ثمة شيء جديد هنالك، من قبيل الهواء الذي كان قد استنشقه الإنسان في الجنة قبل السقوط. إن بعضاً من هذا الهواء ليوضح لماذا تتصف الرغبة بالنقص. على حين أن كل ذلك الهواء، إنما يوضح لماذا يوجد الخوف. وهكذا فهأنت تعرفين الآن، وعلى هذا، فرغم أنني قد (عانيت الخوف) ليلة ما في جموند، فقد كان خوفي على الرغم من ذلك، هو (خوفي) المعتاد فحسب (آه - وإن خوفي المعتاد ليكفيني) ذلك الذي أعانيه هو أيضاً في براغ، وليس خروفاً خاصاً بجموند.

والآن حديثنى عن إميلي، فما زال فى مقدورى أن أحصل على الرسالة فى براغ.

لن أضمن رسالتى شيئاً اليوم. غدا فحسب. ذلك أن هذه الرسالة، هى رسالة هامة، وأريدك أن تتسلمها فى أمان.

إن الإغماء هو مجرد عرض من بين أعراض عديدة. أرجو أن تتأكدى من حضورك إلى جموند. هل لن تتمكنى من الحضور إذا أمطرت صباح الأحد؟ حسناً على أية حال سأكون فى صباح الأحد أمام محطة جموند. هل لن تحتاجى أكيداً إلى جواز سفر؟ هل استفسرت بالفعل عن ذلك؟ هل تحتاجين إلى شئ يمكن أن أحضره معى؟ ذكر شتاشا، هل تقصدين أن على أن أذهب لزيارتها؟ لكنها لا تكاد تتواجد الآن فى براغ (وحتى عندما تتواجد فى براغ يكون الذهاب لزيارتها أكثر صعوبة)، لن أفعل شيئاً فى هذا الخصوص حتى تذكرى ذلك مرة أخرى، أو حتى نلتقى فى جموند.

(فى الهامش الأيسر) تصلين أنت بعد الساعة التاسعة بقليل، فلا تسمحى لهم لأنك نمساوية بأن يحتجزوك فى الجمر، ولا يمكننى فى هذه الساعة أن أواصل ترديد الجملة التى أنوى أن أحييك بها.

أما الملاحظة التى تتعلق بـ«دل» (يالها من ذكرى! ليس هذا سخريّة، بل غيرة، هى ليست غيرة، بل نكتة سخيفة) فلقد أسأت فهمها. لقد صدمت فحسب لأن كل الناس الذين ذكرهم هو كانوا إما «حمقى» أو (مخادعين) أو إناثاً ممن «يقفزن من النافذة»، بينما كنت أنت «ميليّنا» فحسب، وأكثر من هذا كنت «ميليّنا» رفيعة المقام، ولقد سررت لذلك، وكان سرورى هو سبب كتابتى لك، ولم يكن ذلك مطلقاً

دفاعاً منك أنت، بل كان دفاعاً منه هو عن كرامته. وكان هناك، لكى أكون دقيقاً، ثمة استثناءات قلائل أخرى أيضاً - زوج أمه (المقبل وقتها)، وزوجة شقيقه وزوج شقيقته، وخطيب خطيبته السابق، وهم جميعاً أشخاص «مدهشون» حقاً.

أما رسالتك التى وصلتني اليوم، فهي رسالة حزينة للغاية، وتتطوى فوق هذا كله على أملك منطوياً على نفسه بإحكام حتى لقد أحسست به، وكأنه قد تم استبعاده تماماً. وعندما كان يعن لى أن أغادر حجرتي من حين لآخر، كنت أهرع صاعداً أو هابطاً الدرج، وأظل على هذا الحال فقط على أمل أن أعود فى إحدى المرات لأجد البرقية التى تقول: «ساكون أيضاً فى جموند السبت»، إلا أن هذه البرقية لم تصل بعد...

الأحد

البرقية. نعم، ربما يكون من الأفضل لو التقينا. ومن ناحية أخرى، كم من الوقت يلزمنا كى نتمكن من أن نضع الأمور فى مكانها الصحيح! ومن أين جاءت كل هذه المتاعب التى قامت بيننا. إن المرة لا يكاد يرى خطوة واحدة إلى الأمام. وكم عانيت أنت لابد من هذه المتاعب وسط غيرها من كل أشكال المتاعب الأخرى.

وربما كان لى أن أضع حدا لهذه المتاعب منذ وقت طويل، كانت العين صافية الرؤية بما يكفى، لكن كان الجبن أكثر شدة. كما أنني لا أكذب برئوى على رسائل (وكأنها كانت تخصنى) كنت قد أدركت بوضوح أنها رسائل لا علاقة لها بى؟ وأمل أن رئوى لم تكن (بهذا المعنى) من قبيل تلك الرئود «الكاذبة» التى اغتصبت منك رحلتك إلى

جموند^(١).

لست حزينا أبداً ذلك الحزن الذى قد يبدو لك من هذه الرسالة، كل ما هنالك أنه لا يوجد أى شئ آخر يمكن أن يقال فى هذه اللحظة. ذلك أنها قد أصبحت لحظة هدوء تام، ولا يجرؤ المرء على أن يتفوه بكلمة فى هذا السكون.

حسناً، سنكون معاً يوم الأحد لمدة خمس ساعات أو ست، وهى فترة لا تتسع للحديث، ولكنها تكفى للصمت، تكفى لتماسك أيدينا، وتكفى لكى يتطلع أحدهنا فى عيني الآخر.

الاثنين

حسناً، حسب جدول المواعيد، يبدو لى الأمر أفضل كثيراً مما ظننت، وأمل أن يكون جدول المواعيد مضبوطاً، ويبدو لى الأمر على النحو التالى:

١ - إماكن فى حده الأدنى المقبول:

أن أرحل من هنا فى الساعة الرابعة والدقيقة الثانية عشرة بعد ظهر السبت لأصل فى الحادية عشرة وعشر دقائق بعد الظهر إلى فيينا، وستكون أمامنا سبع ساعات نقضيها معاً، بعدها سأرحل يوم الأحد فى السابعة صباحاً. وسوف تتوقف هذه الساعات السبع بالطبع، على أن أكون قد نمت قليلاً فى الليلة التى تسبقها (وهو ليس

(١) تشير هذه الرسالة إلى موقف غريب كان قد قام فى براغ: فقد تلقى أشخاص رسائل من مجهول، ومع أنها كانت مكتوبة بخط واضح، إنه خط ميلينا، إلا أن ميلينا، لم تكن هى من كتبها.

إنجازاً سهلاً؛ وإلا فإنك سوف لا تجددين فى مواجهتك سوى مجرد حيوان مريض بائس.

٢ - إمكان بالغ الروعة، استناداً إلى جدول المواعيد أرحل من هنا أيضاً فى الساعة الرابعة والدقيقة الثانية عشرة، لكننى أصل إلى جموند بالفعل (بالفعل، بالفعل) فى الساعة السابعة والدقيقة الثامنة والعشرين. وحتى لو كان على أن أرحل يوم الأحد بقطار الصباح السريع، فلن يكون ذلك قبل الساعة العاشرة والدقيقة السادسة والأربعين، وعلى هذا فسيكون أمامنا ما يزيد على الخمس عشرة ساعة، يمكننا أن ننفق جانباً منها أيضاً نائمين. إلا أن ذلك حتى فى هذه الحالة سيكون أفضل، وإن يكون على حتى أن أستقل هذا القطار، ففى الساعة الرابعة والدقيقة الثامنة والثلاثين بعد الظهر يوجد أيضاً قطار ركاب، متجه إلى براغ، وسوف أستقل هذا القطار. وعلى هذا فسوف يتبع لنا هذا إحدى وعشرين ساعة نقضها معاً، ونظرياً على الأقل، سيكون باستطاعتنا الحصول عليها (تصورى) كل أسبوع.

ثمة كسب واحد فقط فى هذا، لكننى لا أظنه كسباً هاماً، وعلى أية حال سيكون عليك أن تتحققى منه. ولابد لك من أن تتحققى من أن محطة جموند، هى محطة تشيكية، لكن المدينة التى تتواجد بها هذه المدينة هى مدينة نمساوية، فهل من الممكن أن يمتد السخف المسمى بجواز السفر إلى المدى الذى يستلزم معه أن تسمى مواطنة من أهل ثيينا للحصول على جواز سفر لكى يمكنها أن تعبر محطة سكة حديد تشيكية؟ فى هذه الحالة سيتعين على أهل جموند الذين يريدون الذهاب إلى ثيينا الحصول على جواز سفر بتأشيرة تشيكية،

إن هذا شيء لا أستطيع أن أصدقه، شيء سيكون بمثابة صفقة موجهة إلينا مباشرة. ويكفيني من السوء أننى ربما تعين على أن أضيع ساعة فى الجمر فى جموند قبل أن يتم السماح لى بمغادرة المحطة، وعلى هذا فسوف يحدث اختصار لتلك الساعات الإحدى والعشرين.

وبعد إقرار هذه الحقائق الهامة، لا يوجد فى الحقيقة المزيد مما يمكننى قوله. وأشكرك كثيراً على كل حال لأنك لم تتركينى بدون رسالة منك، وحتى اليوم. لكن غدا؟ لن أتصل تليفونيا لأن ذلك سيكون مثيراً للغاية أولاً، وثانياً لأنه سيكون مستحيلاً (ولقد استفسرت عن إمكان ذلك بالفعل ذات مرة)، وثالثاً لأننا سنرى أحداً الآخر عاجلاً. وسوء الحظ لم يتسع الوقت لـ (أوتلا) اليوم للذهاب إلى مركز البوليس بخصوص جواز السفر - غدا. نعم لقد رتبت أنت أمر الطابع بصورة ممتازة (وسوء الحظ قد أخطأت أنا فى وضع طوابع البريد السريع، ولقد أوشك الرجل أن يبكى بالدموع عندما حدثته عنها). لاشك أنك قد يسرت على نفسك أن تقدمى لى الشكر على الطوابع، لكننى قد سررت لهذا أيضاً، سررت سروراً زائداً بهذا حتى أننى سوف أرسل لك، تصورى، بعضاً من طوابع الفيلق الحربى. أما بخصوص سرد الحكايات الخرافية، فلست اليوم فى مزاج يصلح لهذا، لأن رأسى، أشبه ما تكون بمحطة سكة حديد، تغادرها قطارات، وتصلها أخرى، وتفتيش جمركى، ويمكن كبير مفتشى الحدود فى انتظار تأشيرتى. التأشيرة صحيحة هذه المرة - ها هى: «نعم، إنها تأشيرة صحيحة، ها هو الطريق إلى خارج المحطة». هل تفضل أيها السيد كبير مفتشى الحدود، بأن تزيد

فى كرمك معى، فتفتح لى باب الخروج، إننى لا أقوى على أن أفتحه
بنفسى. هل من الممكن أن يبلغ بنى الضعف هذا الحد البالغ، لأن
ميليئا تنتظر فى الخارج؟» فيقول: «أه، بالطبع، لم أكن أعلم هذا»
ويندفع الباب مفتوحاً.

السلامة

أخشى ألا يكون فى وسعى أن أستعد استعداداً جيداً جداً
لناسبة عيد ميلادك فلقد كان نومى أسوأ حتى من المعتاد، ورأسى
ملتهبة، وعينائى محتقنتان، وصدغى يؤلمنى، بالإضافة إلى السعال.
وأخشى ألا يكون بمقدورى أن أقوم بتلاوة تهنئة مسهبة لا يقطعها
لسعال. ولحسن الحظ أنه ليس لدى ثمة ما يدعو لتهنئة؛ فقط عبارات
الشكر على أنك تتواجدين فى هذه الدنيا، حيث لم يكن لى منذ
الوهلة الأولى أن أرتاب فى أن وجودك كان ممكناً (وبهذا ترين أننى
لا أملك معرفة كافية بالدنيا؛ أيضاً - فيما عدا أننى على نقيضك،
أسلم بها كما هى). وأنا أشكرك على وجودك (هل يعد هذا الشكر
امتناناً؟)، أشكرك بقبلة شبيهة تحديداً بتلك التى فزت بها على
محطة السكة الحديدية. وإن كنت لم ترضى عنها (لكننى اليوم أكثر
عناداً). لم أشعر بسوء حالتى إلى هذا الحد طوال الفترة الأخيرة،
فمن حين لآخر كنت أشعر أحياناً حتى، بأننى فى صحة جيدة جداً،
إلا أن أمتع أيام حياتى قد صادفنى منذ حوالى أسبوع. فمع كل ما
كنت عليه من فقدان للقدرة، كنت أواصل السير بلا نهاية حول
البركة فى داخل مدرسة تعليم السباحة، وكان الوقت يقترب من
المساء، ولم يكن قد بقى هناك الكثير من الناس، وإن يكن مايزال

يوجد عدد لا بأس به منهم، عندما اتجه نحوى مساعد مدرس السباحة (الذى لا يعرفنى) وتجول بنظراته العاجلة فيما حوله كما لو كان يتطلع باحثاً عن شخص ما، ثم انتبه إلى وجودى، أو بوضوح اختبرنى، ثم سألنى: «هل تحب أن تقوم بشوط تجديف؟» يبدو أنه كان هناك رجل ما، أحد المضاربين فى العقارات فيما أعتقد، كان قد وصل لتوه من جزيرة صوفيا، وكان يبحث عن يوصله إلى «الجزيرة اليهودية»، حيث يوجد مبنى هائل فوق تلك الجزيرة الأخيرة، حسناً، لا ينبغي على المرء أن يبالغ فى الأمر كله، لقد لاحظ معلم السباحة وجودى، وقرر أن يتيح للصبي البائس (الذى هو أنا) التمتع بنزهة مجانية بالقرب. ومع ذلك، فمراعاة لرجل المباني المهم كان عليه أن يختار صبيّاً يبدو عليه أنه أهل لكى يعوّل عليه ليس فقط من حيث قوته ومهارته فحسب، لكن أيضاً أن يكون صبيّاً لن يستغل القارب بعد أن يفرغ من أداء مهمته، فى نزاهات مختلصة، بل يعيده فى الحال، كل هذا كان هو قد ظن أنه قد عثر عليه فى شخصى. وانضم إلينا ترنكا العظيم (صاحب حمام السباحة الذى لا بد لى من أن أحديثك بالمزيد عنه يوماً ما) وتساءل إن كان الصبي يقدر على السباحة، فأكد له ذلك معلم السباحة الذى كان قد استطاع بوضوح أن يتكهن بكل شئ فقط بمجرد النظر إلى وجهى. ولم أكن قد تفوهت بكلمة. وجاء الراكب الآن وانطلقنا، وكسبى حسن السلوك، لم أكد أتحدث. قال هو إنها كانت ليلة سارة، وأجبت (نعم)، ثم أضاف قائلاً إنها على الرغم من ذلك كانت تميل إلى البرودة، وقلت (نعم). أخيراً قال إننى كنت أجدف بسرعة شديدة، وهو ما لم أستطع امتثانا أن أجد رداً عليه. ولا حاجة بى إلى القول بأننى قد بلغت شاطئ الجزيرة

بأفضل أسلوب ممكن، وغادر هو القارب، وشكرني، لكنه نسي أن
يتمحني بقشيشاً، وهو ما سبب لى إحباطاً (نعم، مادمت لست فتاة).
جذفت بالقارب راجعاً مباشرة كالسهم. وكان ترنكا العظيم مندهشاً
وهو يراني راجعاً بمثل هذه السرعة - حسناً، لم يحدث قط أن كنت
مفعماً بالزهو لفترة طويلة من الزمن كما كنت في تلك الأمسية،
أحسست وقتها بأننى قد ازددت جدارة بك، مجرد زيادة قليلة جداً
فى جدارتى، إلا أننى كنت عندها أكثر قليلاً فى جدارتى من المعتاد.
وكننت أنتظر فى كل أمسية منذ ذلك الوقت، فى مدرسة تعليم
السباحة، مترقباً عابراً آخر، لكن لم يظهر واحد حتى الآن.

فى الليلة الماضية، وخلال شبه إغفاءة قصيرة تراءى لى أنه كان
ينبغى لى أن أحتفل بعيد ميلادك بزيارة كل الأماكن الهامة فى
حياتك، وفيما بعد مباشرة، وبدون أى مجهود، وجدتتى أمام المحطة
الغربية. كانت مبنى بالغ الصغر، كما لم تكن تتسع فى داخلها
بمساحة تكفى أى قطار سريع يصلها لتوه، ولعربة واحدة، لم يكن
يوجد مكان لها، فكانت تبوكلها فى خارج المبنى. كنت مسروراً جداً
لحقيقة أنه أمام المحطة كانت تقف ثلاث فتيات فى ثياب لائقة تماماً،
وإن كن فى غاية النحافة (كانت إحداهن ضفيرة شعر طويلة) كن
ثلاث حمّلات للأمتعة، أدركت عندئذ أن ما كنت تقومين بعمله لم يكن
فى الحقيقة أمراً غير معتاد. على أننى كنت مسروراً جداً لأنك لست
الآن هناك معهن، على أننى كنت. أيضاً قد حزنت لأنك لم تكونى
هناك. لكن كنت من قبيل التأسى لحزنى قد عثرت على حقيبة يد
صغيرة كان أحد الركاب قد نسيها، وجذبت، لدهشة الركاب الواقفين
المحيطين بى، بعضاً من الأثواب الكبيرة من داخل الحقيبة.

الجزء الثانى بصفة خاصة من «تيبوس» ممتاز، حاد، وغاضب، ومعادٍ للسامية، ورائع، وحتى وقت قريب لم أكن قد أدركت مدى لدهاء الذى ينطوى عليه نشر المرء لما يكتبه. إنك تتحدثين إلى القارئ برصانة بالغة، وبحميمية زائدة؛ ويكل هذا الانشغال الملح، فلقد نسيت كل شئ آخر فى الدنيا، واستغرق القارئ وحده كل اهتمامك، لكنك فى النهاية تقولين فجأة: «هل ما كتبته شئ حسن؟ نعم، هو شئ حسن؟ حسناً لقد سررت، إلا أنني مع ذلك بعيد عنك كل هذا البعد فى المكان، ولن ألتقى منك أى قبلات كمكافأة؟».

وهذه هى النهاية فى الحقيقة، فلقد مضيت عنى بعيداً. هل تعلمين، بالمناسبة، أنك كنت قد أعطيت لى كهدية، بمناسبة (تثبيتى) (هناك أيضاً شئ ما يشبه تثبيتاً يهودياً)؟ لقد ولدت عام ٨٣، وكنت بهذا فى الثالثة عشرة من عمرى عندما ولدت أنت. إن عيد الميلاد الثالث عشر هو مناسبة خاصة. ففى أعلى هناك بالقرب من المذبح فى المعبد، كان على أن أتلو قطعة حفظتها عن ظهر قلب بصعوبة بالغة، ثم كان على فى المنزل أن أقوم بتوجيه خطبة قصيرة (محفوظة أيضاً عن ظهر قلب). تلقيت أيضاً هدايا كثيرة. لكننى أتصور أنني لم أكن راضياً بذلك كل الرضا، فثمة هدية خاصة كنت أفقدها عندي، ولقد طلبتها من السماء؛ فترددت إلى أن وهبتها لى فى ١٠ أغسطس.

بالطبع سوف أعيد قراءة الرسائل العشرة الأخيرة بسرور، على الرغم من أنني أعرف ما تحويه كل المعرفة فى الحقيقة، لكن عليك أن تعيدى قراءة رسائلى أنت أيضاً، وسوف تجددين فيها تساؤلات

مدرسة بنات باكملها.

سوف نتحدث عن الأب في جموند.

واجهتني «جريتة» وكالمعتاد عندما أواجه بفتيات، أكون عاجزاً. هل كانت لدى قط حتى الآن فكرة ما تتعلق بك؟ لا أستطيع أن أتذكر. أحب أن أمسك بيدك في يدي، وأحب أن أتطلع في عينيك. هذا هو كل ما يدور حولك، فلتغربي يا «جريتة»! وبقدر ما يتعلق الأمر بـ«عدم كسب» - «لا يمكنني أن أفهم كيف أن شخصاً كهذا...» (يواجهني نفس اللغز أنا نفسي: إنه لغز، لا أظن أننا سنتمكن من حل مغزاه - حتى لو اشتركنا معاً في ذلك. وهو علاوة على ذلك يعد تجديفاً. وعلى أية حال، فأنا لا أنوي أن أبدد دقيقة واحدة بشأنه في جموند - إغني أدرك الآن أنه سيكون عليك أن تكذبي، أكثر مما سيتعين على أن أكذب. وإنني لأشعر لهذا بالضيق. فإذا حدث أن كان ثمة عقبة جدية، فلتبق في شينا أياً كان الحال - حتى بدون أن تتيجي لي أن أعلم بذلك، وسأكون قد قمت فحسب بمجرد رحلة قصيرة إلى جموند، وسأكون أقرب إليك بما يساوي ثلاث ساعات. لقد حصلت بالفعل على تأشيرة جواز السفر. أخشى أنك لن تتمكني من الاتصال بي برقياً؛ على الأقل ليس اليوم، بسبب إضرابائكم.

الأربعاء

لا أفهم التماسك للصفح، فلو كان الأمر قد انتهى، فليس هناك ما يدعوني إلى القول بأنني أصفح عنك. لقد كنت صارماً فقط طالما كان

الأمر لم يبلغ بعد نهايته، وفي ذلك الوقت لم تكونى تنزعجى بشأنه، وكيف كان لى ألا أصفح عنك بخصوص أمر قد انقضى؟ وإلى أى حد تبدو عليه الأشياء مضطربة لابد، فى عقلك، حتى يكون، يكون فى مقدورك أن تصدقى شيئاً مثل هذا!

لا أحب المقارنة بينى وبين والدك، على الأقل فى الوقت الحاضر، هل أخسرك أنت أيضاً؟ (ثقى بأننى لا أتمتع بالطاقات التى يتمتع بها والدك، والتى يتطلبها ذلك) لكن لو كنت تصرين على عقد المقارنة، فمن الأفضل عندئذ أن تعيدى إلى الصادر الصوفى.

إن شراء وإرسال الصادر الصوفى كان بالمصادفة، قصة ستمرت على مدى ثلاث ساعات، وهى القصة التى - كنت فى أشد الحاجة إليها وقتها - أنعشتنى، والتى أشعر بالامتنان لك بسببها. إننى متعب فلا أقوى على سردها لك اليوم، فهذه هى اللبنة الثانية التى أقضيها بدون نوم. هل أنا أضعف من أن أتماسك قليلاً حتى أحظى بمدحك لى فى جموند؟

تخيلى نفسك تحسدين تلك السيدة المسافرة إلى أمستردام لاشك أن ما فعلته كان شيئاً حسناً، لو كان ما فعلته قائماً على اقتناع منها بذلك، لكنك ارتكبت خطأ واحداً منطقياً. ذلك أن الشخص الذى يعيش على هذه الحال، تعد الحياة بالنسبة له إرغاماً، وأما بالنسبة للشخص الذى لا يمكنه أن يعيش على هذا النحو، فسوف تكون الحياة حرة. إن الحال على هذا النحو نفسه فى كل مكان. وفى التحليل الأخير فمثل هذا (الحد) ليس سوى رغبة فى الموت.

وبقدر ما يتعلق الأمر بـ«ماكس»، لك أن تفعلى ما تشائين. لكن

بما أننى أعرف الآن تعليماتك الموجهة إليه، فسوف أرغم نفسى، عندما تبدأ النهاية فى الاقتراب، على الذهاب إليه، وأعرض عليه القيام برحلة قصيرة تستغرق عدة أيام «لأننى أشعر بالقوة الزائدة على نحو خاص» ثم بعدئذ أزحف عائداً إلى منزلى، لكى أتمدد هنالك للمرة الأخيرة.

هذه بالطبع هى الكيفية التى أتحدث بها طالما أنها لم تنته إلى صميم الموضوع، لكن ما إن تبلغ درجة حرارتي ٣٧,٥ ° (٣٨ ° فى المطر) فإن ساعة الرسائل البرقية سيتعثرون أحدهم فى أعقاب الآخر صاعدين درجات سلمك الممتد. وأمل يكونوا مشاركين فى إضراب عن العمل عندئذ، وليس فى لحظة كتلك التى يناسبها الإضراب الآن، فى مناسبة عيد ميلادك.

لقد استقبل مكتب البريد بغاية الحرفية تهديدي بعدم إعطاء طوابعى للرجل، وقد أزيل طابع البريد المستعجل بالفعل قبل أن يصلنى. بالمناسبة، يجب أن تفهمى ما الذى يسعى الرجل خلفه، ولا ينبغى لك أن تظنى أنه يجمع طابعاً واحداً من كل سلسلة من لطابع، إن لديه صفحات واسعة لكل سلسلة منها، ولديه مجلدات كبيرة الحجم تضم هذه الصفحات، وعندما تمتلئ إحدى صفحات سلسلة من هذه السلاسل، يلحق بها صفحة جديدة، وهكذا. وفى كل فترة من فترات ما بعد الظهر يجلس إلى هذه الصفحات، ويهذا يكون لدينا، ومرحاً، وسعيداً، ومع كل سلسلة يكون لديه سبب جديد للسعادة. اليوم مثلاً بخصوص الطابع ذات الخمسين «هيلر». فسوف تزداد اثمان طابع البريد قريباً (أيها المسكينة ميلينا) وسوف تصبح الطابع ذات الخمسين «هيلر» أكثر قيمة!

يعجبني ما تقولينه عن (كرويتسن) (وليس عن «أفليز» التي هي مصحة حقيقية لأمراض الرئة؛ إنهم يحققون المرضى هناك، أف! فلقد كانت هي المحطة الأخيرة لأحد الكتبة فى مؤسستنا قبل وفاته بالسل). إننى أحب هذا النوع من الأماكن الريفية، كما أنها أماكن لها أيضاً ذكريات تاريخية، لكن هل تظل مفتوحة فى أواخر الخريف وهل يقبلون فيها الأجانب، وهل مثل هذه الأماكن ليست باهظة الثمن بالنسبة للأجانب. وهل أى شخص فيما عداى يمكنه أن يفهم لماذا كان على أن أذهب إلى بلد التصور جوعاً لكى أزداد سمته؟
إلا أننى سأكتب إليهم.

بالأمس تحدثت مرة أخرى مع ذلك الـ(شتاين). إنه أحد هؤلاء الذين حاقت بهم المظالم العامة لست أدري لماذا يضحك منه الناس. إنه يعرف كل شخص ، يعرف كل التفاصيل الشخصية، وهو فى الوقت نفسه متواضع، وأحكامه تقوم على اهتمام شديد، وتندرج فى مهارة، ويفهمها الاحترام؛ فإن كانت واضحة بدرجة زائدة قليلاً، وخاوية للغاية فى براعتها، فهى إنما تزيد فى قيمته، هذا على فرض أن المرء يعرف حقيقة الأشخاص المزهوين الفامضين الشهوانيين الإجراميين. بدأت أتحدث فجأة عن «هاس»، وتسلفت إلى ما وراء «يارميللا»، وتوصلنا بعد قليل إلى زوجك، وأخيراً - وليس صحيحاً بالمناسبة أننى أستمتع بسماع التقارير التى تتناولك، فقط أريد أن أسمع .سمك المرة بعد المرة، طوال النهار. ولو كنت قد سألتك لكان قد أخبرنى أيضاً بالكثير عنك، لكن طالما أننى لم أطلب منه ذلك فقد قنع بتقرير حقيقة (ندم مخلصاً على إعلانها لى) أنك لا تكادين تشعرين بالحياة، وأن الكوكابين كاد أن يدمر حياتك (كم كنت ممتهناً

فى تلك اللحظة، لكونك مازلت فى عالم الأحياء)، وأضاف حذراً، وفى تواضعه المعتوهة، بأنه لم يشهد ذلك هو نفسه بعينه، وإنما فقط قد سمع به. أما عن زوجك فقد تحدث، وكأنه يتحدث عن ساحر غلاب. كما أضاف أيضاً اسماً جديداً على سمعى، يرجع إلى عهد (براغ (كرايدلوفاً) فيما أعتقد. كان سيستمر فى الحديث على هذا النحو لبعض الوقت، لكننى استأذنت فى مغادرته، كنت قد أحسست بالغثيان قليلاً، ومن نفسى أيضاً علاوة على ذلك، لأننى كنت أسير هناك بجواره صامتاً، أستمع إلى أشياء لم أكن قد أردت سماعها، ولا كانت تتعلق بى.

أكرر: إذا حدث أن قامت أية عقبة أمكنها أن تسبب لك أدنى معاناة - فلتبقى فى فيينا - إذا لم يكن من ذلك بد، حتى بدون أن تحيطينى علماً بذلك، لكن لو غادرتها بالفعل، فعليك أن تجتازى حاجز الحدود فى الحال. فلو حدثت مصادفة ما، فى تلك اللحظة التى لا يمكن التنبؤ بها بالمرّة، ولم أتمكن من المغادرة ولم أستطع. الوصول إليك فى فيينا (وفى مثل تلك الملابس سوف أتصل برفيقاً بالسيدة ك.)، فسوف تجدين برفقة فى انتظارك فى فندق المحطة فى جموند.

هل وصلتك الكتب الستة كلها ؟

فى أثناء قراعتى قصتك «المقهى» كان قد جاغنى إحساس مماثل عند استماعى إلى شتاتين فيما عدا أنك تسردين قصة أفضل كثيراً مما يفعل، فمن ذا الذى يحكى قصة بمثل هذه الجودة؟ لكن لماذا

تحكيها لكل شخص ممن يبتاعون صحيفة «تريبونا»، في أثناء قراعتها لها أحسست كما لو أنني كنت أسير ذهاباً وجيئة أمام المقهى، نهراً وإيلاً لسنوات؛ وفي كل مرة يصل إليها أو يغادرها أحد روادها كنت أقنع نفسي من خلال النظر إلى بابها المفتوح أنك كنت مازالين بداخلها، ومن ثم كنت أواصل التجوال، وكنت أنتظر. ولم يكن انتظاري حزيناً، ولا كان مجهداً، فأني حزن أو إجهاد في أن أنتظر خارج مقهى تجلسين بداخله!

الخميس

كون مونشهاوزن قد قام بأداء مهمته كما يجب، فهو أمر قد أبهجنى كثيراً جداً، وهو في الحقيقة كان قد أنجز مهاماً أكثر كثيراً في صعوبتها قبل الآن. وهل ستعال الورود أيضاً العناية بها مثل الزهور الأخرى؟ وما هي أنواع تلك الزهور؟ ومن هو مصدرها؟ سؤالك عن جموند، كنت قد أجبتك من قبل أن توجيهي إلى. حاولي أن تقللي من إيلايك لنفسك إلى أقل حد ممكن، فعندئذ سوف يكون إيلايك لي أقل. لم أدرك كما ينبغي لي أنه كان عليك أن تكذبي كل هذا الكذب، لكن كيف يمكن لزوجك أن يظن أنني لا أقوم بكتابة الرسائل لك، وأنني لا أود رؤيتك بعد أن أتيتك لي رؤيتك ذات مرة؟ أنت تكتبين لي قائلة بأنك أحياناً ما تشعرين بالرغبة في وضعي موضع الاختبار. ولقد كانت هذه الفكرة هي مزحة فحسب، ألم تكن كذلك؟ أرجو ألا تفعلوها. إن عملية التعرف في حد ذاتها تستلزم طاقة كافية، فأني قدر من الطاقة زيادة على ذلك يستلزمه العجز عن التعرف!

(١) يبدو واضحاً أنها إعلانات عن تجار القراء في فيينا.

إننى مسرور للغاية لأن الإعلانات^(١) قد راقت لذوقك. فلتأكلى، عليك فقط أن تأكلى! ربما لو بدأت فى التوفير اليوم، وانتظرت أنت عشرين عاماً، وأصبح الفراء أرخص ثمناً (لأنه فى ذلك الحين ربما تكون أوروب قد أصبحت خراباً، وراحت حيوانات الفراء تجرى فى أنحاء الشوارع)، ربما يكون ممكناً عندئذ وجود ما يكفى من النقود لشراء فراء.

وهل تعلمين بالمناسبة، متى سأحصل فى النهاية على بعض النوم؟ ربما فى ليلة السبت أو ليلة الأحد؟ حسناً، لمعلوماتك، هذه الطوايع مرتفعة الثمن - كانت هى رغبته الخاصة (ليس لديه شئ سوى رغبات «خاصة») - يقول إن «هذا جمال، هذا جمال»، فأية أشياء يجب أن يراها فى هذه الطوايع! والآن سوف أكل، ثم أذهب إلى (مكتب التحويلات) - ويعمل صباحاً.

الجمعة

لست أدرى تماماً لماذا أكتب، ربما بدافع من العصبية، كما كان بدافع العصبية أن أرسلت لك هذا الصباح رداً برقياً أخرق على الرسالة المستعجلة التى تسلمتها الليلة الماضية. وعندما أستفسر عند (شنكر) بعد ظهر اليوم سوف أرسل إليك رداً فورياً.

إن المراسلة بيننا حول هذا الموضوع تعيد المرء المرة تلو المرة إلى الخلاصة بأنك قد ارتبطت بزوجك بكل الروابط فيما عدا رباط الزواج المقدس الوثيق (كم أنا عصبي المزاج، لا بد أن سقينتى قد فقدت

دفتها على نحو ما، خلال هذه الأيام الأخيرة)، وارتبطت أنا بزواج مماثل أيضاً بـ - لست أدري بمن، إلا أن عين تلك الزوجة المربعة غالباً ما تستقر على؛ وإننى لأشعر بهذه النظرة. والشئ الغريب أنه مع أن كل من هاتين الزوجتين تعد رباطاً وثيقاً لا انفصام له، حتى أنه لا يبقى شئ يمكن أن يقال عن الموضوع، إلا أن عدم قابلية أحد الزوجتين للانفصام، على الرغم من ذلك تشكل استعصاء الزيجة الأخرى على الانفصام، أو على الأقل توثق رباطها والعكس بالعكس، هو ما يحدث في حالة الزيجة الأخرى، إلا أن ما يبقى هو لا شئ سوى الحكم كما تمت صياغته بمعرفتك

«ذلك لن يكون أبداً»، ودعينا لا نتحدث ثانية أبداً عن المستقبل، فقط عن الحاضر.

هذه الحقيقة هي حقيقة مطلقة راسخة، وهي للعمود الذى تستقر فوقه الدنيا، ومع ذلك فإننى أعتزف أنه، فى إحساسى (فى إحساسى وحده مع ذلك، تبقى هذه الحقيقة، حقيقة مطلقة)، هل تعرفين إننى، عندما أحاول أن أكتب شيئاً من قبيل ما يلى، تبدأ السيوف التى تحيط بى، حوافها فى دائرة، فى الاقتراب ببطء من الجسد، ويكون العذاب أقصى ما يكون، عندما تبدأ هذه الحواف فى كشط جسدى، لا أقصد وخزه، وإنما عندما تشرع فحسب فى كشط جسدى، تبدو مربعة بالفعل غاية الرعب، حتى أننى أخونك فوراً، وعند الصرخة الأولى، وأخون نفسى، وأخون كل شئ) - وأننى على أساس من هذا الوهم وحده أعتزف أن مثل هذه المراسلة حول هذه الموضوعات تبدو لى فى إحساسى (أكرر مرة أخرى، وبحياتى، أنها تبدو لى فقط فى

إحساسى) كما لو كنت أعيش فى مكان ما فى أفريقيا الوسطى، وأننى قد عشت هناك حياتى كلها، محاولاً أن أنقل لك، أنت التى تعيشين فى أوروبا، أرائى الراسخة فيما يتعلق بالتطور السياسى المقبل. إلا أنها مجرد مجاز! مجاز غبى أخرق، زائف، عاطفى، بائس، أعمى عن عمد. صدقيني، سيوفى ليست شيئاً آخر.

أنت على حق فى اقتباسك لى من رسالة زوجك. وإن كنت لا أفهم كل شئ فهماً تاماً (لاترسلى إلى الرسالة)، وأكثر ما أدركه - أن هذه الرسالة قد كتبها رجل (غير متزوج) يريد أن يتزوج. ما أهمية «عدم وفائه» العرضى، الذى لا يعد حتى انعداماً للوفاء، ذلك أنكما كلاكما باقياان على الطريق نفسه، فيما عدا أنه يتفق له على هذا الطريق أن يضل قليلاً إلى ناحية اليسار؟ أية أهمية لهذا «الانعدام للوفاء» الذى لم يتوقف قط علاوة على ذلك عن صب أعرق مشاعر السعادة حتى فى غمار أشد حالات حزنك؟ أى أهمية لهذا «الانعدام للوفاء» عند مقارنته بعبوديتى الأبدية؟

لم أسئ فهمك فيما يتعلق بأمر زوجك. أنت تصبين سر تماسك الذى لا سبيل إلى تحطيمه، تصبينه كله، هذا السر الثرى الذى لا ينفد، المرة بعد المرة فى القلق الذى يشغلك بشأن حذائه ذى الرقبة. شئ ما فى هذا الانشغال يعذبني، لست أدري بالضبط ما هو. إن الأمر فى النهاية غاية فى البساطة: فلو كان لك أن تتركه لكان عليه إما أن يعيش مع امرأة أخرى، أو أن يذهب ليعيش فى نزل، وسوف يتم تنظيف حذائه ذى الرقبة بعناية أفضل مما يلقاها الآن. هذا أمر

سخيف، وهو ليس سخيلاً أيضاً، لست أدري ماذا يعذبني إلى هذا الحد كله في هذه الملاحظات، ربما تعرفين أنت؟

لم يكن يوم عيد ميلادك ليضيع لو كنت قد كتبت لى قبل حلوله بخصوص النقود سوف أحضرها معى - ويحتمل ألا يرى أحداً الآخر على أى حال، فى هذا الاضطراب الذى قد يحدث بسهولة، ثمة شئ آخر. أنت تكتبين عن الناس الذين يقضون أمسياتهم وصباحاتهم معاً، وعن أولئك الذين لا يفعلون ذلك، ويبدو لى أن وضع الناس لأخيرين هو الوضع الذى أفضله أكثر، لقد فعلوا أمراً سيئاً يقيناً أو احتمالاً، وقذارة هذا المشهد تستمد وجودها أساساً كما تقولين بحق، من كونهم غريباء، وإنها لهى قذارة مائة، تشبه قذارة شقة لم يشغلها سكان قط، ثم تنفتح فجأة على اتساعها. هذا سئ حقاً، إلا أن شيئاً حاسماً لم يحدث؛ لا شئ حاسم حقاً، لا فى السماء ولا فوق الأرض، لا شئ بالفعل سوى (لعب بكرة) كما تسمينه أنت. إنه كما لو كانت حواء عندما قطفت التفاحة حقاً من الشجرة (أحياناً ما أعتقد أننى أفهم سقوط الإنسان كما لم يفهمه غيرى) كانت قد فعلت ذلك على أى حال لمجرد أن تريها لأدم - لأنها أعجبتها. لكن كان قضم التفاحة هو الفعل الحاسم - أما اللعب بها، وإن لم يكن مسموحاً به، إلا أنه لم يكن مع ذلك ممنوعاً.

الثلاثاء

وعلى هذا فلن أحصل على رد لهذه الرسالة لعشرة أيام أخرى أو أربعة عشر يوماً. وبمقارنة ذلك بالماضى القريب، يكاد يبدو هذا وكأنه

هجر، أليس كذلك^(١).

وأشعر الآن بالذات كما لو كان لابد لى أن أخبرك بعدة أشياء، لا يمكن التعبير عنها، ولا كتابتها، ليس لكى أحاول بواسطتها إصلاح شيء أفسدته فى جموند، ولا لكى أنتقل شيئاً ما من الفرق، بل لكى أساعدك على أن تتفهمى بعمق طبيعة أحوالى، وذلك حتى لا تهربى مذعورة بعيداً عني - وما أود أن أخبرك به هو، على الرغم من كل شيء، مما يمكن أن يحدث بين الناس. أحس أحياناً كما لو كنت أحمل تلك الأثقال الزائدة من الرصاص حتى ليتعين على فى كل لحظة أن أغطس متجرجراً إلى أعماق البحار، وأن الشخص الذى يحاول أن يمسك بى، أو حتى يحاول أن (ينقذنى)، سوف يكف عن محاولته، ليس لضعفه. ولا حتى ليأسه، بل مجرد الضيق المحض. ولا يقال هذا بالطبع لك، بل يقال لانعكاس واهن لشخصك، انعكاس لا تكاد تتحقق منه رأس مرهقة خاوية (ولا أقول رأساً نعسة أو متهيجة، لأنها حال يوشك المرء على الامتنان لها لو كانت كذلك).

حسناً، ذهب بالأمس لزيارة «يارميللا». ولما كانت هذه الزيارة قد بدت لى زيارة هامة بالنسبة لك فلم أرد تأجيلها. حتى ولو ليوم واحد، أيضاً، ولكى أكون صادقاً فإن فكرة أنه سيتعين على الآن أن أتحدث إلى «يارميللا» كانت قد جعلتنى قلقاً، ولهذا فضلت أن أنتهى منها فى الحال، على الرغم من كونى لست حليقاً (ولم نمو شعرى عندئذ مجرد قشعريرة فوق مسام الجلد، وهو ما ظننت بقرر ما يتعلق بذلك نجاح مهمتى أنه لن يؤدي إلى أى ضرر. ذهبت إلى هناك حوالى الساعة السادسة والنصف، ولم يرن جرس الباب، ولم تكن هناك

(١) كانت ميلينا فى سانت جيلجن.

فائدة من الطرق على الباب، ولم تكن توجد نسخ من صحيفة (نارودنى لستى) فى صندوق البريد، وكان واضحاً أنه لا يوجد أحد بالمنزل، ظلت واقفاً فى المكان لفترة قصيرة، ثم اقتربت امرأتان قادمتان من الفناء، كانت إحدهما هى «يارميللا»، وربما كانت الأخرى أمها. عرفتى. فى الحال، على الرغم من أنها لم تكذب تشبه الصورة الفوتوغرافية، ولم تكن تشبهك على الإطلاق.

غادرنا المنزل على الفور ولمدة عشر دقائق رحنا نتمشى ذهاباً وجيئة خلف الأكاديمية الحزبية السابقة. وكان أكثر ما دهشت له حقيقة أنها كانت على عكس تنبؤك ثرثرة جداً، وإن يكن فحسب على مدى هذه الدقائق العشر. تكلمت بلا انقطاع على الأغلب. ولقد ذكرتني كثيراً جداً بتلك الثروة التى غلبت على رسالتها تلك التى أرسلتها أنت لى ذات مرة، ثروة كان تبدو مستقلة كل الاستقلال عن المتحدثة. ولقد كانت هذه الثروة لافتة للنظر لأنها لم تكن تتناول تلك التفاصيل العينية كالتى وردت بتلك الرسالة. كان اضطرابها مما يمكن تفسيره جزئياً بحقيقة أنها، كما أوضحت، كانت قد أثرت لأيام بخصوص «المسألة»^(١)، وكانت قد أبرقت لـ«هاس» بخصوص (فيرفل) (بون أن تتلق رداً حتى الآن؛ وكانت قد أبرقت، وكتبت رسالة عاجلة لك، وأحرقت الرسائل فى الحال بناءً على اقتراحك، ولم يكن فى استطاعتها أن تفكر فى أى وسيلة يمكنها بواسطتها أن تهدئ خواطرك بسرعة، وبهذا كانت قد رأت أن تحضر لزيارتي فى هذه الظهيرة لكى تتحدث على الأقل إلى شخص ما على علم هو أيضاً بالأمر كله.

(١) فيما يبدو بخصوص (مسألة) الرسائل بلا توقيع.

(إنها فيما يبدو واقعة تحت تأثير الانطباع بأنها تعرف مكان إقامتي، والسبب في هذا هو ما يلي: ذات مرة - وأظن أن ذلك كان في الخريف أو كان في الربيع، فلست متأكدًا، كنت قد ذهبت للتجديف مع «أوتلا»، والصغيرة «روزنكا»، وهي البنت التي كانت قد تنبأت في قصر (شونبورن) باقتراب نهايتي، وأمام الـ(رودولفينوم) قابلنا «هاس» ومعه امرأة لم أكن حتى قد لاحظت وجودها وقتها؛ وكانت هذه المرأة هي «يارميللا». وذكر «هاس» لها اسمي، وتذكرت «يارميللا» أنها كانت قد تحدثت مع شقيقتي قبل سنوات في حمام السباحة المدني. ولما كان حمام السباحة المدني مكانا مسيحيا جداً في تلك الأيام، فقد بقيت «أوتلا» ماثلة في ذاكرة «يارميللا» باعتبارها حالة يهودية، نادرة. في ذلك الوقت كنا نقطن في مواجهة حمام السباحة. وكانت «أوتلا» قد أطلعته على شقتنا، وبهذا فهذه هي القصة بأكملها، وكان هذا هو السبب في أنها كانت بالغة السعادة، من أعماقها، لأنني كنت قد حضرت، وبالغة الحيوية - ولم تكن سعيدة فوق هذا، فيما يتعلق بتلك التعقيدات، التي كانت بكل تأكيد، بكل تأكيد، قد بلغت غايتها، تلك التعقيدات التي كما أكدت هي لي في انفعال، أنها تعقيدات أن يكون لها بكل تأكيد، بكل تأكيد، أية عواقب لاحقة. ولم أكن قد أشبعت طموحي مع ذلك؛ كنت قد رغبت في الحقيقة، دون أن أدرك أهمية المهمة التي كان على أن أقوم بها، إلا أنني كنت قد استغرقت في القيام بها كل الاستغراق - في إحراق. لرسائل بنفسي، ونثر رمادها من أعلى الشرفة.

أما عن نفسها فلم تذكر سوى القليل؛ وأنها تجلس في المنزل طوال الوقت ويبرهن وجهها على ذلك وأنها لا تحدث أحداً،

وأن مغادرتها للمنزل لا تتعدى مرة من وقت لآخر تذهب فيها لتبحث عن شئ فى إحدى المكتبات، أو لكى تقوم بإرسال رسالة من وقت لآخر. وفيما عدا ذلك، فقد تحدثت فقط عنك (أو لعلى أنا الذى كنت قد تحدثت عنك؛ يصعب على المرء أن يميز حقيقة ذلك فيما بعد)؛ وعند ذكرى للسعادة الهائلة التى كان قد سببها لك تصورك، من خلال قراءتك للرسالة التى وصلتك من برلين - إمكان قيام «يارميللا» بزيارتك؛ قالت إنها لا تكاد تفهم إمكانية السعادة، وآخر ما يخطر على بالها أن تفهم أن ثمة من يمكن أن تتيج له هى أن يسعد. ولقد بدا ذلك بسيما ومقتعا. قلت إن الأزمان القديمة لا يمكن لها أن تنمحي تماما، وببساطة؛ وإنها تتضمن دائما إمكانيات يمكنه أن تعود إلى الحياة. قالت، نعم؛ ربما أمكن أن يحدث هذا لو كان لكما أن تتواجد معا، وإنها بدأت أخيراً تتطلع تطلعا زائداً إلى رؤيتك؛ ولقد بدا لها أنه من الطبيعى للغاية، ومن الضرورى أن تتواجدى هنا - أشارت عدة مرات أمامها إلى الأرض، وكانت يداها أيضا مفعمتين بالحيوية، - هنا، هنا، هنا.

وأمام المنزل ودّع أحدها الآخر بكلمات مقتضبة قبل هذا، كانت قد أثارت ضيقى على نحو ما بقصة معقدة عن صورة فوتوغرافية لك جميلة على نحو خاص، كانت تريد أن تريها لى. وأخيراً اتضح أنها مباشرة قبل رحلتها إلى برلين، عندما كانت تقوم بإحراق كل أوراقها ورسائلها، كانت قد ثبتت هذه الصورة على الحائط، وإنها فى هذه الظهيرة بالذات كانت قد بحثت عنها ثانية بلا جدوى.

ثم أرسلت لك برقية تتصف بالمبالغة فى الكيفية التى تم بها تنفيذ تعليماتك. لكن هل كان يسعنى أن أفعل أكثر مما فعلت؟ وهل أنت

راضية عني؟

لا معنى لأن استعطفك، بما أنك لن تتسلمى هذه الرسالة قبل أسبوعين، لكن ربما أمكن فقط إضافة صغيرة ما إلى افتتقار الالتماس من كل معنى: أرجوك لا تدعى نفسك للخوف يبعدك عني، فلو كان من الممكن أصلاً في هذه الدنيا المقلقة (حيث، إذا حدث أن انجرف المرء بعيداً، فهو إنما يكون قد انجرف بعيداً، ولا حيلة له في ذلك) - لا تدعى نفسك للخوف يبعد بك عني، حتى لو خيبت أملك مرة أو ألف مرة، أو خيبت ظنك الآن بالذات أو ربما الآن بالذات دائماً في الحقيقة ليس هذا التماساً، ولا هو موجه إليك، ولا أدري إلى أين يتخذ وجهته. هو ليس سوى التنفس الذي ضيق عليه الصدر المقهور.

الأربعاء

رسالتك في صباح الاثنين. حتى منذ صباح ذلك الاثنين أو حتى منذ ظهر الاثنين، عندما كان التأثير الخير للترحال (وكل رحلة بعيداً عن أي شيء آخر، هي في ذاتها، راحة، هي شعور المرء بأنه قد أخذ بخناق، بأنه قد امتز كياناً، واهتز) قد بدأ يتلاشى على نحو ما - منذ ذلك الحين، كنت قد رحت أغنى لك بلا انقطاع أغنية واحدة، هي أغنية مختلفة باستمرار؛ ودائماً هي نفسها، ثرية كالنوم بلا أحلام، مضجرة ومذهكة حتى أنني كنت في أثنائها أحياناً ما أستغرق في النوم. فلتسعدى لأنه ليس عليك أن تسمعها، اسعدى بأنك مصنونة ضد رسائلي طوال كل هذا الوقت.

أه، المعرفة بالطبيعة البشرية! ما الذي على أن أتخذ ضد قيامك

بتلميع الأحذية ذات الرقبة تلميعاً له كل هذا الجمال! قومي بتلميعها تلميعاً جميلاً بكل ما فى وسعك، ثم ضعيها فى أحد الأركان، وتخلصى من هذا الأمر. المسألة فقط هى أنك تقومين بتلميعها فى عقلك طوال اليوم، يعذبني هذا أحياناً (ولا ينتهى بتنظيف الأحذية ذات الرقبة).

الخميس

ظللت متطلعا إلى سماع عبارة أخرى، هى هذه: - «أنت لى». ولماذا هذه العبارة بالذات؟ إنها حتى لا تعنى الحب، بل تعنى بدلاً منه القرب والليل.

نعم، كانت الكذبة هائلة وشاركت أنا فيها. لكن ما كان أكثر منه سوءاً هو أنني كنت مع نفسى، فى الركن، أتصنع البراءة.

ولسوء الحظ دائماً ما تعطيننى أنت تعليمات تكون قد تم تنفيذها بالفعل عندما أصل إلى هناك، هل تثقت بى قليلة إلى هذا الحد أو أنك إنما تحاولين أن تمنحيني بعضاً من الثقة بالذات؟ إنها محاولة تبدو لى فى هذه الحالة بالغة الشفافية.

لا أفهم ما هى علاقة برقية «يارميللا» (والتي كانت قد أرسلتها أصلاً قبل لقائى بها) بى أوحتى بالغيرة. بدا أن زيارتى حقاً قد جلبت لها السرور (وهذا فى صالحك)، ولكن رجلى قد جلب لها من السرور قدراً أكبر بكثير (الصالحى، أو بالأحرى الصالحها).

كان فى مقبورك بالفعل كتابة كلمات قلائل أخرى عن نوبة البرد. هل أصبت بها فى جموند، أو فى طريق عودتك إلى المنزل، من

مشرب القهوة؟ هنا، بالمناسبة، لا يزال الجو صيفاً جميلاً، حتى لقد
أمطرت فقط يوم الأحد في جنوب بوهيميا.
كنت مختلاً، فقد كان في وسع الدنيا كلها أن ترى من ملابسى
الغارقة في البلل أنني كنت قادماً من اتجاه جموند.

الجمعة

بالقراءة على مسافة ملاصقة للعين مباشرة لا يسهل المرء أن يفهم
مطلقاً هذا البؤس الذى تعيش فيه هذه اللحظة، لذا يتعين على المرء
أن يمسك الرسالة على مسافة أبعد قليلاً، لكن حتى فى هذه الحالة
أيضاً لا يكاد يبدو الفهم ممكناً.
لقد أسأت فهم تلك الملاحظة عن المخالب - ولقد كانت فى الحقيقة
ملاحظة مبهمة. وما تقولينه عن جموند هو حق بأوسع المعانى. أذكر
على سبيل المثال، سؤالك لى عما إذا كنت قد أخلصت لك فى براغ،
لقد كان سؤالاً نصفه مزاح، ونصفه جد، ونصفه لامبالاة (ومرة
أخرى هذه الثلاثة أنصاف، فقط لأنه كان مستحيلاً). إن لديك
رسائلى ومع ذلك تسألين مثل هذا السؤال. فهل كان هذا سؤالاً
ممكناً؟ لكننى وكما لو لم يكن هذا كافياً، قد جعلته أنا أكثر
استحالة، قلت، نعم، لقد كنت مخلصاً لك. فكيف يتسنى للمرء أن
يتحدث بمثل هذا؟ وفى ذلك اليوم تحدثنا واستمع أحدهما للآخر،
غالباً، ولوقت طويل وكأنتنا غريبان.
بالأمس مع اقتراب المساء جاءت يارميلا لزيارتى (لست أدرى

كيف عرفت عنوانى الحالى). لم أكن بالمنزل، فتركت رسالة لك، وكلمة بالقلم الرصاص تطلب منى فيها أن أرسل لك الرسالة، لأنها وإن كانت تعرف عنوانك فى الريف، إلا أنه لا ييسر لى عنواناً أمناً بما يكفى بالنسبة لها.

الاثنين

حسناً، لم تستغرق وقتاً طويلاً جداً، على كل حال، فلقد تسلمت الرسالتين القادمتين من ساليورج، ولعل الأمور أن تسفر عن خير فى جلجن، وأؤكد بأن الخريف قد حل هنا بالفعل، وهذا ما لا يمكن إنكاره، أحس بسوء حالتي، كما أشعر بتحسنها، تبعا للكيفية التى يراها بها المرء. أمل أن تستمر صحتى وقتاً ما إلى داخل فصل الخريف، وسيكون لنا أيضاً أن نكتب أو نتحدث عن جموند - وهذا جزء من شعورى بسوء حالتي. أرفق مع رسالتى هذه رسالة يارميللا. ولقد رددت على زيارتها بإشارة لاسلكية قائلاً إننى بالطبع سأرسل رسالتها بكل سرور، لكن على ألا تكون قد تضمنت أى شئ عاجل، لأننى لم أكن أظن أننى سأهتدى إلى عنوانك فى أقل من أسبوع. ولم تكتب هى ثانية.

(فى الهامش الأيمن): لو أمكن، أرجو أن ترسلنى رؤية عينية لشقتك.

قرأت أولاً الرسالة المكتوبة بالقلم الرصاص. وفي رسالة الاثنين، تطلعت إلى فقرة فيها تحتها خط، ثم قررت أن أتركها بعضاً من الوقت، كم أنا قلق، وبإلها من حال تأثير الرثاء عندما لا يكون في مقدور المرء أن يلقي بنفسه ويكل كيانه إلى كل كلمة، حتى لو أن هذه الكلمة قد تعرضت لهجوم ما، لأمكن للمرء أن يحمي نفسه بكاملها أو أن يتحطم كلية. لكن هنا، أيضاً، لا يوجد الموت وحده، بل توجد أيضاً الأمراض.

وحتى قبل أن أفرغ من قراءة الرسالة - تذكرين شيئاً مماثلاً قرب نهايتها - طرأ على بالي إن لم يكن ممكناً بالنسبة لك أن تمكثي هناك، مزيداً من الوقت، وقتاً يعتد بقدر ما يسمح الخريف. ألا يمكن ذلك؟ وصلت الرسائل من سالزبورج بسرعة، أما الرسائل القادمة من جلجن فقد استغرقت بعضاً من الوقت، إلا أنني حصلت أيضاً على أخبار أخرى هنا وهناك. صورة قلمية سريعة كتبها (بولجار)^(١) في الصحيفة، تصف البحيرة، هي صورة حزينة إلى غير حد إلا أنها محيرة، لأنها صورة مرحة مع ذلك - حسناً - ليس هذا بالكثير، إلا أن ثمة أخباراً عن سالزبورج، عن الاحتفال، عن الجو غير المستقر - وهذا بدوره لا يتصف بالمرح؛ ولقد رحلت أنت متأخرة للغاية في نهاية الأمر؛ ثم نفعت أنا ماكس إلى أن يخبرني بما يعرف عن (قولفجانج) وعن (جلجن). لقد عرف السعادة الفامرة هناك في صباه، ولابد أن الحال كان أفضل في قديم الأيام. إلا أن هذا كله لن يعد شيئاً ذا بال، لولا «تريبونا»، فتطلي كل يوم إلى احتمال العثور على شيء لك، ثم العثور بالفعل على كتابات لك هنا وهناك. هل تستائين من

(١) «الفريد بولجار» الكاتب الفيني الشهير.

حديثي عن الصحيفة؟ مع أنني أستمتع كثيراً بقراءتها. ثم من الذي سيتحدث عنها إن لم يكن أنا، أفضل قرائك؟ وحتى من قبل، قبل أن تذكرى أنت أحيانا ما تفكرين في أثناء الكتابة، كنت قد أحسست بها بتعلق بنفسى - أعنى، أنني كنت قد ضففتها إلى نفسى. والآن بما أنك قد قلت ذلك بصراحة، فإننى ما زلت ربما أكثر قلقا بشأنها؛ مثلاً، عندما قرأت فيها عن أرنوب وسط الثلوج كدت أن أجد نفسى وقد انطلقت جرياً إلى هناك.

(فى أعلى الهامش الأيسر): نعم، كنت أعرف أنني قد تجاوزت عن شئ فى رسالتك، ويدون أن أجد القدرة على أن أنساه، لا أجدنى قادراً على تذكره: درجة الحرارة؟ درجة الحرارة الحقيقية؟ هل تدركين ما أعنى؟

أخيراً فرغت من قراءة الرسالة الأخرى، لكننى حقاً قد بدأت قراءتها بالفقرة التى تقول: «لا أريدك أن ترد على ذلك». لست أدري ما الذى سبق هذه الفقرة، لكننى اليوم ورسائلك تواجهنى، وتعززك على نحو لا يدحض، أجدنى مستعداً للتوقيع عليها دون أن أقرأها مقراً بصحتها حتى لو كانت ستتخذ بهذا قرينة ضدى أمام المحكمة العليا. إننى قنر يا ميلينا قنر بلا حد، وهو ما يجعلنى أحدث كل هذه الضجة الهائلة حول النقاء. ولا يتغنى من الناس بمثل تلك الأصوات النقية، كما يتغنى من يعيشون فى عمق أغوار الجحيم؛ وما نسميه نحن شدة الملانكة، إنما هو غناؤهم.

قبل أيام قليلة انتهيت إلى أن (الخدمة الحربية) أو على نحو أكثر صحة حياة (الناورة)، التى اكتشفتها منذ سنوات، هى أكثر ما يلائمنى فى أحيان بعينها. النوم فى الفراش فى فترة ما بعد الظهيرة

لأطول مدة ممكنة، ثم التجوال سيراً على الأقدام لمدة ساعتين، ثم البقاء مستيقظاً لأطول مدة ممكنة، لكن العقدة إنما تكمن فى هذه (الأطول مدة ممكنة). «إنها غير ممكنة لمدة طويلة»، غير ممكنة فيما بعد الظهيرة، ولا فى الليل، ومع ذلك فإننى أكون بالفعل قد ذبلت عندما أبلغ مقر عملى فى الصباح، وتكمن الجائزة الحقيقية خفية فى أعماق الليل، فى الساعة الثانية، الثالثة، الرابعة؛ لكننى حالياً إن لم أؤ إلى الفراش عند حوالى منتصف الليل مع أقصى تأخير، لضاع الليل، وضاع النهار، وضعت أتا نفسى، ومع ذلك فلا شئ من هذا يهم، فى (كونى فى الخدمة) هو أمر جيد؛ حتى ولو لم يسفر عن أية نتائج. ولم يكن له حتى أن ينتهى إلى نتيجة، إننى فى حاجة إلى عام كهذا العام لكى «أفك عقدة اللسان» قبل أى شئ، ثم لكى أتحقق من أن الأمر قد قضى، وأن السماح بأن (أكون فى الخدمة) قد بلغ غايته. لكن هذا كما قلت: هو أمر جيد فى حد ذاته، حتى لو تدخل السعال بطريقة طاغية فاستغرق وقتاً طالاً أو قصر:

بالطبع لم تكن الرسائل سيئة إلى هذا الحد. لكننى حقاً لا أستحق هذه الرسالة المكتوبة بالقلم الرصاص، فهل يوجد شخص فى السماء أو على الأرض يستحقها؟

مساء الخميس

اليوم لم أكد أفعل شيئاً، سوى الجلوس فى أنحاء المكان، أقرأ قليلاً هنا، وقليلًا هناك، لكننى أساساً لم أفعل شيئاً. أو رحت أسمع إلى ألم طفيف ما، بينما كان يحدث تأثيره فى جانبي جبهتى. كنت مشغولاً طوال اليوم برسائلك، معذباً، عاشقاً، متوحشاً، وفى حالة خوف غير معلوم من شئ غير محدد، يتألف لا تحدده فى معظمه من

حقيقة أنه يتجاوز حدود طاقتي. ولم أكن في الوقت نفسه قد جرؤت على قراءة الرسائل قراءة أخرى، ولم أكن قد جرؤت على قراءة نصف صفحة حتى في المرة الأولى. فلماذا لا يستطيع المرء أن يسلم نفسه إلى حقيقة أن حياته في هذا التوتر الانتحاري المطلق، الخاص، هي عدل.

(تذكرين أحياناً، شيئاً مماثلاً لهذا ولقد حاولت أن أضحك على ذلك وقتها)؟ ولماذا يقوم المرء بدلاً من ذلك عمداً بفك وثاق حياته هذه، لينطلق خارجاً منها كما ينطلق حيوان لا يعقل. (ويحب حتى لامعقوليته هذه كحيوان) ويوصل بفعله هذا كل الكهربية الممزقة، المعريدة إلى داخل الجسد، وذلك حتى توشك أن تنتهي بالمرء إلى الاحتراق؟

لا أعرف بالتحديد ما الذي أريد أن أقوله بهذا بالفعل، أريد فقط على نحو ما أن أحكم قبضتي على أشكال اللوم، لا المعلنة؛ بل الصامته تلك التي تخرج من رسالتك، ويمكنني أن أحكم قبضتي عليها، ذلك أنها ملكي. وأن يكون في مقبورنا حتى هنا في الظلام أن نكون معاً إلى هذا الحد عقلاً واحداً، لهو أكثر الأمور غرابة، ويمكنني بالفعل أن أؤمن به فقط للحظة، بعد لحظة أخرى غيرها.

الجمعة

بدلاً من النوم، قضيت الليلة (وإن لم يكن ذلك عن طواعية تامة) مع الرسائل. ومع ذلك، فليست الأمور في أقصى حالاتها سوءاً الآن بالتحديد. لم تصل في الحقيقة، أية رسالة، لكن حتى هذا لا يهم في ذاته.

في هذه اللحظة من الأفضل كثيراً ألا أكتب يومياً؛ ولقد أدركت

أنت ذلك سرّاً قبل أن أتركه أنا. إن الرسائل اليوم تسبب الضعف أكثر مما تبعث القوة. في السابق كان المرء يشرب الرسالة حتى آخر قطرة تحتويها، وكان المرء في الوقت نفسه (أتحدث عن براغ وليس عن ميران) أقوى عشرة أضعاف، وأكثر عطشاً بعشرة أضعاف.

لكن الرسائل الآن قد أصبحت باللغة الجديدة، الآن يعرض المرء شفثيه عندما يقرأ رسالة، ولا يكون ثمة شيء أكثر تأكيداً سوى الألم الطفيف في الصدغين. لكن حتى هذا لا يهم، ويبقى شيء واحد فقط: «لا تستسلمي للمرض يا ميلينا، لا تمرضي. لا بأس من عدم الكتابة (ما عدد الأيام التي قضيتها في مقاومة مثل رسالتى أمس هاتين؟ أسئلة غبية، وهل يمكن للمرء أن يقاومهما في أيام؟) لكن لا ينبغي أن يكون المرض هو السبب. إننى أفكر بالطبع، في نفسى فحسب. ما الذى سأفعله؟ سأفعل على الأرجح نفس ما أفعله الآن، لكن كيف سأفعله؟ لا، لا أريد أن أفكر في هذا الفعل. وفي الوقت نفسه، عندما أفكر فيك، تكون رؤيتى أوضح ما تكون دائماً، هى تلك التى تبدين فيها راقدة فى الفراش، كما كنت ترقدين فى المرح، فى تلك الأمسية فى جموند (هناك حيث حكيت لك عن صديقتى، ولم تستمعى إلى كثيراً). وليست هذه مطلقاً رؤية مؤلمة، بل هى بالفعل أفضل رؤية أجدها فى مقدورى فى هذه اللحظة: وهى أنك راقدة فى الفراش، وأننى أقوم بتمريضك، وأنصرف عنك، لأعود إليك مرة أخرى، وأضع يدي فوق جبهتك، وأغرق فى عينيك عندما أطرق متطلعا إليك، وأحس بنظرتك تحرق فى بينما أتجول فى أنحاء الحجرة، عارفا طوال الوقت بخيلاء لم يعد قابلاً للترويض أنتنى إنما أحياء من أجلك، وبأننى قد حرزت السماح لى بأن أفعل، وأنتنى فى بدء امتنانى لحقيقة أنك كنت قد وقفت ذات مرة إلى جانبنى، ووضعت يدك فى يدي. وسيكون فقط

مرضاً عابراً سرعان ما يزول ويتركك أكثر صحة عما كنت عليه من قبل. بينما ساكون أنا حالاً وفجأة (وأمل ألا يكون ثمة ضوضاء ولا ألم) أزحف فى باطن الأرض - حسناً، كل هذا لا يسبب عذاباً بالغا، لكن فكرة أن عليك أن تقعى فريسة للمرض هي التي أراها أبعد ما تكون.

أنت أيضا تحبين سائقى الترام، أليس كذلك؟ نعم، ذلك السائق الفيينى الإمئل، المرح، وإن يكن منهكا بالغ الهزال، فى تلك المرة! إلا أنهم ناس طيبون هنا، أيضا، ويريد الأطفال أن يصبحوا سائقى ترام لكى يكونوا مثلهم أقوياء ومحترمين، وأن يتولوا القيادة، وأن يقفوا فوق سلم الترام لكى يتمكنوا من الانحناء إلى أسفل فوق رؤوس أطفالنا، ومعهم أيضا خرامة تذاكر، وكميات كبيرة من تذاكر الترام، بينما أنا - على حين تروعنى كل هذه الإمكانيات - أحب أن أكون سائق ترام لكى أكون فى مثل مرحه وتكون لى مثل قدرته على المشاركة فى كل شئ. كنت أسير ذات مرة خلف ترام يسير ببطء وكان السائق - (لقد وصل الشاعر لكى يخرجنى من مقبر عملى، فلينتظر حتى أفرغ من السائقين) - ينحنى بجسمه كثيراً إلى الخارج من فوق سلم الترام الخلفى، قد راح يصيح بى بشئ ما (لم أتمكن من سماعه بسبب الضوضاء فى «يوزيف بلاتس»)، وظل يأتى بحركات متهيجة بكتلات نراعيه، كان من الواضح أنها تعنى الإشارة إلى شئ ما، إلا أننى لم أفهم معناها. وطوال الوقت ظل الترام يتحرك أكثر وأصبحت حركاته يائسة أكثر فاكثُر - وأخيرا فهمت: كان دبوس المشبك الذهبى فى ياقة قميصى قد انفك - وكان السائق يحاول أن يلتفت انتباهى إليه. لقد تذكرت هذه الحادثة هذا الصباح،

عندما صعدت الترام منهكا من الليلة الماضية وكأنتى شبح مريض، وأعاد لى السائق فكرة الكروونات لكى يبعث البهجة فى نفسى (لا لكى يبعث البهجة فى نفسى على وجه الدقة، لأنه لم يكن حتى قد تطلع إلى' بل لكى يبعث البهجة فى الجوب بصفة عامة) قد أتى بملاحظة ودية (فاتنى إبراك مغزاها) عن أوراق (البكنكوت) التى كان يردّها ثانية إلى - على حين كان يقف إلى جوارى أحد السادة؛ ابتسم لى هو أيضا نتيجة لهذا التمييز، وهو ما لم أرد عليه من جانبى سوى بالابتسام، وبهذا كان كل شئ قد تحسن قليلاً. فعسى أن تتمكن هذه الحكاية من أن تبعث البهجة فى السماء المطيرة فوق سانت جلعن!.

السبب

رائع الجمال، رائع الجمال يا ميلينا، رائع الجمال. لا شئ فى رسالة «الثلاثاء» رائع الجمال مثل الهدوء، الثقة، الوضوح، الذى صدرت عنه الرسالة.

لم يأت فى الصباح شئ، كنت سأوافق بسهولة مع هذه الحقيقة فى ذاتها؛ لكن يختلف الحال الآن كل الاختلاف مع تسلم رسائل. ومع ذلك، فمع كتابة الرسائل لم يكد يتغير شئ، فالدافع يستمر، وتستمر معه متعة أن يكون على المرء أن يكتب وعلى هذا سأتصالح مع هذه الحقيقة.

وما حاجتى إلى رسالة، عندما قضيت بالأمس، مثلاً، اليوم بطوله، والمساء، ونصف الليلة فى حديث ممل، حديث كنت فيه مخلصاً وجاداً مثل طفل، وكنت أنت فيه جادة وواعية كأنم (ولم أكن قد رأيت قط فى الواقع مثل هذا الطفل ولا مثل هذه الأم)، وكان لهذا كله أن يكون على ما يرام، فقط ينبغى لى أن أعرف السبب فى عدم كتابتك؛ لا

ينبغي لى أن أراك مريضة فى الفراش طوال الوقت، فى الغرفة الصغيرة، وأمطار الخريف خارجها، وأنت وحيدة تماماً، فى درجة حرارة (كتبت أنت عنها)، ومع نزلة برد (كتبت لى عنها)، علاوة على العرق ليلاً، والإعياء (كتبت لى عن هذا كله) - فإذا هذا كله لم يعد له وجود، فهو خير إذن، ولا أريد شيئاً فى هذه اللحظة أفضل من هذا.

لن أشرع فى إجابة على الفقرة الأولى من رسالتك، ولا أعرف بعد حتى الفقرة الأولى سيئة الذكر من رسالتك السابقة فهذه كلها أشياء عميقة التعقيد ولا تجد حلاً لها إلا من خلال مناقشة بين أم وطفل، ويمكن سماعها عندئذ، ربما فقط لأن هذه التعقيدات فى هذه الحالة لا يمكنها أن تحدث. لن أشرع فى تناول هذه الفقرة لأن الالم يكمن فى صدغى متربصاً. فهل كانت «نبلة» كيوييد قد صوبت فى اتجاه صدغى بدلاً من تصويبها نحو قلبى؟ كما أننى لن أكتب بعد ذلك مزيداً عن جموند، عن قصد على الأقل. سيكون هناك الكثير مما يمكن أن يقال عنها، لكن فى النهاية سيكون كل ما ستنتهى إليه، هو أن اليوم الأول فى فيينا كان من الممكن أن يكون أفضل قليلاً مما كان لو كنت قد رحلت فى المساء. وعلى الرغم من أن فيينا تتميز حتى على جموند، بأننى قد بلغتها فى شبه حالة إعياء، من الخوف والإنهاك؛ وكنت قد ذهبت إلى جموند (على غير وعى منى بذلك - «فلمست سوى أحق») واثقاً على نحو بديع، كما لو أن شيئاً لا يمكن أن يقع لى ثانية أبداً. لقد وصلت كصاحب بيت؛ ووجه الغرابة هو، أن ذلك الفطور كان ممكناً أن يقع لى رغم كل شكوكى التى تهزنى باستمرار، وربما كانت هذه هى غلطتى الحقيقية، فى هذا الموقف،

وفى مواقف أخرى-

الساعة الآن الثالثة إلا الربع، وقد تسلمت رسالتك قبل تمام الثانية مباشرة، ولعله من الأفضل لى الآن أن أتوقف هنا، وأغادر المكان، وأكل.

ترجمة الجملة الأخيرة جيدة جداً، كل جملة فى هذه القصة، كل كلمة، كل - لو كان لى أن أقول هذا - موسيقى ترتبط بـ«الخوف». بهذه المناسبة انفتح الجرح للمرة الأولى أثناء ليلة واحدة طويلة، وفى رأى، تلتقط الترجمة الترابطات باكتمال، بتلك اليد السحرية التى هى يدك.

ترين ما الذى يسبب كل هذا العذاب فى تسلم الرسائل - حسناً، لاجابة بى لأن أقول لك. اليوم بين رسالتك ورسالتى يوجد، - بقدر ما يسمح بذلك الإمكان، مع وضعنا لعدم اليقين من ذلك فى الاعتبار، يوجد قرب رائع، طيب، عميق التنفس. والآن على أن أنتظر الردود على رسائلنى الأسبق التى أتخوف منها.

كيف يمكنك بالمناسبة، أن تتوقعى رسالة منى يوم الثلاثاء، بينما حصلت أنا على عنوانك فقط يوم الاثنين؟

الأحد

غلطة غريبة بالأمس. كنت فى ظهيرة الأمس سعيداً سعادة بالغة بخصوص رسالتك (رسالة الثلاثاء) وعندما قرأتها ثانية فى المساء، وجدت أنها لم تكن تختلف فى طبيعتها عن الرسائل الأخيرة، (يكون تعساً بما يتجاوز كثيراً ما تسمح به)، تثبت الغلطة إلى أى حد أفكر فقط فى نفسى. لقد استغلقت فى داخل نفسى، كيف ألتصق فقط

بذلك الجزء منك الذى يمكننى أن أتشبث به، وإلى أى حد أتوق إلى أن أنطلق هارباً به إلى الصحراء، حتى لا يقدر على أن ينتزعه منى أحد. لأننى كنت قد عدت للتو إلى حجرتى من الإملاء؛ لأنه كانت تقبع هناك لدهشتى رسالتك؛ لأننى شملتها بنظرة فى سعادة وينهم، لأنه لم يبد بها أى شئ موجه ضدى بأحرف كبيرة، لأنه بالصدفة وحدها كان صدغاي ينبضان بهدوء، لأننى كنت خفيف القلب إلى حد يكفى لأن أتخيلك راسخة فى عمق غابة، بحيرة أو جبال - لكل هذه الأسباب ولأسباب قلائل أخرى فوقها حتى، ليس لأى منها أدنى علاقة برسالتك ووضعك الحقيقى، بدت رسالتك لى باعثة على البهجة - ونتيجة لذلك رددت عليها بحماسة.

الاثنين

ترين يا ميلينا، إلى أى حد يفتقر المرء إلى التحكم فى نفسه، إلى أى حد يتطوح ذهاباً وجيئة فى بحر - بدافع من الحقد وحده - لا يبتلع المرء فى جوفه.

طلبت منك أخيراً ألا تكتبى إلى يوميا، وكنت مخلصاً فى طلبى، كنت خائفاً من الرسائل؛ وعندما لم تصلنى أحياناً أية رسالة كنت أكثر هدوءاً؛ وعندما رأيت رسالة ملقاة فوق المائدة كان على أن أستجمع كل قواى، لكننى لم أجد قواى فى متناولى بما يسعفىنى - واليوم كان مقدرأ لى أن أكون تعساً لو أن هذه البطاقات (لقد فزت بكليهما) لم تكن قد وصلتني. شكراً.

من بين الكتابات التعميمية التى قرأتها حتى الآن عن روسيا،

أحدثت المقالة المرفقة بهذه الرسالة أشد التأثيرات على، أو على وجه أكثر تحديداً، أحدثت أشد التأثيرات على جسدي، على أعصابي، على دمي. حقاً، لم أكن قد أخذتها تماماً كما كتبت؛ لكنني كنت قبل كل شيء قد قمت بتنويعها وفقاً للأركسترا الخاصة بي. (قطعت نهاية المقالة، فهي تحتوي على اتهامات ضد الشيوعيين، وهذه النهاية، لا تتفق مع هذا السياق، والمقالة على كل حال هي مجرد شذرة فحسب).

الخميس

رسائلك في يومي الأحد والاثنين، وبطاقة قد وصلت. أرجوك أن تحكى على الموقف حكماً صحيحاً يا ميلينا. إنني أجلس هنا في عزلة زائدة، على مسافة بالغة البعد، وإن كنت أجلس في سلام وتمر عبر رأسى أشياء كثيرة - الخوف، عدم الارتياح؛ وهكذا فإننا أكتبهما وإن كانا لا يفيدان الكثير من المعنى، وأنا عندما أتحدث إليك أنسى كل شيء، حتى أنت؛ وعندما تصلني مثل هاتين الرسالتين، أصبح مرة أخرى فحسب على وعي بالكل.

شيء واحد من بين هواجسك بخصوص الشتاء لا أفهمه بالمرة. فلو أن زوجك مريض إلى هذا الحد، أو يعاني حتى من مرضين، ولو أن الحال يمثل خطراً، فهو عندئذ بالتأكيد لا يمكنه أن يذهب إلى مقر عمله ولا يمكن بالطبع أن يفصل بصفته موظفاً معيناً على وظيفة دائمة؛ ويسبب من مرضه فسوف يكون عليه أيضاً أن يرتب حياته على نحو مختلف، وبهذه الطريقة سيتم تبسيط كل شيء ليصبح أسهل خارجياً على الأقل، والمحزن أن يكون الحال كله خلافاً لذلك.

إلا أن واحداً من أكثر الأشياء التي تفتقر تماماً إلى المعنى في هذه الدنيا الواسعة، إنما هو التناول الجاد لمشكلة الذنب، على الأقل هكذا يبدو لى. فليس فقط التلطف بعبارات اللوم هي التي تبدو لى بلا معنى؛ ولا شك في أنه عندما يلم بالمرء كرب ما، فإنه يلقي بالملامات في كل الاتجاهات (مع أنه بالطبع لا يفعل ذلك عندما تلم به أشد حالات الكرب هولاً، فهو لا يتلفظ عندها بأى لوم)، أيضاً من المفهوم أن المرء يتشبث بمثل هذا الملام في وقت الهياج والاضطراب؛ لكن أن يكون على المرء أن يعتبر أنه من الممكن أن يتناقش بشأنها كما يسعه أن يناقش أى مسألة رياضية عادية من المسائل التي تبدو بالغة الوضوح حتى لتسفر عن نتائج يتم استخدامها في السلوك اليومي، فهذا م لا أفهمه على الإطلاق. بالطبع يقع عليك اللوم؛ وبعد ذلك يقع اللوم أيضاً على زوجك، ثم بعد ذلك عليك مرة أخرى، وبعدها يقع عليه ثانية، بما أنه لا يمكن أن يكون الحال خلافاً لهذه الصورة في الحياة المشتركة للكائنات البشرية، ويتكؤم الملام في تتابع لا ينتهي حتى يبلغ الخطيئة الأصلية الرمادية؛ لكن أية فائدة يمكن أن يقدمها لى في يومى الحالى أو في الزيارة للطبيب في (إشل) كى ينبش في الخطيئة الأزلية؟

وطوال الوقت يتساقط المطر في الخارج ولا يبدو قط أنه سوف يتوقف، ولا يزعجنى المطر على الإطلاق، لوجود سقف يحمينى، لكن ما يربكنى فقط هو أن أكل (إفطار الشوكة) ^(١) أمام نقاش المنزل الذى يقف في هذه اللحظة فوق السقالة أمام نوافذى، وفي هياجه بسبب المطر الذى لا يتوقف إلا وقتياً عن الهطول، ويسبب كمية الزيد

(١) كان معتاداً في النمسا القديمة، على أنه إفطار ثانٍ، بما أن الإفطار الأول لا يعد وجبة تامة.

التي أضعها فوق خبزى، يطرش الطلاء فوق النوافذ بلا انقطاع (وهو ما قد يكون أيضاً تخيلى أنا، بما أن انشغاله بى يقل بلا شك عن انشغالى به مئة مرة). لا، إنه الآن حقاً منهمك فى صب المطر والرعد.

سمعت أخيراً بعضاً من الأخبار الجديدة عن (فايس)، وأنه ليس مريضاً ربما، لكنه بلا نقود، وأيا كان الأمر، فقد كان حاله هكذا فى الصيف. كتبت إليه فى (الغابة السوداء) بالبريد المسجل منذ ثلاثة أسابيع ولم يرد، إنه الآن بالقرب من «بحر ستارنبرجر» بصحبة صديقه التى تكتب بطاقات مكتوبة جادة (هذه هى طبيعتها) إلى (ياوم)^(١) قبل أن تغادر براغ (حيث حققت نجاحاً بالغاً على المسرح) منذ حوالى شهر، كان لى حديث قصير معها. كانت تبدو فى مظهر رث، وهى عموماً ضعيفة ورقيقة، لكنها تتصف بالصمود، وكانت منهكة القوى نتيجة للجهد الذى أنفقته فى التمثيل.

تحدثت عن (فايس) تقريباً كما يلى: «إنه فى هذه اللحظة فى الغابة السوداء، وهو لا يشعر بالراحة هناك؛ لكننا الآن سنكون معاً، عند (بحر ستارنبرجر) وستكون الأمور أفضل».

الأحد

هل ما أردت أن تكتبه لى هو الموضوع الرئيسى لهذه الرسالة يا ميلينا، أو أنه فى نهاية الأمر هو الثقة الضمنية؟ لقد كتبت بالفعل عنه مرة من قبل، وكان ذلك فى إحدى الرسائل الأخيرة إلى فى

(١) كاتب براغ الأعمى (أوسكار ياوم)، وهو صديق قديم لكافكا.

ميران، التي لن أعذ قادرا على الرد عليها.

كان على روبنسون كما ترين أن يوقع بالموافقة، وأن يقوم بالرحلة الخطرة، وكان عليه أن يعاني لتحطم سفينته ولأشياء كثيرة أخرى - وليس أمامي فقط سوى أن أفقدك وساكون عندها روبنسون بالفعل، إلا أنني سأكون روبنسون أكثر منه؛ ذلك أنه ماتزال لديه الجزيرة ويوم الجمعة وأشياء كثيرة وأخيرا السفينة التي حملته منها وكادت أن تحيل كل شيء مرة أخرى إلى حلم - ولن يكون لي أنا شيء من هذا، ولن يكون لي اسم حتى، فهذا أيضا أعطيته لك.

وهذا هو السبب في أنني بمعنى ما، مستقل عليك، فقط لأن الاستقلالية قد بلغت ما وراء كل الحدود. إن خيار (إما / أو) خيار رهيب للغاية؛ فإما أنك لي وسيكون الخيار خيرا في هذه الحالة، أو أفقدك، وهي الحالة التي تكون فحسب سيئة، بل تكون لا شيء. في تلك الحالة لن توجد غيرة، ولا معاناة ولا قلق - لا شيء، وبلا شك ثمة ما يتصف بالتجديف والجحود في بناء كل هذا الصرح الهائل بلا حد على أساس شخص واحد، وهذا أيضاً هو السبب في أن الخوف يزحف حول الأساسات. ومع ذلك فليس ذلك كله هو الخوف بخصوصك بقدر ما هو الخوف بخصوص الجراءة على أن يقوم المرء بالبناء على هذا النحو أصلاً. وهذا هو السبب في أنه للدفاع عن النفس (ولعله أن يكون دائماً على هذا النحو، يختلط الكثير جدا من الصفات القدسية مع الصفات البشرية في ملامح وجهك العزيز.

والآن على هذا كان شمشون قد أخبر دليلاً بسرّه، وكان في وسعها أن تقص شعره الذي كان دائماً ما تجعده سلفاً. لكن لتفعل! فطالما أنها ليس لديها سر مماثل، فلا شيء يهم بعد ذلك.

على امتداد ثلاث ليال كنت أنام نوماً سيئاً جداً بلا أى سبب واضح. أمل أن تكونى فى خير حال؟

رد سريع لو أمكن أن يعد رداً، وصلت البرقية لتوها. جاءت على نحو مفاجئ للغاية (ومفتوحة أيضاً) حتى أنني لم أجد وقتاً لاتخذ أهبتى. هى بالفعل ما أريده اليوم بالضبط؛ فكيف عرفت؟ إنها الطريقة الطبيعية التى يرد بها من عندك ما هو ضرورى دائماً.

الثلاثاء

سوء فهم - لا، إنه أسوأ من مجرد سوء فهم، بكل معنى الكلمة، يا ميلينا - وإن كنت بالطبع تفهمين السطح فهماً صحيحاً - لكن ماذا هناك لكى يفهم أو لا يفهم؟

إنه سوء فهم يظل قادراً على التكرار، فقد حدث بالفعل مرة، مرتين فى ميران. لم أكن فى النهاية أطلب منك النصيحة، وهو ما قد أطلبه من الرجل الجالس على المكتب المقابل لمكتبى. لقد كنت أتحدث إلى نفسى: أسأل نفسى النصيحة، فى سبات عميق، وأيقظتنى أنت. لا أدرى ما إذا كنت قد فهمت ملاحظتى عن المقالة التى تدور حول البلشفية. وما اعترض الكاتب عليه هو بالنسبة لى أعلى تقرير معكن على وجه الأرض. لو كان لى الخيار فى الليلة الأخيرة (كنت الساعة الثامنة مساءً، عندما نظرت من الشارع إلى حجرة المائدة فى «قاعة المدينة» اليهودية؛ حيث كان يقيم أكثر كثيراً من مائة من اليهود المهاجرين الروس - كانوا ينتظرون تأشيرات سفرهم الأمريكية -، كانت الحجرة مكتظة بهم كما تبدو فى أثناء أحد

الاجتماعات العامة؛ وبعد ذلك فى الساعة الثانية عشرة والنصف رأيتهم جميعاً نياماً هناك، الواحد تلو الآخر، كانوا ينامون حتى وهم فوق المقاعد، وهناك كان شخص ما يسعل، أو يتقلب على جانبه الآخر، أو يتلمس طريقه بحرص خلال الصفوف، وظل النور الكهربائى مضاء طوال الليل) - فلو كان لى الخيار لأن أكون كما أردت، لكن قد اخترت أن أكون صبياً يهودياً شرقياً صغيراً فى ركن الحجرة، وبلا أثر للانشغال كان الأب فى الوسط يتناقش مع رجال آخرين، والأم ملتفة فى لفافات ثقيلة تمد يدها باحثة فى جوف بقجه السفر، والأخت تثرثر مع البنات وهى تهersh فى شعرها الجميل - وفى غضون أسابيع قليلة سوف يكون المرء فى أمريكا. لم يكن الأمر بهذه البساطة بالطبع، فلقد كانت توجد بينهم حالات دوذنتاريا، وكان هناك ناس فى الشارع، يهتفون بتهديدات خلال النوافذ، وكانت هناك مشاجرات حتى بين اليهود أنفسهم، فلقد هاجم اثنان بالفعل أحدهم الآخر بالسكاكين. لكن لو كان المرء صغيراً، لو كان المرء يملك الإدراك ويحكم على كل شئ بسرعة، فما الذى كان يحدث للمرء؟، وكان هناك الكفاية من الصبية كهذا الصبى يهرولون جرياً فى أنحاء القاعة يتسلقون الجشيات، ويذحفون تحت المقاعد فى انتظار الخبز الذى كان شخص ما - هم شعب واحد - يقوم بتوزيعه مع شئ ما، كل شئ يصلح للأكل.

الثلاثاء

وصلت اليوم رسالتان، والبطاقة البريدية المصورة. فضضتها فى تردد. إما أنك طيبة إلى حد يفوق التصور أو إنك تجيدين التحكم فى

نفسك بدرجة تفوق التصور، ويشير كل شيء إلى الاحتمال الأول، وتشير أشياء عديدة أيضاً إلى الثانى.

أكرر: لقد كنت محقة كل الحق. وإذا كنت قد - وإنه مستحيل - أوقعت بى شيئاً متهوراً بالمثل، محجوب مدى النظر، سخيّف فى ملفولية، مغرور، ومفتقر حتى إلى التفكير كالذى أوقعته بك بالتحدث إلى ف. لكنت قد جانبت صوابى، وليس فقط فى لحظة إرسال البرقية^(١).

قرأت البرقية فقط مرتين، مرة سطحياً بعد أن تسلمتها؛ ثم بعد ذلك بأيام قبل أن أمرقها.

من الصعب أن أصف القراءة الأولى. أشياء كثيرة جداً تبادعت نحوى فى الحال. كانت هذه هى الصفة.

لا، لا يمكننى اليوم أن أكتب عن هذه القراءة بالتفصيل، ليس لأننى متعب خاصة، بل بالأحرى، لأننى «أشعر بالثقل» إن «لا شيء» الذى كتبت عنه قد أطلق على أنفاسه.

إن الأمر كله سيكون مبهما لو ظننت أننى قد فعلت ما فعلت أعلاه مذنباً، عندئذ كان يجب أن أعاقب بالضرب لسبب يستوجب عقابى. لا، إننا مذنبان كلانا - كما أننا كلانا لسنا بمذنبين.

ربما، بعد التغلب على كل المقاومة التى لها ما يبررها، ستكونين قادرة على أن تصالحى نفسك فى النهاية مع رسالة (ف) التى ستجدينها فى فيينا. ذهبت فى ظهيرة اليوم الذى وصلتني فيه البرقية لأسأل عنها فى منزل والدك. فى أسفل البرقية كان قد كتب

(١) كان كافكا قد سلّم بالنيابة عن ميلينا فى صفقة مالية حرجة، ولقد أدى هذه المهمة السرية فيما يبدو ببراعة فائقة ولباقة - ليس إرضاء لميلينا مع ذلك. وتثيب ضميره له وإحساسه بالذنب لا يمكن أن يقوم على أساس الصفقة نفسها.

(أ. شوى) وكنت دائماً قد اعتقدت أن هذا هو الطابق الأول، فكان أن وجدته الآن فى أعلى المنزل تماماً.

فتحت الباب خادمة صغيرة جميلة ومرحة، وكما توقعت لم تكن (ق) موجودة ولكننى كنت قد جئت فقط لكى أجد لنفسى شيئاً أفعله، بالإضافة إلى أن أعرف متى ستصل فى الصباح، وفى الصباح التالى انتظرتها أمام المنزل - أعجبت بها - ذكية، عملية، صريحة. لم أقل أكثر من أننى قد أخبرتك فى برقيتى.

(فى هامش أيسر) هواجسك عن والدك، يمكننى جزئياً أن أبدها فى المرة القادمة.

قبل ثلاثة أيام جاءت يارميلا لترانى فى مقر عملى، لم تكن قد حصلت على أية أخبار منك لمدة طويلة، ولم تكن قد عرفت شيئاً عن الفيزيانات، وجاءت لتستفسر عنك. وانتهى ذلك على ما يرام. مكثت وقتاً قصيراً فقط. ونسيت أن أنقل إليها رجاءك بخصوص كتاباتك، وكتبت لها بضعة أسطر قليلة عن ذلك فيما بعد. لم أقرأ الرسائل بعد بعناية، وعندما أفعل، سأكتب لك ثانية.

والآن وصلت البرقية أيضاً. حقاً، حقاً؟ ولم تعدى تندفعين إلى مهاجمتى بالهزاء؟

لا، لا يمكنك أن تكونى سعيدة بذلك. هذا مستحيل، إنها برقية هذه اللحظة، مثل البرقية التى سبقتها، والحقيقة لا هى هنا، ولا هى فى البرقية التى سبقتها. أحياناً عندما يستيقظ المرء فى الصباح يعتقد أن الصديق موجود بالقرب من الفراش - ولكى أكون أكثر دقة

أقول إن قبراً فوقه بضع زهور ذابلة؛ مفتوح، وجاهز لكى يستقبل المرء.

لا أكاد أجرو على قراءة الرسائل. يمكننى أن أقرأها فقط خطفاً، لا يمكننى أن أتحمل الألم الذى تسببه لى قراءتها.

ميلينا - ومرة أخرى أفرق لك شعرك، وأرتبه إلى جانب - هل أنا حقاً، ذلك المخلوق الشرير، شرير تجاه نفسى، وبالتحديد شرير بالمثل تجاهك. أو أنه لن يكون أكثر صحة أن أقول إن الشر إنما يكمن خلفى، يدفعنى إلى الأمام؟ لكننى حتى لا أجرو على أن أقول إنه يبدو لى كذلك عندما أكون منهمكا فى الكتابة إليك، ويكون هذا هو ما أقوله.

ولاً فإنه كما قد كتبت تماماً فى الحقيقة. عندما أكتب إليك لا تكون هناك مسألة تتعلق بالنوم سواء قبل الكتابة أو بعدها؛ وعندما لا أكون مشغولاً بالكتابة إليك فإننى أنام على الأغلب نوماً سطحياً للغاية، متقطعاً لساعة أو ساعتين فى كل مرة. وعندما لا أكتب، أكون متعباً فحسب، حزيناً وثقيلاً؛ وعندما أكتب فإننى أتمزق إرباً بفعل القلق والخوف.

يبدو كما لو أننا كلانا يطلب أحدهما من الآخر أن يرثى له؛ أطلب أنا منك ذلك، فربما يتاح لى الآن أن أخبئ نفسى، وتطلبين أنت منى - إلا أن حقيقة إمكان ذلك هى أكثر المفارقات إثارة للربح.

تسألين، لكن كيف يكون ذلك ممكناً؟ ما الذى أريده أنا، وما الذى أفعله؟ إن المسألة تقريباً على هذا النحو: أنا، حيوان من الغابة، كنت فى ذلك الوقت أكاد أتواجد فى الغابة، أستلقى هناك فى مكان ما فى حفرة قدرة (قدرة فقط نتيجة لوجودى بداخلها بالطبع). ثم رأيتك فى

خارج الحفرة، فى الخلاء - أكثر شئ إثارة للدهشة رأيته على الإطلاق. نسيت كل شئ تماماً، نسيت نفسى، نهضت من مكانى، اقتربت - ومع خوفى وسط هذه الحرية الجديدة المألوفة مع ذلك اقتربت على الرغم من ذلك، حتى بلغت مكانك: وكنت أنت بالغة لطيفة، فربضت على ركبتى محنياً إلى جوارك، كما لو كان ذلك من حقى، ودسست وجهى فى يدك، كنت سعيداً غاية السعادة، ومختالاً جداً، وحرأً من كل القيود، وهائل القوة، ومؤتسناً أماناً - أكثر فأكثر ثانية هذا: أماناً مستأنساً - لكننى أساساً كنت ما أزال حيواناً فحسب، كنت أنتمى مازلت فقط إلى الغابة، عشت هنا فى الخلاء فقط بفضلك، وقرأت دون أن أدرك ذلك، (ذلك أنتى فى نهاية الأمر، كنت قد نسيت كل شئ)، قدرى فى عينيك. لم يكن يمكن لهذا أن يستمر ومع أنك قد ربت على بارق الأيدى، فقد كان عليك أن تدركى ما فى ذلك من غرابة كانت توحى بالغابة، من حيث قفزت خارجاً، وإلى حيث كنت أنتمى حقاً. ثم جاءت المناقشات المحتومة حول (الخوف)، تكرر نفسها على نحو لا مفر منه، فعذبتنى (وعذبتك، ولكنها عذبتك ببراعتك) حتى بلغت الدرجة التى لمست معها العصب العارى. واتضح لى أكثر فأكثر إلى أى حد كنت أنا طاعوناً ملوثاً، وإلى أى مدى كنت عقبة فى طريقك، أعوقك فى كل مكان - وأستند إلى سوء التفاهم ذلك مع ماكس، وكان واضحاً بالفعل فى جموند؛ ثم جاء فهم وسوء فهم يارميللا؛ ثم فى النهاية ذلك التعامل الغبى، الأخرق، الذى تكفل به الإهمال مع (ف)، والكثير من أشكال سوء الفهم الصغيرة الأخرى بين هذا كله. تذكرت من أنا، لم أعد أرى أى خداع فى عينيك، وعانيت الرعب الحالم (للسلوك كما لو كان المرء أليفاً على

سجيته فى مكان لا ينتمى المرء إليه). هذا الرعب عشت تجربته الواقعية وكان على أن أعود إلى الظلام، لم يكن فى مقدورى أن أحتمل الشمس، كنت قانطاً، حقيقة كحيوان ضال. شرعت فى الانطلاق جرياً بأسرع ما أمكنتى، ودائماً كانت الفكرة هى «لو أمكنتى فحسب أن أخذها معى!»، والفكرة المضادة «هل ثمة أى ظلام حيث تكون هى؟».

تسألين كيف أعيش هذه هى كيفية حياتى.

الرسالة الأولى كانت قد أرسلت بالفعل عندما وصلت رسالتك، وبصرف النظر عن أى شئ قد يتواجد فى أسفل - تحت أشياء من قبيل «الخوف» وما إليها - وهى الأشياء التى تصيبنى بالغثيان، لا لأنها مقرزة، بل لأن معدتى بالغة الضعف.

وبصرف النظر عن هذا فقد تكون المسألة أسهل حتى مما تقولين. على هذا النحو مثلاً: إن النقص فى حال الوحدة ينبغى أن يتم تحمله خلال كل لحظة، حتى حين أن النقص الذى يشارك فيه أثنان ليس له أن يطاق. أفليس للإنسان عينان لكى يخلعهما، وله قلب لنفس الغرض؟ على أن المسألة ليست سيئة، إنها مبالغة كلها، وكذبة؛ كل شئ هو مبالغة، فقط التوق هو الحقيقى، فهذا لا يمكن أن تحدث له مبالغة. لكن حتى حقيقة التوق ليست هى صيقه، بل هى بالأحرى تعبير عن الكذبة فى كل شئ آخر.

قد يبدو هذا جنونياً لكنه هكذا.

كما أنه ربما لن يكون هو الحب فى الحقيقة، عندما أقول إنك الأحب إلى، إن الحب بالنسبة لى هو أنك السكين التى أديرها

مفروسة فى داخلى. وعلاوة على ذلك، فأنت نفسك تقولينها:
«(الناس) الذين لم يؤتوا القوة على أن يحبوا! ألا ينبغى أن يكون
هذا تمييزاً كافياً بين «حيوان» وبين «كائن بشري»؟».

لا يمكنك أن تفهمى حق الفهم يا ميلينا، ما هى حقيقة الأمر كله،
أو أن تفهمى جزئياً ما هو مداره، إننى حتى أنا نفسى لا أفهمه،
إننى أرتعش فحسب تحت وطأة الهجوم، أعذب نفسى إلى درجة
لجنون، لكن ما هو، أو ما الذى يريده فى المدى البعيد، فهذا ما لا
أعرفه. كل ما يتطلع فى هذه اللحظة هو السكون، الظلام،
الزحف إلى مكان للاختباء، أعرف هذا ولا بد لى من أن أطيع، لا
يمكننى أن أفعل سوى ذلك.

إنه اندلاع، وهو يأخذ مجراه، ولقد قطع جزءاً من شوطه، إلا أن
الطاقات التى بعثته إنما ترتعش فى داخلى طوال الوقت، قبل
الاندلاع وبعده - فى الحقيقة -، حياتى، وجودى، إنما يتألف من هذا
التهديد السفلى، فلو توقف هذا التهديد لتوقف أيضاً وجودى. إنه
طريقتى فى المشاركة فى الحياة؛ فلو توقف هذا التهديد، أهجر
الحياة، بمثل سهولة وطبيعية إغلاق المرء لعينيه. وهل لم يكن موجوداً
منذ أن عرف أحدنا الآخر، وهل كنت لتتطلعى إلى حتى ولو خلسة لو
لم يكن هذا التهديد موجوداً؟

بالطبع لا يمكن للمرء أن يدير الموضوع إلى هذه الوجهة ويقول:
والآن لقد مر هذا التهديد ولم أعد إلا هائلاً وسعيداً وممتناً فى
حالة كوننا كليناً معاً الجديدة. لا يجروء المرء على أن يقولها على
الرغم من أنها تكاد تكون صائقة (الامتحان صائق كلية - أما

لسعادة فهي حقة بمعنى ما إلا الهدوء فلا صحة لوجوده مطلقاً)
ذلك أننى سوف أكون مرتعياً من نفسى قبل كل شئ.

تذكرين الخطبة وأشياء مماثلة كانت بالطبع بسيطة للغاية، لكن لم تكن المعاناة بسيطة، بل كان البسيط هو أثرها. وبينو كما لو أن المرء قد عاش دائماً حياته منهمكاً فى الشهوات، وأن المرء الآن قد تم اقتناصه، وعقاباً له على كل ما اقترفت يده من عريضة وضعت رأسه بين ذراعى منجلة أحدها ينضغط فى صدغه الأيمن، وينضغط الآخر فى الصدغ الأيسر، والآن بينما تنضغط المسامير اللولبية ببطء يكون للمرء أن يقول: «نعم، سوف أواصل حياتى المعريضة» أو «لا، سوف أقلع عنها». وبالمطبع يجأر المرء به «لا» حتى تتفجر رثناه.

أنت أيضاً على حق فى وضع ما فعلته للتو على خط واحد مع الأشياء القديمة، ويمكننى بعد كل شئ أن أبقي فقط كما أنا، وأن أمر بنفس التجارب. والاختلاف الوحيد هو أننى قد حصلت بالفعل على بعض التجارب، حتى أننى فى هذه الأيام لا أنتظر لكى أصرخ، إلى أن تدور المسامير اللولبية لتحصل إلى حد إكراهى على الاعترافات، بل أبدأ بالفعل فى الصراخ لمجرد إحضارها، أصرخ فى الحقيقة عندما يتحرك شئ ما على البعد؛ وبهذا أصبح وعيى منتبهاً زائد التيقظ - لا، ليس زائد الانتباه، بل هو لم يصبح بعد منتبها بما يكفى إلى حد بعيد.

إلا أن هناك فرقاً آخر مايزال: لك وليس لأى شخص آخر يمكن للمرء أن يقول الحقيقة خالصة من أجل خاطر هذا الشخص نفسه، ومن أجل خاطرك؛ وفى الحقيقة فمن خلالك يمكن للمرء بالفعل أن يكتشف حقيقته هو نفسه.

لكن عندما تتحدثين بمرارة يا ميلينا، عن طلبى منك بكل هذا الإلحاح ألا تتركينى، فاست فى حديثك هذا على حق. لم أكن مختلفاً، فى هذا الخصوص عندئذ، عما أنا عليه الآن. كنت أحيأ من نظراتك (ليس هذا بعد تأليها خاصاً لشخصك، فبظرة كتك يمكن لكل شخص أن يصبح سماوياً)، لم تكن لى أرضية حقيقية تحتى، وكان هذا هو ما كنت أخافه دون أن أدركه فى وضوح، لم أكن حتى على وعى بلدى الذى بلغته فى طفوى فوق سطح أرضيتى. لم يكن هذا حسناً، لا بمفهومى ولا بمفهومك. كلمة صدق محتوم واحدة كنت كافية، وجذبتنى بالفعل خطوة واحدة إلى أسفل، كلمة واحدة أخرى، بخطوة واحدة أخرى - حتى لم يعد هناك فى النهاية أى توقف وغاص المرء فى أسفل، وانتابه الشعور بأن حركته إلى أسفل بطيئة مائتال. إننى لا أقتبس عن قصد أية أمثلة لـ«كلمات الصدق» تلك، لأن هذا لا يؤدى إلا إلى التشوش، ولأنه ليس صحيحاً تماماً.

أرجوك ياميلينا، اخترعى لى إمكانية أخرى لكى أكتب إليك اليوم. فأن أرسل لك بطاقات تملى بالأكاذيب لهو أمر بالغ السخف، كما أننى لا أعرف دائماً أية كتب يفترض أن أرسلها لك؛ وأخيراً فكرة أنك قد تذهبين ذات مرة إلى مكتب البريد بلا طائل هى فكرة لا تحتمل، فأرجوك اخترعى إمكانية أخرى.

مساء الاثنين

وهكذا فسوف تذهبين الأربعاء إلى مكتب البريد، وإن تكون هناك أية رسالة فى انتظارك - آه، نعم، رسالة السبت. لم أتمكن من الكتابة فى مقر عملى لكننى كنت قد انتويت أن أعمل، ولم أتمكن من

أن أعمل لأننى كنت أفكر فى علاقتنا معا. ولم أتمكن فى فترة ما بعد الظهيرة من مغادرة الفراش، ليس لأننى كنت شديد التعب، بل لأننى كنت (ثقيلاً) ثقلاً بالغاً - مرة بعد أخرى هذه الكلمة، إنها الكلمة الوحيدة التى تناسبنى ، فهل تفهمين هذا أصلاً؟ إنه شئ شبيه بـ «ثقل» السفينة التى فقدت دفتها، والتى تقول للأمواج: «بالنسبة لنفسى أنا ثقيلة جداً، وبالنسبة لك أنا خفيفة للغاية» إلا أن لحالة ليست تماماً كذلك أيضاً، ولا تستطيع المقارنات أن تعبر عنها.

لكن أساساً السبب فى عدم كتابتى هو الشعور الغامض، هو أن لدى الكثير جداً من الأشياء بالغة الأهمية إلى أقصى حد، كى أقولها لك، وأن أى قدر من الوقت الخالى لن يكون خالياً بما يكفى لكى ألم شتات كل الجهد المطلوب لتحقيق ذلك، وهذه هى حقيقة الأمر.

وإذا كنت لا أستطيع أن أقول أى شئ عن الحاضر، فبالى أى مدى شاسع يبدو عجزى عن قول أى شئ عن المستقبل؟ لقد نهضت فى الحقيقة الآن فحسب من «فراش المرض» («فراش مرض» منظور إليه من الخارج)، إننى مازلت متشبثاً به، وأكثر ما أفضله هو أن أعود إليه، على الرغم من أننى أعلم ما الذى يعنيه هذا الفراش.

ما كتبتة عن الناس، يا ميلينا - «الذين لم تعط لهم القوة على الحب» - كان صحيحاً، حتى وإن كنت وأنت تكتبينه لا تعتبرينه صحيحاً. ولعل موهبتهم للحب إنما تتألف فقط من القابلية لأن يكونوا محبوبين. وحتى فى هذا يتواجد تميز فى التأهيل لهذه القابلية عند هؤلاء الناس. فلو قال أحدهم لمحبيته: «إننى أثق فى أنك تحبيننى»، فإن هذا يكون عندئذ شيئاً مختلفاً كل الاختلاف، وأقل كثيراً عن قوله: «أنا محبوب بواسطتك». هؤلاء بالطبع، ليسوا عشاقاً بل نَحْوِيُون.

أخشى أن تكونى قد أسأت فهم ملاحظتى عن «النقص فى حالة اثنين». فبهذه الملاحظة لم أكن قد قصدت أن أقول أى شئ أكثر من. أنتى أعيش فى قذارتى، فهذا هو ما يشغلنى. لكن أن أجرجرك إلى داخلها أيضاً، فهذا شئ مختلف تماماً - لا كمجرد إساءة إليك، فهذا جزء عرضى من ملاحظتى (ولا أعتقد أن إساءة ضد أى شخص آخر، بقدر ما يتعلق ذلك فقط بالآخر، يمكن أن تكدر نومى). وعلى هذا، فهى ليست هكذا. إن الشئ المزعج هو شئ بعيد بالآخرى حيث أننى من خلاك أصبح أكثر وعياً بقذارتى على نحو زائد، و - فوق كل شئ - أنه من خلال وعى يصبح الخلاص أكثر كثيراً فى صعوبة بالنسبة لى - لا، بل أكثر كثيراً فى استحالة (وإنه المستحيل على أية حال، لكن فى هذه الحالة تتزايد الاستحالة). وينتج عن هذا عرق الخوف البارد فوق الجبهة؛ ولا محل لكون هذا نتيجة لأى خطأ ينسب السبب فيه إليك. لكنها كانت ملاحظة خاطئة ولقد ندمت ندماً شديداً لأننى فى رسالتى الأخيرة عقدت مقارنات مع أشياء أسبق. فهيا نَمَحْ هذا معاً.

وهكذا فأنت حقاً لست مريضة ؟

بالتأكيد، ياميلينا، أنت تمتلكين أملاكاً هنا فى براغ، ولا أحد أيضاً يجادل فى ذلك، ما لم يكن الليل هو الذى يحارب منازعاً لك فيها؛ لكن الليل يحارب منازعاً على كل شئ، وأية أملاك هذه مع ذلك! إننى لا أقلل من شأنها، فهى شئ ما؛ بل هى فى الحقيقة عقارات بالغة الضخامة حتى ليمكنها أن تحجب قمرأ تاماً هناك فى أعلى، داخل حجرتك. ولن يخيفك الظلام البالغ؟ الظلام بدون دفء

الظلام ؟

وحتى يمكنك أن ترى شيئاً من (انشغالاتي) أرفق بهذا رسماً .
فهذه أعمدة أربعة، خلال العمودين الأوسطين قد دست قضبان شدت إليها يدا « المذنب »، وخلال العمودين الخارجيين دست قضبان من أجل القدمين. ويعد أن تم شد وثاق الرجل على هذا النحو يجرى سحب القضبان ببطء إلى الخارج حتى يتم شق الرجل جزئين عند المنتصف. وأمام العمود يرتكن المخترع الذى أضفى على نفسه وقد عقد يديه وساقيه، كبرياء زائداً مصطعناً. كما لو كان هذا كله هو اختراعه الأصيل، بينما هو قد قام فقط بنسخ صورة عن عمل الجزار الذى يمدد الخنزير المنتزعة أحشائه مشدوداً على واجهة حانوته.

السبب فى سؤالى عما إذا كنت لن تشعرى بالضوف هو أن الشخص الذى تكتبين عنه لا يوجد، ولم يحدث أن وجد قط من قبل؛ فذلك الذى فى شيئا لم يوجد؛ كما لم يوجد ذلك الذى فى جموند، وإن كان الشخص الأخير قد زاد فى انعدام وجوده، وأن اللعنة سوف تلاحقه، وأن تعلمى ذلك هو شئ هام لأنه إن كان لنا أن نلتقى فإن الشخص الفيينى أو حتى ذلك الشخص الذى من جموند سيعاود الظهور بكل البراعة، كما لو أن شيئاً لم يكن قد حدث، بينما الشخص الحقيقى فى أسفل، - ذلك الشخص المجهول للجميع ولنفسه الذى يقل وجوده حتى عن وجود الآخرين، لكنه فى تظاهراته بالقوة أكثر حقيقة من كل الآخرين (فلماذا لا يخرج فى النهاية عن غيابه ويعرض نفسه؟) سوف يرفع يده المتوقعة ليحطم بها كل شئ مرة أخرى.

نعم، ميتسى ك. كان هتا، وانقضى كل شئ تماماً على ما يرام.

لكن لو كان ذلك ممكناً حتى، فإننى لن أكتب مزيداً عن الناس الآخرين، فلقد كان اختلاطهم فى رسائلنا هو الذى سبب كل الاضطراب. وهذا ليس مع ذلك هو السبب الحقيقى الذى من أجله لم أعد أرغب فى أن أكتب عنهم (فهم فى النهاية، لم يقوموا بإحداث ضرر، بقدر ما مهدوا الطريق للحقيقة؛ ولما كان له أن يعقبها)، لا أعنى بهذا أن أعاقبهم - على فرض إمكانى أن يعد ذلك عقاباً لهم - بل يبدو لى فحسب أنهم لم يعودوا ينتمون إلى هنا. فهنا الظلام، شقة مظلمة، ليس فيها سوى أهلها، ولا يمكنهم سوى بصعوبة أن يجدوا طريقهم فى أنحائها.

ما إذا كنت قد عرفت أنها سوف تمر؟ لقد عرفت أنها لن تمر. عندما كنت وأنا طفل قد فعلت شيئاً سيئاً جداً، شيئاً ليس بالغ السوء بالمعنى العام، لكنه سئٌ جداً بالمعنى الخاص عندى (وحقيقة أنه لم يكن سوءاً عاماً، لم يكن فضلاً يحسب لى؛ لكنه كان العمى أو السبب الذى اتصف به العالم) - عندئذ كنت أصاب بالدهشة الشديدة لأن كل شئٍ قد واصل سيره فى طريقه بلا تغيير، وأن الكبار، وإن كانوا قد بدوا عابسين قليلاً، إلا أنهم قد واصلوا سيرهم حولى بلا تغيير، وأن أفواههم التى كنت قد أعجبت بها هادئة ومغلقة طبيعياً من مكانى المنخفض منذ بواكير طفولتى الأولى، قد واصلت التبقاء مغلقة، من كل هذا استنتجت، بعد مراقبتها لفترة، أنه لم يكن بمقدورى بعد هذا كله، أن أكون قد فعلت شيئاً سيئاً بأى معنى، وأن كونى قد خشيت عاقبة ما لم يكن سوى خطأ طفولى، وأننى على هذا كان يمكننى أن أبدأ من جديد من حيث أقلعت عن الفعل عند

الصدمة الأولى.

وفيما بعد، تغيرت تدريجياً هذه الفكرة التي تتعلق بالعالم المحيط، فقد بدأت أعتقد في البداية أن الآخرين كانوا على وعي كامل تماماً بكل شيء، وأنهم بالفعل قد عبروا أيضاً عن رأيهم في وضوح، وأنني فقط الذي لم أكن حتى ذلك الوقت قد امتلكت عينا حادة بما يكفي لإدراك ذلك - وهو شيء قد حصلت عليه الآن بغاية السرية، لكن برودهم ثانياً، وحتى لو كان له أن يوجد؛ بدا لي، وإن كان باعثاً على الدهشة، إلا أنه لم يكن مع ذلك دليلاً على براعتي. حسناً، إذن فهم لم يلاحظوا أي شيء؛ لا شيء في وجودي يدخل في عالمهم؛ كنت في عيونهم نقياً بلا عيب؛ طريقة حياتي، طريقي قد مر على هذا النحو خارج عالمهم؛ فلو كان هذا الوجود مجرى مائياً، فلقد مرّ رافد قوي على الأقل عندئذ خارج عالمهم.

لا يا ميلينا، أتوسل إليك مرة أخرى أن تختبري إمكانية أخرى لكتابتي إليك. لا ينبغي لك أن تذهبي إلى مكتب البريد عبثاً، حتى ساعى بريدك الصغير - من هو؟ لا ينبغي له أن يفعل ذلك، ولا يجب حتى على رئيسة مكتب البريد أن يوجه إليها السؤال بلا ضرورة؛ فإذا كنت لا تجددين أية إمكانية أخرى، فعلى المرء إذن أن يتحمل ذلك، لكن على الأقل، ابذلي مجهوداً في العثور على إمكانية واحدة.

في الليلة الماضية حلمت بك، أما ما الذي حدث بالتفصيل فلا أكاد أذكره؛ كل ما أعرفه هو أننا ظللنا نندمج أحداً بالآخر؛ كنت أنا أنت، وكنت أنت أنا؛ وفي النهاية اشتعلت فيك النيران على نحو ما. ولأنني تذكرت أن شخصاً ما كان قد قام بإخماد النار بالملابس، أخذت معطفاً قديماً ورحت أضربك به، لكن تحولاتنا بدأت ثانية، ولقد قطعت في تغييرها شوطاً بعيداً حتى أنك لم يعد لك وجود؛ وبدلاً منك

أصبحت أنا الذى فيه النيران، وكنت أنا أيضاً الذى رحت أضرب النيران بالمعطف لأطفئها، إلا أن ذلك لم يجد شيئاً، وكان هذا الضرب بالمعطف قد أكد خوفى القديم من أن مثل هذه الأشياء لا يمكنها أن تطفى حريقاً. وفى تلك الأثناء، مع ذلك، وصل رجال الإطفاء، وتم إنقاذك على نحو ما. لكنك كنت مختلفة عن ذى قبل، أصبحت شبحية كما لو كنت مرسومة باللباشير على السواد، وتهاويت بلا حياة، أو ربما كنت قد سقطت مغشياً عليك فى أحضانى فرحاً بنجاتك. لكن تدخل هنا أيضاً الشك الذى لازم قابلية التحول، ربما كنت أنا من سقط بين ذراعى آخر.

الآن فقط كان هنا (أ). هل تعرفينه؟ فلو فقط أمكن أن تتوقف الزيارات. كل شخص يتمتع بحيوية أبدية، وهو خالد فى الواقع، ربما ليس فى اتجاه الخلود الحق، لكن إلى أسفل نحو عمق أعماق الحياة الفورية المباشرة لكل منهم. إننى أخافهم خوفاً شديداً، وبسبب الخوف أحب أن أتوقع مقدماً أى رغبة يرغبها الواحد منهم، وأن أقبل قدميه اعترافاً بالجميل! فقط لو انصرف بدون أى دعوة منه لرد الزيارة. وحدى تماماً مازلت حياً، لكن ما إن يصل زائر فإنه يوشك بزيارته أن يقتلنى لكى يكون قادراً على أن يبعثنى حياً بما لديه من طاقة، لكنه لا يمتلك مثل هذه الطاقة الزائدة، يوم الاثنين من المفروض أن أذهب لزيارته، وإن رأسى ليطن بهذا الافتراض.

لماذا يا ميلينا، تكتبين عن مستقبل مشترك لم يكن لنا قط فى نهاية المطاف، أو أن هذا هو السبب فى أنك تكتبين عنه؟ لقد حدث بالفعل ذات مساء فى قبينا عندما تحدثنا عن هذا المستقبل باقتضاب أن تملكنى الإحساس بأننا كنا نقوم بالبحث عن شخص ما عرفناه معرفة عميقة وافقدناه كثيراً، وكنا لهذا نناديه بأعذب الأسماء إلا

أننا لم نلتق أى رد؛ فكيف كان له أن يرد طالما أنه لم يكن موجوداً هناك، ولا كان موجوداً فى أى مكان آخر حولنا على بعد أميال؟ قليلة هى الأشياء المؤكدة، وأحدها هو أننا: لن نعيش معا مطلقاً، فى نفس الشقة، جسداً لجسد، ونجلس إلى نفس المائدة، أبداً، ولا حتى فى نفس المدينة. أوشكت أن أقول الآن بالذات أن هذا يبدو لى يقيناً كيقينى بأننى فى صباح الغد لن أنهض من النوم (لقد رفعت نفسى بدون مساعدة! فى مثل تلك اللحظات أرى نفسى من زاوية رؤية تحتية، وكأننى تحت صليب ثقيل، مضغوط على بطنى إلى أسفل، كان على أن أعمل جاهداً قبل أن أتمكن حتى من أن أنحنى عندما رفعت الجثة التى فوقى نفسها قليلاً) ولن أذهب إلى عملى. هذا صحيح بالفعل، لن أنهض بالتأكيد، لكن لو جاوزت عملية النهوض الطاقة البشرية قليلاً فحسب، فإننى سأظل عندئذ أجهد نفسى فى متابعة القيام بها، سأرفع نفسى هذه الزيادة القليلة فحسب فيما وراء الجهد البشرى، لكن لا تأخذى هذا الكلام عن النهوض حرفياً إلى هذا الحد، فليس الأمر بكل هذا السوء؛ فعن أننى سأنهض غداً أمر على أية حال يفوق فى تأكده أغلب الاحتمالات البعيدة الأخرى التى تحفل بها حياتنا مجتمعة.

ولا تظنى أيضاً يا ميلينا عكس ذلك عندما تتفحصين نفسك وتتفحصينى و«البحر» الذى بين «ثيينا» و«براغ» بأمواجه العالية التى لا تقهر.

أما بخصوص تلك القذارة، فلماذا لا ينبغى لى أن أمضى فى عرضها، وهى ملكيتى الوحيدة (الملكية الوحيدة لكل الناس، فقط أنا لست على كل هذا الوعى بها)؟ بدافع من التواضع، ربما؟ حسناً، سيكون هذا هو الاعتراض الوحيد المبرر.

وعلى هذا ففكرة الموت ترهقك؟ إننى لا أخشى فقط، فى رعب، سوى الآلام. إن هذه دلالة سيئة، فأن يريد المرء الموت ولا يريد الآلام لهى دلالة سيئة، لأنه خلافا لهذا يمكن للمرء أن يفامر بالموت. لقد كان المرء قد أطلق إلى الخارج كحمامة الكتاب المقدس، فلم تجد أثراً لخضرة فانزلقت راجعة إلى ظلام الفلك.

لقد تلقيت النشرات المرسلة من المصحتين، وكنت قد عرفت أنهما لا يمكن أن تتضمنا أية مفاجآت، وأهم ما تضمنناه كان عن النفقات على الأغلب، وعن مدى بعدهما عن قيينا، وفى هذا الخصوص فكلتا المصحتين تقريبا متساويتان وهما باهظتا النفقات للغاية، أكثر من (٤٠٠) ك. فى اليوم، وربما (٥٠٠) ك. وحتى هذه الأسعار عرضة للتغير. والمسافة حوالى ثلاث ساعات بالقطار من قيينا، ثم نصف الساعة بعد ذلك بالعربة، وبهذا تعد رحلة طويلة هى أيضاً. وبالمناسبة، تبدو مصحة (جريمينشتاين) مع ذلك أقل فى أسعارها إلى حد طفيف، وبهذا يمكن أن يقع عليها الاختيار فى حالة الضرورة؛ لكن فقط فى حالة الضرورة.

ترين يا ميلينا، إلى أى حد لا أفكر فقط إلا فى نفسى طول الوقت - أو بالأحرى فى الشريحة الضيقة المشتركة من الأرضية التى تعد طبقاً لشعورى وقصدى حاسمة بالنسبة لنا - وكيف أهمل كل شئ آخر حولى. إننى لم أشكرك بعد حتى عن «كمن» و«تريبونا»، وإن كنت مرة أخرى قد أنجزت ذلك على نحو جميل. سوف أرسل لك نسختى التى معى هنا على المائدة، لكن ربما كنت تريدان أيضاً بعض التعليقات عليها، وفى هذه الحالة يتعين على أن أعيد قراءتها ثانية وليس هذا سهلاً. إلى أى حد أستمتع بقراءة ترجماتك للكتابات

الأجنبية! هل كان حديث تولستوى ترجمة عن الروسية؟ وعلى هذا فقد أصبت بالأنفلونزا؟ حسناً، على الأقل لا يمكننى أن ألوم نفسى على أننى قد استمتعت بوقت مرح هنا بنوع خاص (أحياناً لا أفهم كيف اكتشفت الكائنات البشرية فكرة «الإنشراح»، ربما كان قد تم تقديرها على أساس أنها نقيض للحزن).

كنت قد اقتنعت بأنك لن تعاودى الكتابة إلى بعد ذلك، إلا أننى لم أكن مندهشاً ولا كنت حزينا بهذا الخصوص. لم أكن حزينا لأن ذلك بدا لى ضرورياً على نحو يتجاوز كل حزن، ولأنه فى العالم كله ربما لا توجد أُنْقال ميزان تكفى لرفع ثقل الضنيل البائس، ولم أكن مندهشاً، لأننى لم أكن لأدهش حتى فى الماضى، لو كنت قد قلت: «لقد كنت حتى الآن مترفقة بى، إلا أننى سأكف عن ذلك الآن، وسأذهب بعيداً». لا يوجد فى العالم سوى أشياء تثير الدهشة: إلا أن هذا كان سيعد واحداً من أقل الأشياء إثارة للدهشة؛ فكم يفوقه إثارة للدهشة، مثلاً، أن ينهض المرء من نومه كل صباح. كما أن هذه، علاوة على ذلك، ليست دهشة باعثة على الثقة بالنفس، بل هى بالأحرى فضول أحياناً يثير الغثيان.

فهل لا تستحقين كلمة طيبة يا ميلينا؟ من الواضح أننى لا أستحق أن أقولها لك؛ وإلا لأمكننى أن أقولها.

هل سيرى أحدنا الآخر مبكراً عما أظن؟ أنا أكتب (يرى)، وتكتبين (نعيش معاً) لكننى أعتقد (وأرى اعتقادى مؤكداً، فى كل مكان، وفى أشياء لا علاقة لها به، وأسمع كل الأشياء تؤيد اعتقادى هذا) بأننا سوف لا يكون لنا، ولن يكون فى مقدورنا مطلقاً أن نعيش معاً، (ومبكراً عن) بدلاً من (مطلقاً)، هى مرة أخرى (مطلقاً).

(جريمينشتاين) هي الأفضل في نهاية الأمر. إن الفرق في النفقات ربما كان حوالى (٥٠ ك. في اليوم، وعلاوة على ذلك، ففي المصحة الأخرى على المرء أن يحضر معه كل شئ لعلاج الاستراحة (فروة لغطاء القدمين وسادة بطاطين، إلخ، ولا يوجد لدى شئ من هذا)، على حين أنه يمكن للمرء في مصحة (جريمينشتاين) أن يستعيرها. في مصحة (فينر فالد) على المرء أن يودع مبلغا كئامين، لكن في (جريمينشتاين) ليس هذا مطلوباً، علاوة على أن (جريمينشتاين) تقع على ارتفاع أعلى، وعلى أى حال فلست ذاهباً إليها الآن؛ ومع ذلك فلقد أحسست بسوء حالتى واضحاً لمدة أسبوع (بعض الارتفاع فى درجة الحرارة وتلك الصعوبة فى التنفس، حتى أننى كنت أخشى أن أنهض من أمام المائدة، وأيضاً سعالاً زائداً)، لكن يبدو أن هذا كان فقط نتيجة لمشوار طويل سيراً على الأقدام تحدثت خلاله كثيراً إلى أحد ما؛ وجاتى الآن قد أصبحت أفضل كثيراً، حتى أن المصحة قد أصبحت مرة أخرى حاجة أقل إلحاحاً.

ولدى النشرات الآن هنا: ففي (فينر فالد) أقل سعر لحجرة تطل على الجنوب، وبها شرفة هو (٢٨٠ ك.)، وفي (جريمينشتاين) تكلف أعلى غرفة (٢٦٠ ك.)، إن الفرق بالغ للغاية، وسعرهما كلاهما مرتفع بصورة مرعبة. كما أن احتمالات الاحتياج إلى الحقن يجب أن توضع فى الاعتبار، فالحقن على حدة لها تكلفتها الإضافية. إننى أود الذهاب إلى الريف، وأفضل أكثر حتى أن أبقي فى براغ، وأتعلم إحدى الحرف، وأقل من هذا كله رغبتى فى الذهاب إلى مصحة. فما الذى سأفعله فيها؟ هل سيمسك بى كبير الأطباء بين ركبتيه و«يزغط» قطعة اللحم التى يضعها فى فمى، بأصابعه التى تفوح بحمض الكربوليك حتى تنزل من حلقومى؟

الآن بالذات كنت مستلقيا على الأريكة لمدة ساعتين، ولم أكد أفكر
خلالهما في شيء آخر سواك.

لا يبدو عليك أنك تتركين يا ميلينا، أننا نقف معا جنباً إلى جنب،
نرقب ذلك المخلوق فوق الأرض، الذي هو أنا، لكنني كمتفرج لا يكون
لى وجود عندئذ.

بالمناسبة، إن الخريف يتلاعب بى هو أيضاً، فأنا فى أحيان أكون
دافئاً بطريقة باعثة على الريبة، ويزيبنى كذلك إحساسى بالبرودة، إلا
أننى لم أكتشف عن حقيقة هذا الأمر، فلن يكون هذا أمراً سيئاً للغاية
هو أيضاً. فى الحقيقة كنت حتى قد وضعت فى الاعتبار المرور
مباشرة عبر فيينا، لكن فقط لأن الرنة هى بالفعل فى حالة أسوأ مما
كنت عليه خلال الصيف - وهذا طبيعى للغاية فى نهاية الأمر -
والحديث فى الشارع صعب بالنسبة لى، وله نتائج غير سارة. فلو كان
على أن أغادر هذه الحجرة، لرغبت فى أن ألقى بنفسى بأسرع ما
يمكن على المقعد القماش فى (جريمينشتاين) ومن ناحية أخرى، فلعل
الرحلة فى حد ذاتها أن تكون ذات نفع لى مثلها مثل الهواء فى فيينا
الذى فاجأنى ذات مرة عندما تنفست فيه نسمات هواء الحياة الحقيقية.
قد تكون (فيزفالد) أقرب، لكن هناك ثمة فرقاً كبيراً فى المسافة،
والمصحة لا تقع فى (ليبرزورف)، بل تقع على مسافة أبعد منها، ومن
المحطة إلى المصحة مسافة أخرى تبعد نصف ساعة بالعبية. وعلى هذا
فلو كان لى أن أرحل من هذه المصحة إلى بانن بدون مصاعب - لأن
ذلك سيكون بالتأكيد مخالفاً للتعليمات - فسيكون فى مقدورى بالمثل
أن أرحل أيضاً من (جريمينشتاين) إلى (فينر - نوشتات)، ولن يكون

فى هذا فرق كبير لا بالنسبة لك ولا بالنسبة لى.

كيف حدث يا ميلينا، أنك مازلت لا تحسبن أى خوف أو نفور منى، أو شئ من هذا القبيل؟ والى أى مدى تبلغ جدبتك وقوتك. إننى أقرأ كتاباً صينياً هو (قصص أشباح). وأذكره لأنه يهتم بصفة خاصة بالموت. رجل يستلقى على فراش موته، وفى حالة الاستقلال التى يتيحها له إشرافه على الموت، يقول: «لقد قضيت حياتى محاولاً أن أحارب الشهوة وأن أضع نهاية لها». ثم يسخر تلميذ من مدرسه الذى لا يتحدث عن شئ سوى الموت قائلاً له: «إنك تتحدث عن الموت طوال الوقت، لكنك لا تموت حتى الآن»، ويرد عليه المدرس: «وسأمت مع ذلك، لكننى أغنى فقط أغنيتى الأخيرة؛ فأغنية رجل ما أهول، وأغنية غيره أقصر. والفرق مع ذلك لن يكون مطلقاً أكثر من بضع كلمات قلائل».

هذا حق، ومن غير العدل أن يبتسم المرء وهو ينظر إلى البطل الذى يستلقى فوق خشبة المسرح، يغنى وهو يعانى جراحه المميتة لحناً من الألحان. فنحن جميعاً نستلقى فوق الأرض ونغنى لسنوات. قرأت أيضاً «رجل المرأة»^(١)، فأتية وفرة فى الطاقة الحيوية فقط فى أحد المواضع يتبدى المرض قليلاً، لكن تتزايد فى كل موضع آخر غزارتها الحيوية، وحتى المرض مفرط القوة لقد قرأتها فى نهم حتى النهاية فى ظهيرة واحدة.

م هذا الذى يعذبك الآن «هناك»؟ لقد ظننت دائماً أننى كنت عاجزاً حيال هذا فى الماضى، لكننى إنما أعانى العجز الآن فحسب، وعلاوة على ذلك، فأنت غالباً جداً ما تكونى مريضة. مررت الآن على المدير؛ كان هو قد استدعانى. وكانت (أوتلا) قد

ذهبت لمقابلته ضد رغبتى فى الأسبوع الماضى؛ وضد رغبتى فحص طبيب العمل حالتى، وضد رغبتى سوف أحصل على إجازة.

اصفحى عنى يا ميلينا، فلقد كتبت لك باختصار زائد ربما، فى لفترة، الأخيرة، بينما كنت ساخطاً عند حجز الغرفة بالمصحة (التي اتضح الآن أن حجزها لم يتم)؛ وعلى الرغم من ذلك، فأنا أنوى الذهاب إلى (جر.)، لكن ماتزال هناك بعض المعوقات الصغيرة التي كان من الممكن أن يتغلب عليها قبل وقت طويل شخص يتمتع بقوة جسمانية متوسطة، إلا أنني فحسب لم أستطع (وبالطبع من ذا الذي لا يود الذهاب إلى (جر.)). وقد علمت للتو أيضاً، أنه خلافاً لتأكيدات المصحة، يلزمنى تصريح إقامة من السلطات التي ربما تسمح بها، لكن ليس قبل أن أرسل طلباً لذلك بلا شك.

لقد قضيت فترة ما بعد الظهيرة كلها فى الشوارع، ألتوى ملتقطاً الطعم من سنارة اليهود (رعاع أقذار) سمعت أحدهم ينعت بها اليهود منذ بضعة أيام. أليس السلوك الطبيعى هو أن يفدر المرء المكان الذى تبلغ الكراهية له فيهذا الحد؟ (لهذا السبب، لا حاجة بنا إلى الصهيونية، أو الشعور القومى). إن البطولة التي تتمثل فى البقاء على الرغم من كل هذه الكراهية، هى بطولة الصراصير التي يتعذر أيضاً إبادتها من الحمام.

الآن فحسب تطلعت خارج النافذة: البوليس المحلى على ظهور الخيل (الجنדרمارى) متأهب للهجوم بالسناكى، والحشد الصارخ يتبدد هارباً، وفى النافذة هنا فى أعلى العار الكريه للحياة طوال الوقت تحت الحماية.

(١) مسرحية 1 (فرانتس فيرغل).

كانت هذه الرسالة لمقابلة هنا لبعض الوقت، إلا أنني لم أعقد لعزم على إرسالها، كنت متغلباً للغاية فى داخل نفسى - أيضاً، يمكننى أن أفكر دائماً فى السبب الوحيد لعدم كتابتك لى.

لقد أرسلت الطلب فعلاً إلى السلطات، وعندما يتم قبوله فسوف تتم البقية (حجز الغرفة وجواز السفر) عاجلاً، ثم سأحضر بعد ذلك، تريد شقيقتى أن تذهب إلى فيينا، وربما تحضر فى الحال، إنها تريد أن تقضى يوماً أو يومين فى فيينا، لكى ترافق فى رحلة قصيرة، طفلها الذى يبلغ الشهر الرابع من عمره الآن.

إيرنشتاين^(١) - حسناً، مما كتبه لك، يتضح أن له عينا فاحصة أكثر مما ظننت. وعلى هذا الأساس أحب أن أعيد النظر فى الانطباع الذى كنت قد كونته لنفسى عنه، لكن طالما أنني لا يمكنى أن أراه، لأن فلن يكون ذلك بإمكانى، أحسست معه - وإن لم يكن ذلك قد استمر لأكثر من ربع الساعة - بالارتياح الزائد، ولم يكن هذا غريباً بالمرّة، وإن لم يكن ذلك على مستوى أكثر ارتفاعاً فى الوقت نفسه - لقد كان الارتياح، وعدم الإحساس بالغربة هو الإحساس الذى أحسسته عندما كنت تلميذاً تجاه الصبى الذى كان يجلس إلى جوارى. أحببت ذلك الصبى، لم يكن بإمكانى الاستغناء عنه كذ حليفين فى اجتيازنا لكل أهوال المدرسة؛ وكان تصنعى معه أقل منه مع أى شخص آخر - فأى علاقة مثيرة للشجن كانت علاقتنا تلك أساساً. لقد كان هذا هو نفس الشئ مع (إيرنشتاين)، لم أشعر معه بأى تبادل مشترك للقوة الداخلية، كان ما يعنيه جيداً جداً، وكان يتحدث جيداً، ويبدل جهداً هائلاً، لكن لو قدر لمثل هذا المتحدث أن يقف على ناصية كل شارع فلن يكون لهؤلاء المتحدثين

(١) ألبرت إيرنشتاين، الشاعر الفييني.

على أى نحو، أن يعجلوا بمجئ «يوم الحساب»؛ لكنهم سيجعلون أيام الحاضر تستعصى أكثر مما هى عصىة، على قدرتنا على احتمالها. هل تعرفين (تانيا) ^(١)، تلك المحادثة بين القس الروسى وبين تانيا؟ إنها، دون أن يقصد لها أن تكون؛ مثال لهذا النوع من العون العاجز وتموت تانيا أمام أعيننا تحت وطأة عبء هذا الارتياح الهائل.

ربما يكون (إ.) فى ذاته شخصا شديد القوة، وما قرأه منذ عدة ليال، كان جميلا جمالاً نادراً، وإن يكن مرة أخرى باستثناء فقرات معينة فى كتاب «كراوس» ^(٢). وله كما قلت من قبل عين نافذة.

فى الحقيقة، يكاد يكون (إ.) قد أصبح لدينا على الأغلب، هو هوجسم على أى حال (وأيضا جميل بصراحة؛ فكيف أخطأك أن تلاحظي ذلك!)، ويعرف عن النحاف من الناس، ما يزيد قليلا على معرفته بكونهم نحاف البنية، وأصارحك القول بأن معرفته هذه تعد كافية بالنسبة لغالبيتهم؛ فهى كافية مثلاً، بالنسبة لى.

لقد تأخرت المجلات، وسأذكر لك السبب فى وقت آخر؛ إلا أنها فى الطريق.

لا ياميلينا، لا توجد إمكانية حياة مشتركة ظننا أننا كنا قد عشناها فى قيينا، تحت أى ظرف، ولم يحدث أن وجدت تلك الحياة وقتذاك، كنت قد تطلعت «من وراء سورى»، كنت فحسب قد شبيب نحو قمة السور متشبثا بها بيدي، ثم سقطت من عندها ثانية بيدين ممزقتين. هنا بالطبع إمكانات أخرى؛ إلا أنني لم أعرفها بعد.

(١) دراما شاعر براغ (إرنست فايمس).

(٢) كتيب إيرنشباين، عن الكاتب الفينى الساخر «كارل كراوس».

أسعدتني بالجلول. إننى أدرسه وكأنتى أدرس خريطة. هناك ثمة يقين إلا أننى واثق من أننى لن أحضر قبل أسبوعين، وربما بعدهما. عدة أشياء مازالت تعوق انطلاقى فى مقر عملى؛ والمصححة التى عتادت الرد على فوراً، قد صمتت الآن، ولم ترد على تساؤل عن التغذية النباتية، وعلاوة على ذلك فإن نهوضى للقيام بالرحلة يكاد يكون كنهوض أمة؛ طوال الوقت هنا وهناك يحتاج الأمر إلى شئ من الإرادة؛ وهذا الشخص وذاك مايزال ينبغى تشجيعه، وفى النهاية يصبح كل شخص مستعداً لكننى لا أتمكن من الرحيل لأن طفلاً راح يبكى، وأكثر من ذلك، فإننى أكاد أخاف الرحلة فمن ذا الذى سيحتلمنى مثلاً فى فندق، عندما أنخرط فى السعال مثل الليلة من العاشرة إلا الربع (لقد انقضت سنوات منذ أن تواجدت فى الفراش فى العشرة إلا الربع) حتى حوالى الحادية عشرة بلا انقطاع، ثم أتهياً للنوم، وفى الثانية عشرة عندما أقلب من الجانب الأيمن إلى الجانب الأيسر، أبدأ فى السعال ثانية وأستمر فى السعال حتى الواحدة صباحاً؟ لا شك أننى لن أجزؤ على أن أرحل ثانية فى قطار نوم، كما فعلت فى العام الماضى بلا صعوبات.

ليس الأمر تماماً على هذا النحو يا ميلينا، إن من يكتب لك الآن، تعرفينه من ميران. كنا عند ذاك شخصاً واحداً، لم يكن قد أصبح هناك ثمة سؤال عن معرفة أحدنا بالآخر، ثم انفصلنا بعد ذلك ثانية. وأود أن أقول ما هو أكثر فى هذا الشأن، غير أنه لا يمكنه أن يخرج من حلقى الجاف.

إن الأمر هو أيضاً على هذا النحو معى. غالباً ما أفكر قائلاً

لنفسى: يجب أن أخبرك بهذا، غير أنتى لا أستطيع أن أخبرك بشئ فى نهاية الأمر. ربما كان الباشجاويش (بيركنز) ولا يمكننى إلا عندما يترك يدى لدقيقة أن أكتب لك بسرعة كلمة فى السر.

إن ترجمتك لهذه الفقرة بالذات تدل على تشابه فى المزاج، نعم، إن التعذيب يهمنى غاية الأهمية ، إننى لا يشغلنى شئ سوى أن أتعذب وأن أتسبب فى عذاب الغير. لماذا؟ لنفس السبب الذى كان يدفع الباشجاويش بيركنز، ومثله أيضا أفعل ذلك بلا تفكير، تلقائياً وانسياقاً مع العرف - أعنى لكى أتعلم الكلمة اللعينة من الفم الملعون. كنت قد عبرت ذات مرة عن الغباء المتأصل فى هذا (فالتحقق من الغباء لا ينفع بشئ) كما يلى: «ينتزع الحيوان السوط من السيد ويسوط به نفسه، وذلك كى يصبح هو نفسه سيداً، ولا يدرك أن ذلك ليس لسوى خيال صورته له عقدة جديدة أخرى فى سوط السيد».

وإن التعذيب ليثير الشفقة بالطبع، أيضاً، ولهذا لم يقم الاسكندر بتعذيب «العقدة الجوردية» عندما استعصت على أن تنفك.

فى هذا الصدد يبدو أن ثمة عرف يهودى موجود أيضاً، فالـ(فلكوف^(١))، التى تكتب كثيراً ضد اليهود فى هذه الأيام، قد أوضحت فى مقال بارز أخيراً أن اليهود يفسدون كل شئ ويصيبونه بالانحلال، وأنهم حتى يفترض أنهم قد أفسدوا حركة (التسوط) التى كانت معروفة فى القرون الوسطى! والسوء الحظ لم يرد بالمقال مزيداً من التفاصيل عن هذا، فقط كانت به فقرات مقتبسة من كتاب

انجليزى. أشعر «بتثاقل» بالغ يعوقنى عن الذهاب إلى مكتبة الجامعة، إلا أنني أود جداً أن أعرف حقيقة علاقة اليهود بهذه الحركة التى كانت (خلال العصور الوسطى) قد بعد بها العهد عنهم جداً، وربما وجد بين معارفك باحث يعرف شيئاً عن هذه الحركة.

لقد أرسلت الكتب، وأصرح لك بوضوح، أن ذلك لم يضايقنى، بل إنه على العكس من ذلك هو الشئ الوحيد الذى يكاد يكون له معنى والذي قمت به منذ وقت طويل. كتاب (آلس)^(٢) قد نفذت طبعته، وسوف تظهر الطبعة الجديدة منه فى عيد الميلاد. وقد اشتريت بدلاً منه كتاباً لـ(تشيخوف). وأخشى ألا تكون طبعة (بابيكا). واضحة للقراءة، فلعلك لم تكونى لتشتريها لو رأيتها، لكن كانت التعليمات قد وجهت إلى

هل قرأت شيئاً عن تفاصيل حريق المصحبة؟ على أية حال ستكون مصحبة (جريمينشتاين) قد ازدحمت الآن وأصبحت بعيدة عن متناولى. وكيف سيتمكن (هـ) من زيارتى هناك؟ ظننت أنك قد كتبت لى أنه موجود فى ميران.

إن رغبتك فى ألا أقابل زوجك من الممكن ألا تكون أقوى من رغبتى فى ذلك، لكن لو لم يحضر هو بالفعل لزيارتى - ولا أكاد أظن أنه سيفعل ذلك - فسوف يكون لقاءنا عندئذ مستحيلاً. تأجلت الرحلة مرة أخرى لأن لدى أعمالا على أن أقوم بها فى المكتب، ترين من هذا أنني لست خجلاً عندما أكتب إليك قائلاً أن

(١) الصحيفة لسان حزب الفلاحين المحافظ.

(٢) Ales فنان مصور وحفار تشيكي.

لدى «أعمالا على أن أقوم بها». بالطبع من الممكن أن تكون هذه أعمال كأي أعمال أخرى غيرها؛ لكنها بالنسبة شبه إغماءة، أقرب إلى الموت كقرب النوم منه. فقال «فنكوف» صحيح تماماً. هاجرى يا ميلينا، هاجرى.

تقولين يا ميلينا أنك لا تفهمين ذلك، حاولي فهمه بأن تسميه مرضاً. إنه واحد من كثير من الأعراض المرضية الذي يظن التحليل النفسى أنه قد كشف عنها. إننى لا أسميه مرضاً وأعتبر الجانب العلاجى من التحليل النفسى غلطة ميئوس من إصلاحها. كل هذه التى تدعى أمراضاً، مهما بدت بائسة، هى أمور تتعلق بالعقيدة، هى جهود للأرواح المكروية فى محاولاتها لبلوغ مرافئ فى تربة أمومية على نحو ما؛ وعلى هذا يعتبر التحليل النفسى أيضاً أصل الأديان (فى زعمه) ليس سوى ما يسبب للفرد «الأمراض». ونفتقد فى أيامنا هذه بالطبع الإحساس بالمجتمع الدينى بصفة عامة؛ فالمثل لا حصن لها، ومحصورة فى أشخاص فرادى - وربما يبدو ذلك على هذا النحو فقط للعين المتأثرة بألوان الحاضر.

ومع ذلك فمثل هذه المرافئ التى تتشبث بالأرض الصلبة حقاً، هى فى النهاية ليست ملكية للإنسان منعزلة قابلة للتبادل، بل هى خلافاً لذلك موجودة قبلاً فى طبيعته، وهى تواصل عملها فى تشكيل طبيعته (كما تعمل عملها فى تشكيل جسمه أيضاً) فى هذا الاتجاه، والأمل أن يكون هنا مجال العلاج ؟

أما فى حالتى فعلى المرء أن يتخيل ثلاث دوائر: دائرة داخلية هى (أ)، ثم (ب) ثم (ج)، وتفسر الدائرة المركزية (أ) للدائرة (ب) لماذا يتعين على هذا الرجل أن يعذب نفسه ويتشكك فيها، ولماذا يتعين عليه

أن يرفض (إنه ليس رفضاً، لأن ذلك سيكون من الصعب جداً، ولكنه فقط مجرد وجوب لأن يرفض)، ولماذا قد لا يكون له أن يعيش. (والم يكن ديوجين مثلاً، مريضاً بهذا المعنى مرضاً عضالاً؟) ومن منا من لن يسعده لو أشرقنا في النهاية من أعلى عين الاسكندر؟ غير أن ديوجين قد استعطفه في إلحاح بالغ أن يتبع له الحصول على الشمس - تلك الشمس الملهمة، الإغريقية، التي يبعث حريقها على الجنون. لقد كان هذا الحوض مليئاً بالأشباح. أما عن (ج) الشخص الفعال، فلا شيء عنده يجد تفسيراً حتى الآن، فهذه الدائرة تتلقى الأمر من (ب). إن (ج) إنما يفعل تحت أقصى الضغوط عنفاً، عندما يتصعب عرق الخوف بارداً (هل ثمة عرق آخر يتفصد فوق الجبهة، والخصين، والصدين وفروة الرأس - أو باختصار من كافة جوانب الجمجمة كلها، هذا هو حال (ج))، وعلى هذا فإن (ج) يعمل بفعل الخوف أكثر مما يعمل على أساس من الفهم؛ إنه يصدق ويعتقد أن (أ) قد فسر كل شيء لـ(ب) وأن (ب) قد فهم، وأوصل إليه كل شيء بالضبط.

إننى لا أفنقر إلى الإخلاص يا ميلينا مع أن لدى انطباعاً بأن خط يدي في الكتابة قد دأب على الزيادة ضراحة ووضوحاً؛ فهل هو كذلك؟ كما أننى قد بلغت فى إخلاصى آخر مدى تسمح به (تعليمات السجن) وهذا كثير، كما أن «تعليمات السجن» أيضاً تزداد تراخياً فى صرامتها؛ لكننى لا أقدر على الثبات فى الالتزام بخطاها، «فالثبات» مستحيل.

إن لى ميزة أتميز بها، وإن كانت فى جوهرها لا تفرق كثيراً بينى وبين معارفى، وإن كانت تزداد فى حالتى كثيراً فى الدرجة. كلانا

يعرف فى النهاية نماذج نمطية كثيرة من اليهود الغربيين، وأعد أنا بقدر علمى أكثر هذه النماذج نمطية بينهم. ومعنى هذا فى شئ من المبالغة أنه ليس لى أن أطمع فى ثانية واحدة من الهدوء؛ لا شئ لى من هذا مطلقاً، وعلى أن أكتسب كل شئ؛ ليس فقط الحاضر والمستقبل؛ بل على أن أكتسب الماضى أيضاً - وثمة شئ فوق هذا ربما يكون قد اكتسبه كل كائن على نحو ما بالوراثة؛ هذا الشئ أيضاً على أن أكتسبه. ولعل هذا أن يكون هو أشق ما يتعين على أن أنجزه.

وعندما تسير الأرض نحو اليمين ولست متأكدا من أنها تفعل هذا - يكون قد تعين على عندئذ أن أستدير أنا إلى اليسار، لكى أعوض ما فاتنى من الماضى. ولما كنت لا أملك أدنى ذرة من القوة للاضطلاع بهذه الالتزامات، فلست أقوى على حمل الدنيا فوق كتفى؛ ولا أنا أحتمل حتى ثقل معطفى فوقهما. وهذا الافتقار إلى القوة، هو بالصدفة شئ لا يتعين على المرء بالضرورة أن يتباكى عليه؛ فأية قوة إذن تكفى للاضطلاع بهذه الأعباء. إن أية محاولة للمضى فى هذا السبيل استناداً إلى قوتى الحالية هوجنون، وستكون عاقبته هى الجنون. لهذا السبب من المستحيل أن (أثبت) فى خطاى، كما تقترحين. وحدى لا يمكننى أن أمضى فى الطريق الذى أريد الماضى فيه، وفى الحقيقة لا أستطيع حتى أن أريد أن أمضى فيه. باستطاعتى فقط أن أهدأ؛ لا أستطيع أن أرغب فى أى شئ آخر، كما أننى لا أريد أى شئ آخر.

إن الأمر لا يخرج عن كونه، كما لو أن شخصاً ما، لم يكن عليه فقط

قبل أن يخرج في كل مرة للتريض أن يغتسل ويمشط شعره وما إلى ذلك وهذا في حد ذاته مرهق حقاً بما فيه الكفاية - بل يتعين عليه أيضاً (بما أنه في كل مرة يقتقر إلى ما هو ضروري لنزّهته) أن يخطط ثيابه هي أيضاً وأن يضع أحذيته وأن يقوم بتصنيع قبعته، وأن ينحت عصاه التي يتوكأ عليها في سيره، وهكذا. وبالطبع لا يكون قادراً على أن يصنع كل هذا على نحو جيد جداً، فلعلها أن تتماسك كلها إلى بعضها البعض على امتداد بضعة شوارع قليلة؛ لكنه عندما يبلغ «جراين»^(١) مثلاً، تسقط جميعاً كل منها في ناحية، ليقف هنالك عارياً وسط الخرق والأسمال، ويحى الآن دور العذاب في جريه راجعاً إلى (ساحة ألت - شتيتز)^(٢). وفي النهاية ربما يندفع وسط غوغاء التأموا في حلقة شرّك لليهود في «حارة (آيزن)».

لا تسيئي فهمي يا ميلينا، فأنا لا أقول بهذا إن هذا الرجل قد ضاع، لا، أبداً؛ لكنه يكون قد ضاع إن ذهب إلى (جراين)، حيث يجلب الخزى على نفسه والعار على العالم.

تسلمت رسالتك الأخيرة يوم الاثنين، وأرسلت ردى عليها أيضاً في الحال يوم الاثنين.

بخيل إلى أن زوجك قد قال هنا إنه ينوى الرحيل إلى باريس، فهل هذا تطور جديد في إطار الخطة القديمة؟
وصلتني اليوم رسالتان. بالطبع أنت على حق يا ميلينا، فلا أكاد

(١) شارع عمومي في براغ.

(٢) حيث كان يقطن والد كافكا.

أجروا على فض ربودك خجلاً من رسائلى، ورسائلى صادقة كما هى، أو على الأقل فى طريقها لأن تكون صادقة - تصورى ما كنت سأفعل عندما واجهتتى رسائلك، لو كانت رسائلى كاذبة! الجواب سهل. كنت سأصاب بالجنون. وعلى هذا فقول الحقيقة ليس فضيلة كبيرة جداً؛ بل هى أيضاً بالغة الصغر أيضاً، إننى أحاول طوال الوقت أن أنقل إليك شيئاً لا يمكن نقله؛ أن أشرح لك شيئاً لا يقبل التفسير، أن أخبرك بشئ يسكن فى عظامى ولا يمكن أن تعاني تجربة معرفته فقط سوى هذه العظام وعسى ألا يكون ذلك فى الأساس شيئاً سوى ذلك الخوف الذى تحدثنا عنه مراراً بالفعل، إلا أن الخوف قد امتد إلى كل شئ، الخوف من عظام الأمور كالخوف من التوافة - الخوف، الخوف المتشنج كى لا ينطق كلمة. ومن ناحية أخرى مع ذلك، فلعل هذا الخوف ألا يكون خوفاً فقط، لكنه توق أيضاً فى الوقت نفسه إلى شئ هو أكبر من كل الأشياء التى تبعث الخوف.

- «كان قد انقلب ضدى» - هذا شئ لا معنى له على الإطلاق، غير أننى أنا المظلوم، فهى تتألف من قليل جداً من الصدق فى جانبى، قليل جداً جداً من الصدق، ويتألف أغلبها من أكاذيب، أكاذيب نابغة من الخوف من نفسى ومن الخوف من الناس! وهذه الجرة كانت قد انكسرت قبل أن تذهب إلى النبع بوقت طويل^(١).

والآن سوف أمسك لسانى، حتى يتسنى لى أن ألزم قليلاً جانب الصدق. إن الكذب أمر مخيف، لا يوجد عذاب عقلى أسوأ منه، وهذا هو السبب فى أننى أستعطفك: أرجوك دعينى أصمت فى الرسائل الآن، وأتوقف عن الكلمات فى شينبا.

(١) من امثل الألمانى: «الجرة تنمب مراراً وتكراراً إلى النبع حتى لقد رجعت فى النهاية إلى البيت مكسورة».

تكتبين قائلة: «لقد انقلب ضدى»، لكننى فقط أرى أنك تعذبن نفسك، وأنت كما تقولين تجدين السلام فقط فى الشوارع، بينما أجلس أنا هنا، فى حجرة دافئة، مرتدياً ملابسى المنزلية، وشبشبى، هادئاً بقدر ما يتيح لى ذلك (رقاص ساعتي) و(إنه لابد لى من «تحديد الوقت»).

يمكننى أن أعرف متى سأرحل فقط بعد أن أتسلم التصريح بالإقامة. ذلك أن الإقامة لمدة تزيد عن ثلاثة أيام تتطلب تصريحاً خاصاً من السلطات، وقد قدمت طلباً لذلك منذ أسبوع.

- «لقد انقلبت ضدى» - إننى أفكر مرة أخرى فى هذه الجملة فهى خاطئة تماماً مثلاً، بقدر ما تعبر عن الإمكانية المضادة.

ليس هذا خطئى، ولا هو خطأ الغير. هو فحسب أن منزلى إنما يتواجد فى الهدوء الأهدأ، وهذا هو ما يصح بالنسبة لى.

لقد قصصت هذا الموضوع لأجلك من الصحيفة (ليفين)^(١) قد أطلق عليه الرصاص فى ميونيخ، هل لم يحدث له ذلك ؟

اليوم هو الخميس. حتى يوم الثلاثاء، كنت قد قررت جاداً أن أرحل إلى جريمينشتاين على الرغم من أننى عندما أفكر فى ذلك أحس أحياناً بتهديد داخلى، وأدركت أيضاً أن تأخير الرحلة كان إلى حد ما يرجع إلى هذا السبب، وعلى الرغم من ذلك، اعتقدت أنه من السهر إمكان أن أتعلم على الأمر كله. وفى يوم الثلاثاء بلغنى من شخص ما أنه ليس من الضرورى أن أنتظر فى براغ لاستلام

(١) مفروض الشعب خلال عهد جمهورية ميونيخ المستشارية.

تصريح الإقامة، ذلك أن بإمكان المرء أن يحصل عليه في ثيينا، في سر. وعلى هذا كان الطريق مفتوحاً أمامي. وقد قضيت إحدى فترات الظهيرة بأكملها ممدداً فوق الأريكة أعذب نفسي، وفي المساء كتبت لك رسالة، غير أنني لم أرسلها لك، ذلك أنني مازلت أظن نفسي قادراً على أن أتغلب على الأمر. غير أنني قضيت الليلة المؤرقة كلها غالباً وأنا أتلوى من العذاب.

إن هذين اللذين يكمنان في اخلي، ذلك الذي يريد الرحيل، والآخر الذي يخاف أن يرحل، كل منهما كان جزءاً مني، ولقد كانا وغدين كليهما، وكانا يتصارعان بداخلي، وفي الصباح نهضت كما أستيقظ وأنا في أسوأ حالاتي.

ليست لدى القوة لكي أرحل؛ إن فكرة الوقوف في مواجهتك لا يمكنني مقدماً أن أحتملها، لا أتحمل الضغط على ذهني.

تظهر رسالتك بالفعل خيبة أمل لا سبيل إلى مقاومتها، وإحباطاً لا حد له بداخلي - وتظهر رسالتي هذه ذلك أيضاً. تكتبين قائلة إنه لا أمل لديك، لكنك تملكين الأمل في أن يكون في مقدورك أن تتركيني تماماً.

لا يمكنني أن أوضح لك، ولا لسواك كيف أشعر بذلك في داخلي. كيف أوضح كيف كان الأمر هكذا؟ لا يمكنني أن أوضح هذا حتى لنفسى، ومع ذلك، فليس هذا هو الشيء الأساسي - فالشيء الأساسي واضح: أن يعيش امرؤ حياة إنسانية في الجو الذي يحيط بي، مستحيل؛ إنك تتركين ذلك، ومع ذلك فأنت لا تريدين أن تصدقي؟

مساء السبت

لم أتسلم بعد الرسالة الصفراء، وسوف أعيدها لك مغلفة.
سأكون مخطئاً خطأ بالغاً إن لم يتضح أن فكرة أننا قد توقفتنا
الآن عن الكتابة أحدنا إلى الآخر، هي فكرة جيدة. إلا أنني لست
مخطئاً يا ميلينا.

لن أتحدث عنك، ليس لأن هذا ليس من شأني، فهو شأني، إلا
أنني لا أريد أن أتحدث عنه.

وعلى هذا فسأتحدث فقط عن نفسي: إن ما تمثيئه بالنسبة لي يا
ميلينا، هو بالنسبة لي شيء يتجاوز كل العالم الذي نعيش فيه، شيء لا
يوجد في القصصات اليومية من الأوراق التي ظلت أكتبها لك. هذه
الرسائل في حقيقتها لا نفع فيها سوى أنها تسبب العذاب، فلو كانت
لا تسببه لكانت عندئذ أشد سوءاً. إنها لا يمكنها أن تفعل سوى أن
تقدم يوماً في جموند، سوى أن تنتج أشكالاً من سوء التفاهم،
وإذلال، دائماً الإذلال المتصل. أريد أن أراك في مثل الوضع الذي
رأيتك عليه أول مرة في الشارع، إلا أن الرسائل تشوش أكثر مما
يفعل كل شارع (ل)، بكل وضوحه.

ومع ذلك، فليس هذا شيئاً حاسماً حتى؛ إن ما هو حاسم هو
عجزى، الذي تزيده الرسائل وأن أبلغ إلى ما وراء الرسائل؛ هو
العجز تجاهك، بالإضافة إلى العجز تجاه نفسي - ألفت رسالة في
جانبك، وألف رغبة في جانبي لا يمكنها أن تدحض ذلك بالنسبة لي
وما هو أكثر من ذلك حسماً هو الصوت القوي الذي ربما كان هو
سبب هذا العجز؛ غير أن كل الأسباب إنما تقبع في الظلام، بما أنه
كان صوتك أنت الذي يرجوني أن أظل صامتاً.

ويبقى الآن كل ما يتعلق بك ولم يحدث له بعد أن قيل، على الرغم من أنه موجود في كل رسالتك (وربما في الرسالة الصفراء أيضاً، أفي أفضل. فهي تبدو نفسها في البرقية التي طلبت أنت بواسطتها، ولك كل الحق في طلبك بالطبع، إعادتها إليك)، ويوجد مراراً في الفقرات التي تخوف منها أنا، والتي أتجنبها كما يتجنب الشيطان مكاناً مقدساً.

غريب، لقد أردت أنا أيضاً أن أرسل لك برقية، ولقد داعبتُ هذه الفكرة لوقت طويل، في الفراش، خلال الظهيرة، فوق الشرفة في المساء، إلا أنها لم تكن سوى مجرد سطر واحد لاغير: «سؤال عن رد محدد، ومؤكّد على الفقرات التي تحتها خط في الرسالة الأخيرة». وأخيراً، مع ذلك باغتتنى ريبة لا أساس لها؛ قبيحة تكمن في ثنايا هذا السطر فلم أرسله.

ها أنذا أجلس الآن هنا لقراءة تلك الرسالة - لا أفعل شيئاً سواها، حتى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر - لقد حدثت فيها، وحدثت فيك من خلالها.. أحياناً وفي غير ما حلم، أرى هذه الرؤية: وجهك وقد غطاه شعر، وأنجح في فرق الشعر، وإزاحته إلى اليمين وإلى اليسار، ويتبدى وجهك، وأدركت جبهتك وجبينك على الجانبين، كي أخذ وجهك الآن بين راحتيّ.

★ (في الهامش الأيمن): لو ذهبت إلى مصححة، فسوف أخبرك بذلك بالطبع.

الاثنين

أردت أن أمزق هذه الرسالة، ولا أرسلها، ولا أرد على البرقية؛ فالبرقيات بالغة الغموض؛ لكن وصلت البطاقة الآن والرسالة، هذه البطاقة وهذه الرسالة. لكن حتى تجاههما يا ميلينا، حتى لو كان اللسان الذي يتوق إلى الحديث كان عليه أن يتمزق مرقاً - فكيف يمكنني أن أعتقد أنك تحتاجين إلى رسائل الآن، بينما لا تحتاجين إلى شيء سوى الهدوء، كما قلت مراراً في شبه غيبوبة. وهذه الرسائل ليست في النهاية سوى عذاب؛ وليدة العذاب، العذاب الذي لا شفاء له، وتخلق فقط العذاب، العذاب الذي لا شفاء منه، ما فائدتها - وإنها لتزداد سوءاً حتى - خلال هذا الشتاء؟

وأن يكون المرء صامتاً، لهي الطريقة الوحيدة لكي يحيا هنا وهناك، في حزن، حسناً، أي أهمية لذلك؟ إنها تجعل النوم أكثر طفولية، وأكثر عمقاً. لكن العذاب معناه دفع محراث في عمق النوم - وعبر النهار - وهذا لا يحتمل.

الأربعاء

ليس هناك قانون يمنعني من الكتابة إليك مرة أخرى، ومن أن أشكرك على هذه الرسالة التي تتضمن ربما أجمل سطر على الإطلاق أمكن أن تكتبه إلي، وهو هذا «إنني أعرف أنك إلا أنك خلافاً لذلك كنت متفقة معي لوقت طويل على أننا ينبغي لنا الآن ألا يكتب أحدهنا بعد الآن إلى الآخر. وحقيقة أنني قد اتفق لي أن كنت أنا من عبر عن هذه الفكرة، هي مجرد صدفة. فقد كان من المحتمل بالمثل أن تكوني أنت من عبر عنها، وطالما أننا قد اتفقنا

عليها فليس من الضروري أن نفسر لماذا سيكون من الخير عدم الكتابة.

إن السئ هو فقط أنه (من الآن فصاعدا لا ينبغي لك أن تسألني في مكتب البريد) أن يكون لي غالباً أى إمكانية للكتابة إليك، أو سيكون لي فقط إمكانية أن أرسل لك بطاقة بدون كتابة، ستعني بهذا أن رسالة مني تنتظر في مكتب البريد. ويجب أن نكتبى إلى د،نمأ عندما يبدو ذلك ضرورياً للغاية، إلا أن هذا لا يحتاج إلى إيضاح.

لقد عالجت الصفة بالفعل مع (ف.) بطريقة سيئة جداً، لاشك في ذلك، إلا أن تعاملى بشأنها لم يكن بالغ السوء إلى هذا الحد الذي بدا لك عند الصدمة الأولى. قبل كل شئ لم أكن قد ذهبت كمن يلتمس التماساً، وأقل من ذلك استخدامى لاسمك. كنت قد ذهبت كشخص لا ينتمى إلى جهة ما، ويعرفك معرفة جيدة، شخص قد عاين بعض الأحوال في فيينا، وكان قد تلقى الآن رسالتين حزينتين منك أيضاً.

لن أقول وداعاً، فليس ثمة وداع، ما لم تجتذبنى تلك الجاذبية المتربصة في الانتظار، فتهوى بى تماماً إلى أسفل. لكن كيف يكون لها أن تفعل بى ذلك طالما أنت على قيد الحياة؟

سيدتى العزيزة ميلينا^(١)

أظن أنه من الأفضل ألا يتحدث المرء كثيراً عن تغطية ظهره، وما يرتبط بذلك، إلا بقدر ما يمكن للمرء أن يتحدث عن الخيانة العظمى

(١) «رسائل التالية كانت قد أرسلت إلى شقة ميلينا وهنا يعود كافكا إلى استخدام اسم صمير الشخص الثاني الجمع «Sic» (حضرتك).

فى وقت الحرب، فهذه فى النهاية هى أشياء لا يستطيع المرء أن يفهمها كل الفهم، ولا يسعه فى نهاية المطاف سوى أن يخمنها، إنها أشياء لا يكون المرء فيما يتعلق بها سوى «أمة» بكاملها، وليس مجرد فرد، إن للمرء تأثيره على الأحداث، ذلك أنه بدون «أمة» لا يمكن لحرب أن تُدار ومن هنا ينتحل المرء لنفسه الحق فى أن يشارك فى المناقشة، لكن الحقائق الواقعة إنما يتم تقريرها فقط بواسطة الصلاحيات التى لا تحصى للسلطات العليا. فلو كان للمرء أن يؤثر على الأحداث حقاً، بكلمة منه، ولو بالصدفة، فلن ينتج عن ذلك فحسب سوى الضرر. ذلك أن الكلمات هى فى النهاية كلمات غير متخصصة، وتصدر بلا رابط، كما لو كانت تصدر فى أثناء النوم. والعالم يمتلئ بالجواسيس الذين يسمعون، فى هذا المقام يكون أفضل سلوك هو ذلك الذى يتصف بالوقار الهادئ الذى لا يتأثر بالاستفزاز.

وكل شئ هنا فى الحقيقة استفزاز، حتى العشب الذى تجلسين فوقه بجوار القناة الممتدة - بلا أدنى مسئولية بالمناسبة، فى وقت أخشى أنا فيه أن أصاب بنزلة برد، بينما الموقد مشتعل، ألزم الفراش تحت ملاءة للتدفئة وبطانيتين ولحاف محشو بالريش. ويمكن للمرء فقط فى النهاية أن يقرر إلى أى مدى يمكن للمظهر الخارجى أن يؤثر فى العالم، وفى هذا المقام أتميز أنا بمرضى على كل نزاهاتك التى يتردد صداها المخيف، ذلك أننى لو أتحدث بهذا المعنى عن مرضى فلن يصدق حديثى أحد فى الحقيقة؛ وفى الحقيقة ليس حديثى هذا سوى مزحة.

سوف أبدأ فى الحبال فى قراءة (نونا بيبه)، وإن كنت ربما

(١) رواية لـ «أدالبرت شتقتر».

أرسلها إليك قبل أن أقرأها، فإني أتغنيه رغبة ملحة كهذه، وأن المرء يكن ضغينة في داخله ضد من يحتجز لنفسه شيئا كهذا كنت متحيزاً مثلاً ضد عدة أشخاص لأنني وديون أن أسطيع لإثبات، كنت قد ارتبت في حصول كل منهم على نسخة من (بو الصنف)^(١)، وجاء ابن (أوسكار ياهوم) إلى المنزل مسرعاً من مدرسة بالقرب من فرانكفورت، جاء أساساً لأن كيبه لم نكره ذلك، وخاصة كتابه الأثير (ستوكلي وشركاه) لـ «كيلنج» الذي درس في قراءه فيما أعتقد ٧٥ مرة، فلو كانت الحالة على هذا النحو بخصوص «بون ديبه» فسوف أرسلها، إلا أنني أود أن أقرأها

لو كنت لي صفحات التسلية في المجلة فلن أقرأ مقالات «الموضة»، فأين كانت هذه المقالات يوم الأحد الماضي؟! ستسعدني جداً إذا أشرت دائماً إلى التواريخ سأبحث عن «الشیطان عندما أتمكن من الخروج ثانية، ففي هذه اللحظة مازال لدى بعض الألم.

جيورج كايير - عرفت القليل بواسطته، ولم أشعر برغبة معرفة المزيد، على الرغم من أنني لم أكن قد رأيت أي شيء من كتاباته على المسرح قبل سنتين كنت متأثراً تأثراً بالغاً بدعواه القضائية - قرأت تقارير عنها في (صحيفة «تاترا») وخاصة الدفاع الرائع الذي أعلن فيه عن حقه الذي رآه غير قابل للاعتراض أو لجدل في الحصول على ملكية أجنبية، مقارناً وضعه في التاريخ لألماني بوضع لوش. وطالب في حالة إدانته بأن الإعلام ينبغي له أن تنكس في ألمانيا

وهنا بجوار هراش نومي تحدث أساساً عن ابنه الأكبر (لديه ثلاثة أبناء) وهو صبي في العاشرة من عمره، وهو الذي لن يسد إلّا

المدرسة، والذي لن يعلمه بنفسه هو أيضاً؛ والذي كتبته سابل، لا يكون قادراً، لا على أن يقرأ، ولا على أن يكتب. ومع ذلك فقد كنت يرسم بموهبة جيدة جداً، ويتفق أيامه متجولاً في أنحاء البحيرة (هم يعيشون في منزل ريفي منعزل في (جرزنيانده) بالقرب من برلين، وعندما قلت لكايزر، عندما هم يلاحظون سابل «على أية حال إن هذا مشروع هائل!» أجابني بقوله: «إنه بالفعل ليس بكل شيء آخر هو شيء عارض على نحو أو آخر. عرّف أن يراه على هذا النحو، ولا يفتقر هو إلى القدرة على التصالح مع الجزء على هذا النحو - نصف رجل أعمال من برلين طاشت من نصف مجنون. وهو لا يظهر قط، وقد بدا عليه الاهتزاز في كيانه كله وعميقاً، على الرغم من أنه جزئياً في الحقيقة هكذا إلى حد بعيد. وهم في النهاية يقولون إنها كانت هي تلك المناطق وحدها التي دمرتها، ولا شيء غيرها (وكان قد التحق بإحدى الوظائف في مرحلة شبابه في أمريكا الجديدة، وعاد من هناك مريضاً، واستلقى لمدة ثماني سنوات متكاسلاً فوق الأريكة. ثم بدأ عندئذ في العودة إلى الحياة في مصحة). هذه الصفة تعبر عن وجودها أيضاً في وجهه - وهو وجه مسطح، يعيب خاويين لونهما أزرق لامع، يبدوان مع ذلك مثل تفاصيل رى في وجهه، بينما تنتفضان في سرعة إلى الأمام، وإلى الخلف، بينما يبقى الأجزاء الأخرى في وجهه بلا حراك، كما لو كانت مشلولة. وفي الحقيقة لدى ماكس انطباع عنه يختلف عن هذا كل الاختلاف، فهو يعتبره مسنفاً محركاً، وربما كان هذا هو السبب في أنه بعبطه قد أرغم كايزر على أن يجي لزيارتي. والآن هاهو قد استولى على الحائز الأغلب من هذه الرسالة. وكنت بوى

أن أقول عدة أخطاء أخرى المرة القادمة.

يا ترى العزيزة ميائنا،

لا بد أن أعتذر بأتني ذات مرة حسدت شخصاً ما حسداً بالعمى جداً لأنه كان محبوباً، ومحاطاً برعاية طبية يتولى حراسته العقل ولغو ويرقد في سلام تحت الأزهار إنني دائماً سريع الحسد.

أعتقد أنني على حق في الاستنتاج من مجلة (تريبونا) (التي لم أكن أقرأها بانتظام، بل بين الحين والحين) أنك قد مضيت صيفاً طيباً، لقد حصلت ذات مرة على (تريبونا) على المحطة في (بلانا)، وكانت سيدة من المتواجدات بالمنتجع الصيفي تتحدث إلى أخرى، وهي تمسك في يدها بالجلة خلفها، مسددة نحوي - عندئذ استعارتها شقيقتي ل. فإذا لم أكن مخطئاً فقد كان لك مقالة مرحة جداً بها، ضد منتجات المياه المعدنية الألمانية. وذات مرة كتب عن مسرات الحياة الصيفية في مناطق السكك الحديدية النائية، وكانت هذه المقالة أيضاً مقالة جيدة: أو أنها كانت هي نفس المقالة؛ لا تظن ذلك. وبالعادة عندما تظهرين في الـ (نارونى ليسستى)، وتتركين مدرسة (الموضة) اليهودية خلفك فقد كان ذلك حالة حول واجهات لعرض متفوقة بصورة مذهلة. قمت بترجمة تلك مقالة عن لطهة لماذا؟، وكانت الـ «عمّة» غريبة على نحو ما - ففي إحدى المرات كتبت أن الرسائل ينبغي أن تكتب عليها طابع البريد على النحو، الصحيح، ثم أن على المرء ألا يلفى بنى شئ خارج النافذة، وكلها حقائق مسلم بها، ومع ذلك فهي صراعات يائسة، لكن المرة (١) الجوال عند منشئ المشبوهة وهي قصيدة غالباً ما اقتبس منها كافكا.

بعد الأخرى، لو أن المرء ألقى انتباهها لانتقاً فإن شيئاً عذباً، مؤثراً، وحسناً يزحف إلى داخله على الرغم من ذلك؛ لكنها لا ينبغي لها أن تكره الألمان كل هذا الكره الزائد، إن الألمان رائعون، وسوف يظلون هكذا، هل تعرفين قصيدة آيشندورف: «آه، أيتها الوديان الواسعة، آه أيتها الأعالي!»، أو قصيدة (يوستينوس كيرنر) عن (ورشة نشر الخشب)؟^(١)، إذا كنت لا تعرفينها فسوف أنسخها لك ذات يوم. ستكون هناك أشياء عديدة أقولها عن (بلانا)، لكن الآن انقضى وقتها، كانت أولاً غاية في العذوبة معي، على الرغم من أنه بالإضافة لي لديها أيضاً طفل. كانت رنتي جميلة على الأقل هنا في الخلاء، وهنا حيث بقيت طوال الأسبوعين الماضيين؛ لم أذهب بعد لزيارة الطبيب لكن يمكن أن يكون ذلك بالغ السوء، إذا اعتبرنا مثلاً، أنني كنت قادراً - أيها الغرور المقدس إن على أن أقوم بتقطيع الخشب لمدة ساعٍ أو تزيد دون أن يصيبني التعب، وكنت مع ذلك سعيداً للحظات. أشياء أخرى، النوم، والاستيقاظ الذي يرتبط به، كما أحياناً أسوأ.

وماذا عن رنتك، هذه المخلوقة القوية المعذبة الرزينة؟

ل

■

لقد انقضى وقت طويل منذ أن كتبت لك، يا سيدتي ميلين، واليوم حتى أكتب فقط كنتيجة لحادث، فعلاً، ليس لي أن أعذر عن عدم كتابتي لك، فأنت تعرفين فوق كل شيء، إلى أي حد أكره الرسائل. كل

سوء لحظ فى حياتى كلها لا أرغب فى التشكى، بل أود أن أقدم ملاحظة إرشادية عامة - كل سوء الحظ هذا إنما يستمد وجوده كما يسع المرء أن يقول، من الرسائل، أو من إمكانية كتابة الرسائل. إن الناس لم يكانوا قط أن يخدعونى، لكن الرسائل قد فعلت ذلك دائماً - وفى الحقيقة ليست فقط رسائل الآخرين، بل فعلته رسائلى أنا نفسى. وسوء الحظ فى حالتى، هو سوء حظ خاص، لن أزيد فى الحديث عنه، لكنه فى الوقت نفسه سوء حظ عام أيضاً.

إن إمكانية السهولة التى تتصف بها كتابة الرسائل لابد أنها مرئية من زاويتها النظرية فحسب - قد جذبت إلى الدنيا تحللاً مربعاً للنفوس. إنها، فى الحقيقة محادثة مع الأشباح، وليس فقط مع شبح المستلم للرسالة، بل أيضاً مع شبح المرء نفسه، ذلك الذى ينمو بين سطور الرسالة التى يكتبها المرء وحتى يزيد فى تلك التنمية فى سلسلة من الرسائل حيث تعزز إحدى الرسائل الرسالة الأخرى، ويمكن أن تشير إليها كشاهد. فكيف أمكن قط أن حصل أى شخص على فكرة أن الناس يمكنهم أن يتواصل أحدهم مع الآخر بواسطة رسالة! يمكن للمرء أن يفكر فى شخص بعيد، ويمكنه أن يمسك بالشخص الذى يكون قريباً منه - أما كل ما عدا ذلك فهو يتجاوز مجال القوة البشرية. كتابة الرسائل، مع ذلك، تعنى أن يجرد المرء نفسه أمام الأشباح، وهو شئٌ تنتظره تلك الأشباح فى نهم، والقبلاط المكتوبة لا تبلغ غايتها، ذلك أن الأشباح تشربها فى الطريق، على هذه التغذية الوافدة تتكاثر الأشباح على نحو هائل. وتترك البشرية ذلك بإحساسها، وتحربه، ولكى تتخلص بقرر ما تستطيع من العنصر الشبحى بين الناس، ولكى تخلق تواصلاً طبيعياً، هو سلام الأرواح، اخترعت السكك الحديدية،

و لسيرة، والطائرة، إلا أنها لم تسفر عن أى خير، فهذه هى اخراعات من الواضح أنها قد تم إنجازها عند لحظة التحطم. والجانب المعارض هو جانب أكثر هدوءاً إلى حد بالغ وأشد قوة، ويعد الخدمة البريدية اخترعت البشرية البرق، والتليفون والراديو جراف. إن الأشباح لن تقضى نحبها جوعاً. لكننا نحن سوف نهلك.

إننى مندهش لأنك لم تكتبى عن ذلك بعد. لى لكى تمنعنى أو تحققى شيئاً بنشره، لأن ذلك قد أصبح متأخراً جداً، بل لكى تظهرى لها (الأشباح) أنها قد تم التنبه لوجودها.

ويستطيع المرء أيضاً أن يتعرف «عليهم» مصادفة، بواسطة الاستثناءات، ذلك أنهم أحياناً يسمحون لرسالة بأن تمر بدون تدخل، وتصر الرسالة كأنها يد صديقة، فتضع نفسها، خفيفة وعطوفة فى يد المرء، حسناً، فهذا أيضاً ربما يبدو فقط، وكأنه كذلك؛ ومثل هذه الحالات ربما تكون أكثرها خطورة، وينبغى على المرء أن يزداد حذراً منها على حذره من غيرها. لكن لو كانت هذه خداعاً فإنها عندئذ ستكون على أى الأحوال خداعاً كاملاً.

شئ من هذا القليل حدث لى اليوم وهذا هو السبب فى الحقيقة الذى من أجله خطر لى أن أكتب إليك. تسلمت اليوم رسالة من صديق ^(١) تعرفينه أنت أيضاً؛ لم تكن قد كتب أحدنا للأخر منذ وقت طويل، وهو شئ بالغ الحساسية والإدراك. ويلى ما سبق قوله أن الرسائل هى علاج تام للنوم فأية حالة تلك التى يصلون فى أثنائها؛ حلة، مجدية، خاوية، مستفزة، بهجة اللحظة أعقبتها معاناة طويلة الأمد. بينما أقرأهم، ينسى المرء نفسه، وينهض النوم القليل الذى

(١) من ميلينا نفسها فيما يبدو.

طهر من خلال النافذة المفتوحة ولا يعود لوقت
 طويل هناك هو السيد في أننا لا يكتب أحدنا إلى الآخر. إلا أنني
 فكر مع على نحو عابر للغاية. كل تفكيرى هو تفكير

لكن التفكير فيه طويلاً، لساعات؛
 قصد (وهي عزيزة على للغاية بسبب
 الكلمات في رسالة خيالية عدة
 حقة، كذا لحظة بالغة الأهمية. وفي الصباح
 وصفتي رسالة احتوت علالة على ذلك؛ على تلك
 منتظاً بأن الصديق تواجد لديه، لشهر - أو على نحو
 شهر - الشئ بغي عليه أن يأتى لزيارتي، وهي
 بقت على نحو غري ساء كنت قد مرت بتجربتها،
 الرسالة هذه دفعتنى ساء رسالة، وربما أنني كنت قد
 ألف، ف كان بإمكانك ساء لك أنت أيضاً يا س
 ميليب 111 المعية بقدر ما يمكن لاء
 يتمتع بكتب اطب مع ذلك الأشباح فاء
 تحاصر مانتدى في

لقد انصد طويل قبل أن أرى أى شئ من
 لمجلات، ه مغلات (الموضه) التي بدت لى، أخذ
 استثناءات صغير هادئة ومرحة، وبصفة خاصة المقال
 الرابع. وحتى ذلك الحين، حقا، لم أكن قد قرأت ال(ترس)، رسالة
 أسابيع، لكننى سأحاول أن أطلبها لقد كنت فى)

يبدو لي من خصائص فرنسا المميزة، أكثر من كونه من الخصائص، لميزة فيليب، ثم انعكاس واهن لـ(فلويير)، مثلاً الجدل المفاجئ عند ركن أحد الشوارع (هل تذكرين بالمصادفة تلك الفقرة؟). أما الترجمة فتبدو وكأنها قد تمت بيدي اثنين من المترجمين، أحدهما جيد جداً لفترة ما، ثم مرة أخرى سئى إلى درجة انعدام القابلية للفهم (ثمّة ترجمة جديدة لـ(قولف) على وشك أن تنتشر)، وعلى كل حال فإننى مستمتع جداً بقراءتها، لقد أصبحت قارئاً جيداً إلى درجة كبيرة وإن كنت بطيئاً. إن ما يزعجنى فى هذه الرواية هو ضعفى الذى أصبح مرتبكا بسببه ارتباكاً شديداً عندما أواجه الفتيات الصغيرات، ويبلغ هذا الارتباك مدى أبعد فيجعلنى لا أومن بفتيات الكاتب، لأننى لا أومن بأن فى وسعه الجرأة على أن يقترب منهن. إن ذلك يبدو لى كما لو أن الكاتب كان قد صنع دمية وأطلق عليها اسم (دوناديه) لا لشيء سوى أن يصرف انتباه القارئ عن (دوناديه) الحقيقية التى تختلف كل الاختلاف وتتواجد فى مكان آخر.

وبالفعل من داخل سنوات البنوة هذه بكل عنويتها تتطلع نحوى صيغة واحدة ما كما لو كان ما قيل هنا لم يكن حقاً قد حدث، لكن فحسب ما أعقبه، وأنه كان قد تم اختراعه فيما بعد كمفتتح طبقاً لقهاتن الموسيقى، وجرت مطابقتها على الواقع.

رواب - يتصل فيها هذا الإحساس ويبقى إلى النهاية - منها «على الطاعة الواسع»^(١) لا أدرى.

أحب تشيخو كثيراً جداً، وفى أحيان أحبه بجنون تام. حسناً لا

(١) (على الطريق الواسع) ربما كان عنواناً لإحدى الروايات.

(٢) رواية لـ (ماكس يورد).

أنا عن (قورس موله)، ولا عن (ستيفنسون) فيما عدا
 ك... المحصل. سوف أقرأ (فرانتسي) (١٢). لكنني فيما عدا هذا
 مرة معينة بها أثق أنك لن تعجبي بها. ويمكن تفسير ذلك
 طه. نظري التي تتلخص في أن الكتاب الأحباء تكون لهم
 ربيعات حبة برواياتهم. فيوجودهم في حد ذاته يحاربون من أح
 يحاربون ضد هذه الروايات. والحياة الحقيقية المستقلة لرواية تس
 فحسب بعد وفاة الكاتب أو، على نحو أكثر صحته، بعد وفاته بوقت
 م، ذلك أن هؤلاء الرجال التواقين يواصلون الحرب لفترة م
 رواياتهم فيما وراء موتهم. ثم بعد ذلك تصبح الرواية وحيدة وي
 أن تستند فقط إلى القوة التي تستمدّها من نبضات قلبها
 السبب في أنه كان من المعقول جداً لـ (مايربير) مثلاً، أن يدعوا
 ويدعم نبضات القلب هذه بأن يترك تركة لكل أوبرا من أوبراته تتدرج
 ربما تبعاً للثقة التي أحسها بالنسبة لكل منها. عن هذا هناك المزيد،
 وإن لم يكن هاماً جداً، من الأشياء التي يمكن أن يقال، وبتطبيقها
 على رواية (فرانتسي). فإيما معنى هذا أن رواية الكاتب الحي هي
 حقاً حجرة النوم الكائنة في نهاية شقته، والمخضمة للقبلات، أو
 كان يستحق القبلات، أو التي تختص بالإرعاج إن لم تكن كذلك.
 هكذا، وإنه لا يكاد يكون حكماً على الرواية إذا قلت أنا إنها
 أو قلت أنت - وربما لا تقولين - عكس ذلك.

اليوم أقرأ جزءاً أكبر من روايه (دوناديه)، إلا أنني لا أستطيع
 أن أقدم في قراءتها كما لا يسعني أن أقدم اليوم في تفسيرها،
 ذلك أن شقيقتي في داخل المطبخ المجاور لي تتحدث إلى الطاهية،

وهي محادثة يمكنني أن أقوم بها.
أريد أن أقطعها.
ت أن هذه الفتاة عملت معنا منذ أيام علينا
فقط في التاسعة عشرة من عمرها قور بنية بدرجة
أنها أتعس مخلوقة في الدنيا، بلا عيسة
تعيسة، وفي حاجة إلى مواساة شعبية، تصادف بحكم
عادة قديمة، كما يقول والدي «تفضل» جاس مع الخادم، وأب
كان ما أقوم به عن بتبدى لي ظاهراً سودف يكون -جاف
العدل، كنت أن كل الاعتراضات دى من النواة، وليس من نواة
الكتاب. فلنفترض أن أحدهم ارتكب جريمة قتل بالأمس ومتى
كان به سبباً هذا الأمر أنا أن يتحول إلى يوم آخر قبر الأمس؟
فهو لن يطيق أن يقرأ اليوم قصصاً عن القتل، فهذه
تكون به سبباً له هي كل شئ تلقائياً في وقت معا مولة،
«خمسجرة، رياء شئ على الغيظ. إن انعدام الوقار أو التهريج، لوقور
والصفافة المرتبكة، والسحرية المثيرة للإعجاب، والتي تتصف بها
الرواية جميعاً - لا شئ مدها يعجبني. فعندما يغوى راسايل
(دوناديه) فإن ذلك يكون غاية في الأهمية بالنسبة لها، لكن أى عمل
استلزم وجود المؤلف في حجرة الطالب، وحتى من هو أقل، الجميع
اهتماماً بها، وهو الشخص الرابع أو القارئ، إلى أن تتحول الحجرة
إلى قاعة محاضرات لكلية الطب أو علم النفس. وبالإضافة إلى ذلك
لا يوجد في الرواية غير هذا سوى البليل جداً، فيما عدا اليأس.
ما أزال غالباً أفكر في مقالتك. وبغربة كافية. أعتقد - لكى ندع
الحوار المتخيل يدخل في ثنايا حوار حقيقى «يهودية، اليهودية» -

اعتقد أنه توجد أشياء - عيل زيجات لا تقوم على أساس من اليأس الناتج من كون المرء يبدأ، وما هو أكثر من ذلك، وهو أن هذه الزيجات تكون زيجات معوقة واعية، وأظن أن الملاك يعتقد في ذلك جوهرياً هو أيضاً.

بالنسبة لهؤلاء الذين يعقدون زواجاً بدافع من اليأس - ما الذي يجنونه؟ فلو أن الوحدة أضيفت إلى وحدة قلن يؤدي ذلك مطلق إلى تألف، بل يؤدي إلى (كاتورجا)^(١) فكل وحدة منهما ستعكس نفسها في الوحدة الأخرى، حتى في أعماق وأحلك الليالي. ولو ربط أحد وحدة إلى أمن، فسوف تكون أسوأ حتى بالنسبة للوحدة (ما لم تكن وحدة رقيقة، مرافقة، لا واعية).

إن لزواج يعي بالأحرى - إذا كان للمرء أن يحدد الحالة بحدّة وصرامة - أن يكون المرء آمناً.

لكن في هذه اللحظة أسوأ شيء هو - حتى أنا لم أكن توقعته - أنني لا أستطيع أن أواصل كتابة هذه الرسائل، ولا حتى هذه الرسائل الهامة. إن الساحر الشرير لكتابة الرسائل قد بدأ يحصم ليالي - تلك الليالي التي تحطم نفسها حتى بنفسها على أية حال - يحطمها أكثر مما حطمها لي من قبل، لأبد أن أتوقف، لا يمكنني أن أكتب بعد هذا. أه، إن انعدام نومك يختلف في نوعه عن رقي. رجوك فليكف عن الكتابة بعد هذا.

بطاقة بريدية من لوبريتشوفيتشي

(١) كلمة روسية تعني مدة سجن طويلة تعقّبها النعي.

علامة بريدية ٢٣٠٥٠٩

شكراً جزيلاً لتحياتك. أما بالنسبة لى، فلقد خرجت قادماً إلى هنا لأيام قليلة، فالأمور فى براغ ليست على ما يرام كثيراً. إلا أنها ليست رحلة بعد، إنها مجرد خفق لجناحين لا فائدة منهما بالمرّة.
ك.

بطاقة بريدية من دوبريتشوفيتشى

علامة بريدية ٢٣٠٥٠٩

أمل أن تكونى قد تسلمتى بطاقتى من دوبريتشوفيتشى، إننى مازلت هنا، لكنى سأغادر المكان فى غضون يومين أو ثلاثة أيام راجعاً إلى موطنى. إنه مكان باهظ التكاليف جداً، ولا يكدر النوم يعرف صريقه إليه، وهكذا وإن كان من ناحية أخرى مكاناً جميلاً فوق كل وصف. أما بالنسبة للرحلات التالية، فهذه الرحلة قد جعلتنى ربما أكثر قابلية للسفر إلى حد ما، حتى لو كانت الرحلة لا تعنى أكثر من البعد لمسافة نصف الساعة عن براغ، إننى أخشى فقط، أولاً - التكاليف - فهذا المكان بالغ التكاليف وإن يتاح للمرء أن يبقى هنا على مدى الأيام الأخيرة فقط قبل وفاته، فإنه لن يكون قد تبقّى معه شيء - وثانياً أخشى - السماء والجحيم وغير هذا فإن العالم كله مفتوح أمامى.

مع أرق تحيات

المخلص لك

ك

(بالفم المص) «فوق وتحت البطاقة»
 به سيون ايد ذى اعطاء المرء الفكة الصجيد فتك
 اك. من اللازم جداً، وفي حين أن من
 الصعب عد الساقى سريع جداً، بالناسية، منذ
 عرف أحدنا الآخر التى حذرنتى ف لحناء - سوى
 محذ نى أو أيا ما كانت الكاء رء أن يعبر
 «اسطر قلبلة»

الأخير عندما اختفيت أنت^(١) فجأة (وإن لم يكن ذلك
 هم هشة)، ثم ابقى منك أية رسايل ثانية حتى بداية سبتمبر
 على نحو كان بالنسبة لى طريقة بالغة الإزعاج، فى تلك الأثناء، فى
 سبو كان شى هام قد حدث لى أية أشياء هذه التى توجد إن
 كنت قد ذهبت إلى (موريتز) على بحر البلطيق بمساعدة شقيقتى
 الكبرى بعيداً عن براغ على أية حال، بعداً عن الحجرة المغلقة، فى
 اشعر أيضاً بتحسس، ثم فى (موريتز) تطهرت إمكانية
 تهفيع كنت قد انتويت بالفعل الذهاب إلى فلسطين فى
 كمبر من تحدثنا عن ذلك، بالطبع لم تكن هذه النية لتتم، لقد
 كنت هما تحله كان مقتنعاً بأنه لن يفادر فراشه ثانية قط،
 فانه كنت لن اعادر فراشى ثانية قط، فلماذا لا أرحل حتى أبلغ مكاناً
 كفلسفين، إلا أنني فى (موريتز) كنت قد اتصلت بمستعمرة صيفية
 (١) ما يعود كافكا مرة أخرى إلى استخدام ضمير الشخص الثانى المرد (Du) أنت.

جماعة من برلين تسمى موطن الشعب اليهودي، وكان أغلبهم من
اليهود الشرقيين. وقد اجتذبتني جداً، وقفت في طريقي، وبدأت أفكر
في إمكانية الانتقال إلى برلين. في ذلك الوقت لم تكن هذه الإمكانية
تزيد في واقعيتها عن خطة فلسطين،

أعيش رحدي في برلين كان مستحيلاً كل جود لنس
فقط في برلين، بل ولا في أي مكان آخر ومن أجل
هذا أقدم لي أحد الحلول^(١) نفسه في (كار هشا
بشريقته الخاصة ثم في منتصف أغسطس ذهب برلين ثم
فيما بعد قد عن شهر في (سيليغ
وهذا سمعت بالـ رسالة قة هـ الياس، وكـ

لك رسالة في الحال لكي أضع عن نفسي لكنني لم أرسلها.
النهاية، لأنني لم أكن قد عرفت شيئاً عنك، أخيراً أحرفت
لرسالة هي أيضاً قبل أن أغادر برلين. وعن الرسائل الثلاثة الأخرى
التي ذكرتها، لا أعرف شيئاً حتى اليوم. كنت قد فقدت صوابي
بسبب عار كان قد ألصق بشخص ما، لم أعرف بالضبط على أي من
الثلاثة المعنيين، إلا أن اليأس بالطبع حتى لو كان مختلفاً في نوعه،
فلم يكن لأمره تحت ضغط أي ظرف من الظروف، ولا حتى لو كنت
قد تسلمت الرسالة بالفعل في (سوريت).

ثم في نهاية سبتمبر غادرت المكان متجهاً إلى برلين. وبعد
مغادرتي بفترة قصيرة، تسلمت بطاقتك من إيطاليا، أما بخصوص

(١) يشير كافكا هنا إلى «دورا ديمانت» رفيقته خلال الأخيرة.

الرحيل فقد قمت بتنفيذه بأخر رمق من القوة أمكننى
أو على نحو أكثر صحة قمت بتنفيذه بالفعل بدون أدنى قوة، هى
نحو أشبه تماماً بالحالة الجنازية.

ولأنا أنا هنا وحتى الآن تبدو الأمور فى برأى بالغه
كما يبدو أنك تظنينها 'اننى اعيش فى الريف' الماء، هى
صغيرة، وحديقة، يبدو لى أننى لم يكن لى من قبل قط مثل هذه
الشقة الحميلة، وإننى لوائت كل الثقة بأننى سوف أفقدتها حالا
فهى زائدة الجمال بالنسبة لى. وبالصادفة هى بالفعل الشقة
لثنية التى أقمت فيها هنا. وحتى الآن لا يكاد الطعام يختلف
جوهرياً عنه فى براغ، وإن يكن طعامى وحده، ونفس الشئ صحيح
بالنسبة لصحتى. وهذا هو كل شئ. ولا يمكننى أن أجرو على قول
المزيد بعد هذا، وماقلته هو بالفعل كثير جداً، إن الأرواح لنجمية
تشربها بالفعل فى نهم من خلال حناجرها الشرهة. وأنت تقولين أقل
حتى من هذا فى رسالتك. هل الحالة العامة حالة جيدة محتملة؟ لا
يمكننى أن أحل لغزها. بالطبع لا يمكن للمرء حتى أن يفعل فى
حالته هو الخاصة؛ وبهذا فهـ الخوف' ليس شيئاً آخر سوى هذا.

فـ

عزيزتى ميلينا،

لوقت طويل كان جزء من رسالة ملقى هنا جاهزاً لك، إلا أن
الاستمرار ليس سهلاً، لأنه حتى هنا عثرت على الألام لقد
وهاجمتنى وطرحتنى أرضاً على نحو ما. فى مثل تلك الأوقات

كل شيء قد تحول إلى جهد، كل لمسة بالقلم، كل شيء أكتبه يبدو لي هاماً جداً، بنسبته إلى قوتي، وعندما أكتب (مع أرق تحياتي) - فهل لهذه الكلمات القوة حقاً لكي تصل إلى (ل. شتراسه) «الشارع» الحضري، الصاحب، الوحشي، الرمادي، حيث لا أستطيع أنا أو ما ينتمي إلى أن يتنفس؟ وهكذا أجدني في النهاية لا أكتب على الإطلاق، إنني أنتظر أوقاتاً أفضل، أو حتى أسوأ، أما فيما يتعلق بالباقى فأنا بخير وفي حماية هنا إلى أقصى حدود الإمكانيات الدنيوية. وعن الدنيا أعلم فقط، وإن يكن على نحو أكثر شدة وتأكيداً، من خلال ارتفاع تكاليف المعيشة. لا تصلني أى صحف من براغ، أما صحف برلين فهي غالية الثمن جداً - فماذا عن إرسالك مرة من حين لآخر بعضاً من قصاصات (نارودني ليستي) تلك التي طالما منحنتني كثيراً من السعادة، بالمصادفة، كان عنواني في الأسابيع القليلة الأخيرة هو:

شتجلتس، جرونيغالد شراسة ١٢، س/و، هر - زايغيرت.

والآن، مع ذلك «مع أرق تحياتي»، فما أهمية إن كانوا قد هبطوا بالفعل عن طريق بوابة الحديقة، ربما تكون قوتك أشد ما تكون.

ل. ش.

ل. ش.

(١) ضمير المخاطب «له» هنا بصيغة التحفظ Sie الشخص الثاني الجمع.

إشارات

المؤلف : فرانتس كافكا

روائي وكاتب نمسوي تشيكي ولد في براغ ١٨٨٣، وقع منذ بدء حياته فريسة لضعف صحته وهزيمة أبيه، وبعد حصوله على درجة الدكتوراه في القانون أتاح له عمله في مؤسسة التأمينات العمالية أن يستغل وقته في الكتابة. ويبدو أن علقته «السل» قد شغلت موهبته، فكان يكتب ويكتب ويقرأ المستقبل فتنبأ بمجيء الديكتاتورية ومدها كل ما يتيح لها أن تسحق «الفرد» من خلال آلة قاهرة تتجسد في صورة الدولة، قضى حياته مغفوراً ككاتب، وبمعرفة صديقه «ماكس برود» تم حفظ أوراقه وكتابات وقصصه، ونشرها تباعاً. توفي في أوج تجرية غرامية يائسة مع «دورا يمانت» التي كانت ترافقه في مصحة بالقرب من فيينا حتى رحل ١٩٢٤. من أعماله القصصية «القصبة» ١٩٢٥، «القصر» ١٩٢٦، «أمريكا» رواية غير مكتملة ١٩٢٧. بالإضافة إلى القصص والبرميات والرسائل.

المترجم : الدسوقي فهمي

قاص وفنان ومترجم، مواليد ١٩٣٨ مصرية، تخرج في كلية الفنون الجميلة، القاهرة، قسم تصوير ١٩٦٣. حصل على دبلوم دراسات عليا في الآثار المصرية من آثار القاهرة ١٩٧٣. عضو مؤسس ببنقابة الفنانين التشكيليين واتحاد الكتاب. اعتزل الوظيفة ١٩٩٣ وتفرغ للتصوير والكتابة. من ترجماته «أمريكا» لكافكا، روايات الهلال ١٩٧٠، «البوابة الهائلة» لكافكا، أفاق الترجمة ١٩٩٧.

الفنان : الدسوقي فهمي

شارك في الحركة التشكيلية رسماً وكتابة في مجلات وصحف عديدة وله عدة معارض عامة ومعارض خاص بالطفولة في مصر القديمة ١٩٨٠ بقصر محمد علي. تتميز أعماله بالمعاطف على القيم الكلاسيكية في البناء والتوازن، والتسويق، والتناظر، جنباً إلى جنب، مع إحداهن الشحنة التعبيرية الضرورية اللازمة لاستمرار العمل الفني في توليد انفعالات الحياة، والحركة، والوصول للمتلقي مومناً غموض. لوحة العلاف بورتريه لجيلينا.



آفاق الترجمة

(يوليو ٩٥ - يونيو ٩٦)

تأليف : رامان سلدن
ترجمة : د. جابر عصفور

النظرية الأدبية المعاصرة

أشعار
ترجمة : أحمد ع. حجازي

معدن الأخوين

رواية : دينو برتزانى
ترجمة : موسى بدوي

صداء القتل

رواية : مارجريت دورا
ترجمة : د. فوزية المشاوي

الحب

تأليف : رولان باوث
ترجمة : سيد عبد الحائق

أساطير

شعر : فرناندو بيسوا
ترجمة : المهدي أكريف

نشيد بحري

أساطير الهند الحمر
ترجمة : راوية صادق

هبة الطوغم

شعر : شارل بودلير
ترجمة : محمد أمين حسونة

ازهار الشمر

نصوص : بورخيس
ترجمة : محمد عيد إبراهيم

سراة الحب

تأليف : رامان سلدن
ترجمة : د. جابر عصفور

النظرية الأدبية المعاصرة (ط ٢)

تأليف : أرشيبالد مكليش
ترجمة : سلمى الحفصاء الجيوس

الشعر والتجربة

تأليف : هنري ميللر
ترجمة : سمى يوسف

نرامبو وزمن القتل

تأليف : باخثين - لوتقان - كوندراتوف
ترجمة : أمينة وشيد - سيد الجحراوى

مداخل الشعر

تأليف : تودوروف
ترجمة : فخرى صالح

باخثين : المبدأ الحوارى



آفاق الترجمة

(يوليو ٩٦ - يونيو ٩٧)

شعر للمكتوفين الأسبان ترجمة: إلهام عيسى	مرآة الضوء
تأليف: امبرتو أكو ترجمة: ناصر الجملاني	التأويل والتأويل المفرط
تأليف: إدريث كيزويل ترجمة: د. جابر عصفور	عصر البنيوية
تأليف: مارتين لينداور ترجمة: د. شاكرو عبد الحميد	الدراسة النفسية للأدب
شعر: و. ه. أوردن ترجمة: د. ماهر شقيق فريد	هبوط الليل
شعر: جاك أنصى ترجمة: محمد بنيس	الغرفة الفارغة
تأليف: سوزان برنار ترجمة: د. زهير مجيد مفاص	قصيدة النثر
رواية: جيمس كين ترجمة: أحمد عمر شاهين	ساعي البريد يدق الباب مرتين
شعر: ن. بجنيف هيربرت ترجمة: عبد المتصور عبد الكريم	قصر الضحك
رواية: هاينرش بول ترجمة: طلعت الشايب	الملاك الصامت
الشعر الفارسي المعاصر ترجمة: محمد اللوزي	مصباح اللغات
قصص من أمريكا اللاتينية ترجمة: د. طلعت شاهين	أنا الآخر
شعر: بول إيلوار ترجمة: إدوار الخراط	السوبر المائدة
رواية: بوكيو ميشيما ترجمة: مدحت محمد عبد العزيز	همس الأصوات
كافكا، الأعمال الكاملة - ١ ترجمة: الدسوقي فهمي	الدودة المائلة
مجموعة نقاد فرنسيين ترجمة: د. هدى وصفي	النقد الأدبي



أفاق الترجمة

(يناير ٩٧ - يونيو ٩٨)

غزليات : حافظ الشبراوي
ترجمة : د. إبراهيم الشواوي

الغزليات (١)

رواية: كارل تشابك
ترجمة : حسين العامل

رواية: كارل تشابك

تأليف : نيتشه
ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد

نيتشه

نصوص : جورج حنين
ترجمة: بشير السباعي

حنين

غزليات : حافظ الشبراوي
ترجمة : د. إبراهيم الشواوي

الغزليات (٢)

رسائل: كافكا
ترجمة : الدسوقي فهمي

كافكا

في الحداثة المعاصرة

مختارات

تيد هيز (مختارات)

مفاتيح السورالية (أندريه بروتون)

تاريخ موجز الاتحاد السوفيتي (جارودي)



فرانتس كافكا 2

كان كافكا يستعين في كلامه بأعضاء جسمه ووجهه، وإن استطاع أن يكتفى بحركة فعل، وكان بسيطاً خجولاً، فكانما يقول لمحبته: أرجوك، إنني أقل كثيراً مما تظن، وإنك لتستطيع أن تُسدي لي خدمة كبيرة إذا ما تجاهلتني.

هو اليائس، الصامت، المعذب، المريض، وأحياناً المحزون. سمة حياته البارزة هي الغضب، الذي يولده القلق، والذي يُحيل نفسه إلى أبخرة سامة عند ملاستها الحياة.

بعد فترة طويلة، أن لأعمال كافكا الكاملة أن تظهر. قدمنا له مختارات من القصة الطويلة بعنوان «الدودة الهائلة». وفي هذا القسم الثاني نقدم مجموعة «رسائل الكاملة إلى ميلينا Milena» حبيبته وهديتها ومترجمته.

«كتابة الرسائل... معناها أن يتجرد المرء أمام الأشياء، وهو ما تنتظره تلك الأشياء في شراهة. ولا تبلى القبلات المكتوبة غايتها، ذلك أن الأشياء تشربها في الطريق».

كافكا، في رسائله هنا، لامرأة متزوجة، إنسان عذب، زائله التوتر مؤقتاً، واسترخى عاشقاً، في غير انتباه، لآلهات النعمة اللائى يطارينه: (الزهود تدفّق في بطنه أمام شرفتي ... وتزورني في الغرفة السحالي والطيور وأنواع متباينة من الكائنات، أزواجاً أزواجاً... إنني أتوق في لهفة بالغة إلى أن تكوني هنا في ميران!) أو هكذا يتشبث بقمة سياج الحياة، ثم يسقط سريعاً، مترجعاً، بأثر جريحة متسلخة... إنه كافكا، وكفى! *



المركز المصري للعرب

Franz Kafka
Complete Works - 2